مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وثمانية - ربيع الآخر ١٤٤١ هـ / كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٩ م

العنوان: رسالة في كيفية أداء الضاد المعجمة

اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي زاده

Risalah fi kayfiyyati adai ad-daad al-mujamah

By. Muhammad b. Abu Bakr Al-Marashi Sagaqli-Zade

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٠٨) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (108). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك
Subscription Order Form

☐ سنة One Year ☐ أكثر من سنة More Than One Year ☐ عدد السنوات of Years

للأعداد : ..... Issues عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

☐ شيك Check ☐ حوالة مصرفية Bank Draft ☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : ..... Date : التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وثمانية ـ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ / كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٩ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

أ. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

التكثير من الأعمال الخيرية

مقصود الشريعة من التبرعات

مدير التحرير ٤

المقالات

قراءة الجُوَق وقُرَّاؤها في مصر

خلال القرنين(٨-٩هـ/١٤-١٥م)

د. محمد جمال حامد الشوربجي ٦

أهمية الواجهة الدينية للحكم في مصر

زمن سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥٧١م)

د. مصطفى وجيه مصطفى ٢٢

بلاد شنقيط والمستشرقون

د. بوها محمد عبد الله سيدي ٣٨

ومضات سنية من حياة شيخ المجددين

الشيخ حسن العطار (ت: ١٢٥٠هـ)

الحسان العوني ٥٣

ابنُ الصَّابوني الإشبيلي

(حياتُهُ وما تبَقَّى من شعره وموشحاته)

«جمع وتوثيق ودراسة»

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد ٨٢

تحقيق المخطوطات

الفصـول الجامعة والحدود المانعـة في أصول المعرفة

بـالله تعالى لأبي العباس أحمد بن أحمـد بن عبد الله الغبريني

(ت:٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م)

ضبط نصه وقدّم له

محمد نصير ١٠٩

رسالة في الكلام عـن الحـجـر الأسـود

ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة

دراسة وتحقيق

د. حسام الدين عباس الحزوري ١٣٧

الملخصات ١٨٤

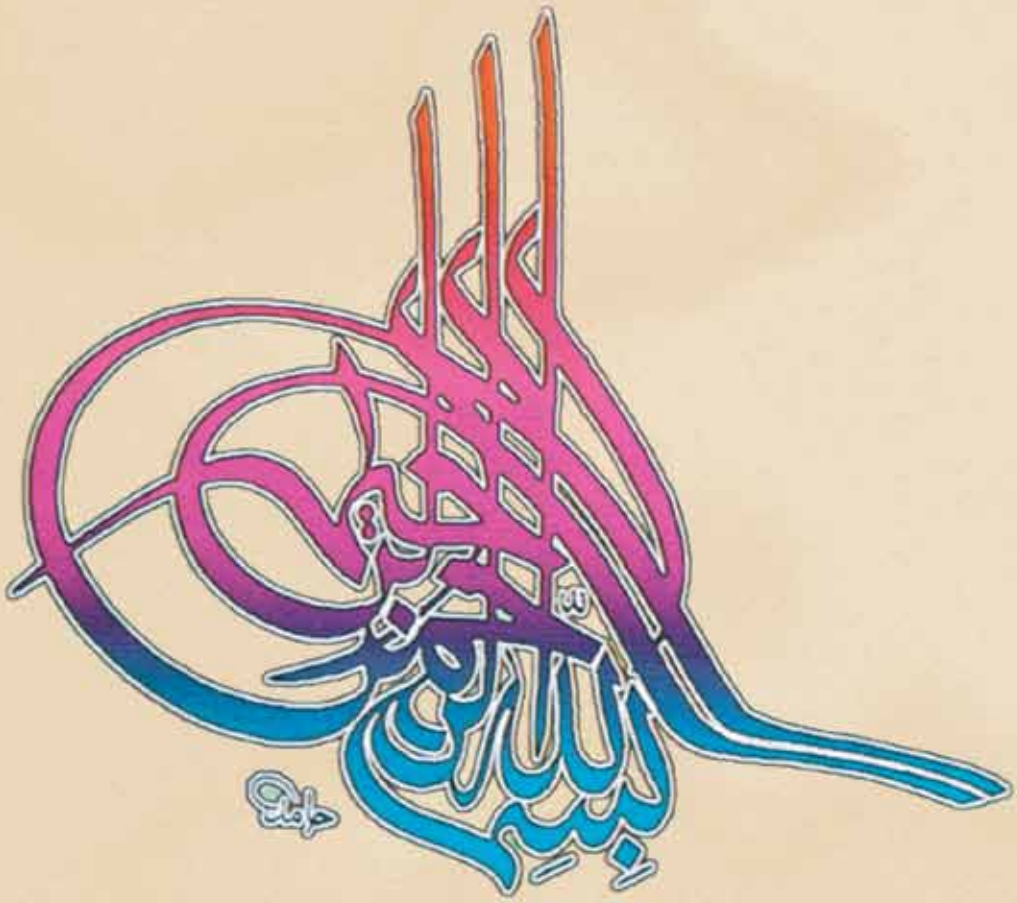
بسم الله الرحمن الرحيم

التكثير من الأعمال الخيرية مقصود الشريعة من التبرعات

لقد أوجب الله المواساة وندب إليها، ورغب في الصدقات، وحرض عليها، وحث على وجوه البر والتبرعات، ودعا إلى التكثير منها لما فيها من المصالح العامة والخاصة، ولهذا المعنى عقد مالك في موطئه تحت كتاب الجامع: (باب الترغيب في الصدقات)، وعلق أبو بكر ابن العربي على هذه الترجمة فقال: (جاء مالك رضي الله عنه في هذه الترجمة بفائدة عظيمة، أخرجها بها من أبواب الأحكام إلى أبواب الفضائل، ونبه بها على فضل الصدقة وشرفها)، ولما كان شح النفوس حائلا دون تحصيل كثير منها، دلت أدلة الشريعة على الترغيب فيها، فوصفت الذين يقون أنفسهم من شحها، ويروضونها على السخاء والعطاء بالمفلحين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر: ٩، كما أثنت على المنفقين المتصدقين، وبشرتهم بيسر الحساب يوم القيامة، وذمت المقترين المانعين، وتوعدتهم بعسر الحساب؛ حيث قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الليل: ٥ - ١٠، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: يعني من أعطى فيما أمر، واتقى فيما حظر، وصدق بالحسنى يعني بالخلف من عطائه، ثم قال رضي الله عنهما: سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.

وتأييدا لجانب التبرعات والترغيب فيها، وإقامة لمسلك تكثيرها جعلت الشريعة التصرفات المتعلقة بها من الأعمال التي لا ينقطع ثوابها بعد الموت، فقد جاء في الحديث الصحيح: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية،

أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، ولقد دلت دلائل الشريعة المتساندة على أن مسلك تكثير التبرعات والأعمال الخيرية أمر مطلوب في الأمة شرعا، فهذه الصدقات الجارية والأوقاف المتتالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ومن أصحابه رضي الله عنهم كثيرة منها: صدقة عمر، وقد أشار عليه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك صدقة أبي طلحة الأنصاري، فإنها كانت بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها صدقة عثمان بن عفان رضي الله عنه ببئر رومة؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين»، فاشتراها عثمان، وتصدق بها على المسلمين، وعن ابن عباس: (أن سعد بن عبادة رضي الله عنه: توفيت أمه، وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله توفيت أمي وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها)، وعلق ابن عاشور على هذه النصوص قائلا: وكانت هذه الصدقات أوقافا ينتفع المسلمون بثمرتها على تفصيل في شروطها، فلا شبهة في أن من مقاصد الشريعة إكثار هذه العقود؛ ولهذا المعنى أنكر مالك على القاضي شريح مقالته بحضر التحبيس، وقال: (رحم الله شريحا تكلم ببغداد، ولم يرد المدينة فيرى آثار الأكابر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم، وما حبسوا من أموالهم، وهذه صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حوائط، وينبغي للمرء أن لا يتكلم إلا فيما أحاط به خبرا).

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

قراءة الجُوَق وقُرَّاؤها في مصر خلال القرنين(٨-٩هـ/١٤-١٥م)

د. محمد جمال حامد الشوربجي

مصر

يتناول هذا البحث دراسة بدايات ظهور طريقة الجوق وتطورها، وأشهر المؤسسين لهذه الطريقة، وأشهر طرق قراءة الجوق ومن انضووا تحتها وحفظ القرآن بها، ومُشاركة هؤلاء في الاحتفالات الدينية والمراسم الجنائزية، وأجور أصحابها، كما يُعالج مسألة تدهور وانحراف طريقة قراءة الجوق، وموقف العلماء والمشايخ من ذلك، ويُختم بثبت بأسماء قراء الجوق خلال فترة الدراسة.

قراءة الجوق هي إحدى طرق قراءة القرآن الكريم التي ابتدعها المصريون، وانفردوا بها عن غيرهم، وكانوا سببا في نشرها في العالم الإسلامي[١]، وهناك إشارة إلى قدم هذه الطريقة في مصر فقد جاء في ترجمة القاضي المالكي الحارث بن مسكين(ت:٢٥٠هـ/٨٦٤م) أنه كان يضرب القراء الذين يقرؤون بالألحان[٢]، ولعل هذا هو السبب في اختفائها وقلة أتباعها؛ لكن مع انتشار التصوف وإباحة السماع بدأت هذه الطريقة في الظهور مرة أخرى، فيذكر الإمام أبو شامة المقدسي(ت:٦٦٥هـ/١٢٦١م) أنّ من بدع الجنائز في أيامه "ترك الإسراع بها، والإنصات فيها، وقراءتهم فيها القرآن بالألحان"[٣].

وقد جاء في ترجمة الشمس محمد بن يوسف الصالحي(ت:٨٠٧هـ/١٤٠٤م) أنه كان في سنة٧٦٠هـ/١٣٥٩م يقرأ بالألحان، ويعلِّم الصبيان ذلك[٤]، وقد وصلت هذه الطريقة إلى الذروة في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فالسخاوي يذكر في كتابه "الضوء اللامع" ما يقارب الستين شخصا احترفوا القراءة في الجوق[٥].

وأَجْوَاق جمع جَوْقُ؛ وهم الجماعة من الناس[٦]، ويُقصد بجوق القراء: جماعة من القراء يقرؤون القرآن بالألحان، ويتراوح أفرادها ما بين الثلاثة إلى عشرة تقريبا[٧]، وقد حاز قُرَّاء الجوق شهرة زادت على شهرة القُرَّاء العاديين، وكان مرجع ذلك زيادة التغنِّي بالقرآن أكثر من القُرَّاء العاديين مُستخدمين في ذلك ما

يُعرف بالمقامات[٨] لإطراب الناس فقصدهم الجمهور لذلك[٩]، وأصبح هُناك طريقتان للقراءة والحفظ: الطريقة العادية وطريقة الجوق، وعلى هذه الطريقة حفظ كل من: جمال الدين عبد الله بن خليل المارداني(ت:٨٠٩هـ/١٤٠٦م)[١٠]، وقطلوبغا الكركي(ت:٨٠٩هـ/١٤٠٦م)[١١] القرآن الكريم، وبها حفظ الزين محمد بن النحاس(ت:٨٦٤هـ/١٤٦٠م) القرآن وانتظم في سلك قُرَّاء الأجواق[١٢].

اجتهدتُ في التعرُّف على طريقة قراءة الجوق هل كانت جماعية أم أنَّ الشيخ كان يقرأ والجوقة تُردِّد على نغم واحد أم أنَّ القراءة فردية داخل الجوقة فما أن ينتهي الشخص حتى يبدأ الآخر؟

وعلى الرغم من أنِّي لم أجد إجابة على هذا السؤال إلا أنني أظن أنها كانت جماعية، وعلى العموم قد استطاع عدد من قُدامى قُرَّاء الأجواق تأسيس طُرق في القراءة عُرِفَتْ بهم، وكان لكل شيخ عدد من التلاميذ الذين حملوا طريقته ونشروها، وكانت الطريقة تنتشر وتختفي حسب عدد الأتباع المُقلّدين، فمثلا كان شهاب الدين أحمد المعروف باليمني(ت:٨٢٥هـ/١٤٢١م) أحد قراء الجوق، "وكان للناس في سماعه رغبة زائدة، لكنه لم يخلف من يقرأ على طريقته"[١٣].

ومن أشهر القُرَّاء المؤسسين لهذه الطريقة القارئ خليل بن عثمان المُشَبِّب (ت:٨٠١هـ/١٣٩٨م) الذي وصفه ابن حجر بأنه "صاحب صوت شجي في المحراب، وكانت قراءته مُطربة مُرتّلة، صلّيتُ خلفه فكان يُرتِّل الفاتحة ويُرسل السورة"[١٤]، ووصفه ابن الجزري بأنه "مُحرِّر ضابط، مُجودٌ صالح، من خيار عباد الله"[١٥]. انقطع خليل بن عثمان المُشَبِّب بسفح جبل المقطم، وأقرأ أهل القرافة فترة طويلة، وكان للسُّلطان الظاهر برقوق(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) اعتقاد كبير فيه ولا يرفُض شفاعته[١٦]، وهو الذي وضع للقُرَّاء طريقة القراءة بالأنغام مع مُراعاة ما يجب في القراءة من المدّ وغيره(قواعد التجويد)[١٧]، وهذه الطريقة هي التي يقرأ بها عامة قُرَّاء مصر والقاهرة[١٨].

وقد تخرَّج على طريقة المُشبِّب عدد من نُجباء التلاميذ الذين أصبح لعدد منهم طريقة في القراءة نُسبت إليهم وعُرِفَتْ بهم، ومن هؤلاء: شمس الدين ابن الطبَّاخ[١٩] ومن تلاميذه: شهاب الدين أحمد المعروف باليمني (ت:٨٢٥هـ/١٤٢١م)[٢٠]، وشمس الدين محمد الزرزارى (ت: ق:٩هـ/١٥م)[٢١]؛ وهو من أشهر تلامذة الشيخ المُشبِّب، وقد تخرَّج على يديهِ عدد من المشاهير مثل: ابن المُحب (ت:٨٢٥هـ/١٤٢١م)[٢٢]، وابن النحاس (ت:٨٢٦هـ/١٤٢٢م)[٢٣]، والشمس محمد بن سعيد الصالحي المُلقَّب بسويدان الأسود(ت:٨٣٢هـ/١٤٢٨م)؛ وهو من أفضل تلامذة الزرزاري معرفة بالنغم، وقد ظلَّ رئيسا لجوقته حتى مات[٢٤]، وممَّن قرأ عليه كثيرا من الأعلام المؤرخ ابن تغري بردي(ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م)[٢٥].

أمَّا الطريقة العيَّاشِيَّة المنسوبة لزين الدين بن عيَّاش فقد تخرَّج بها: الشمس المتبولي(ت: بعد ٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٢٦]، وعثمان بن عبد

الله الحسيني (ت:٨٧٧هـ/١٤٧٢م)[٢٧]، ومحمد بن مهنا المعروف بابن طرطور(ت:٨٩٥هـ/١٤٩٠م)[٢٨] حتى صار أحد قُرَّاء الجُوق المُعتبرين إجادة وتأدية[٢٩]. كما كان لابن الركاب(ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م) طريقته التي عُرِفَتْ بالتمطيط والإفراط في النغم، لهذا فارقه الشهاب النشرتي(ت:٨٦٠هـ/١٤٥٦م) بعد فترة من القراءة معه[٣٠]، وعُرِفَتْ لأبي الفتح النُعماني (ت: ق٩هـ/١٥م) طريقة تُسمَّى بـ: "النعمانية" كان يُعطى فيها الحروف حقّها[٣١].

ويُمكن أن نُلخِّص الشروط الأساسية لهذه الطريقة في: حُسن الصوت، وحفظ شيء من القرآن الكريم والمقامات الموسيقية[٣٢]، وما أن يدخل المُتدرِّب للطريقة حتى يُتِمَ حفظ القرآن ومعرفة أحكام التلاوة (التجويد) والمقامات الموسيقية[٣٣].

وعلى قدر توفر هذه الشروط في القارئ وسُرعة التعلُّم والإجادة على قدر سُرعة وصولهِ إلى منصب رئاسة الجوقة التي ينتمي إليها، ولكن لم يكن دائما الوصول إلى منصب رئاسة الجوقة يأتي بحُسن الصوت والنغمة، فقد عُرِفَ مثلا أنّ بجوقة الشمس الزرزاري من هو أطيب صوتا من ابن النحاس(ت:٨٢٦هـ/١٤٢٢م) لكنه تقدَّم بالسكون وكثرة المال[٣٤]؛ أي أنه كان للبذل والبرطلة(الرشوة) دور فعَّال في الوصول إلى هذا المنصب.

ومن مشاهير رؤساء الأجواق: علي بن يوسف القاهري المعروف بابن المحوجب (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٣٥]، والشمس المتبولي (ت:بعد ٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٣٦]، والشهاب بن الزيَّات (ت:٨٦٧هـ/١٤٦٣م)[٣٧]، ومحمد بن علي العطَّار (ت:٨٧١هـ/١٤٦٧م) كان رئيسا لإحدى الجوق كأبيه[٣٨]، والبدر السجيني (ت:٨٨٠هـ/١٤٧٥م)[٣٩]، وكذا قانم المُحمدي الظاهري (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٤٠]، ومحمد بن محمد القاهري المعروف بمشاقة (٨٩٢هـ/١٤٨٧م)[٤١]، والشهاب الديسطي (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٤٢]، وبركات بن الظريف (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٤٣]، وأحمد الخواص (ت:ق٩هـ/١٥م)[٤٤]، وأحمد بن علي القمني المعروف بابن الشيخ علي (ت:ق٩هـ/١٥م)[٤٥] وغيرهم.

وممَّا هو جدير بالذكر أنَّ القراءة في الجوق كان يرثها الأبناء احترافا عن الآباء، فقد تدرَّب الشهاب الحجازي (ت:٨٧٥هـ/١٤٧٠م) على يد والده في قراءة الجوق[٤٦]، وقرأ ابن عرفات (ت:ق٩هـ/١٥م) في الأجواق كأبيه[٤٧]، وقرأ عبد القادر بن إبراهيم النمراوي المعروف بابن الفوَّال (ت: ق٩هـ/١٥م) مع أبيهِ في الجوق[٤٨].

كما نُشير إلى أنَّ المماليك وأولاد الناس لم يكونوا بمعزل عن تعلُّم قراءة الجوق، فقد عُرِفَ عن الأمير قطلوبغا الكركي الناصري (ت:٨٠٩هـ/١٤٠٥م) أنه كان يُجيد القراءة بالألحان[٤٩]، وكان برصبغا الظاهري (ت:٨١٦هـ/١٤١٢م) يقرأ مع قُرَّاء الجوق[٥٠]، واشتُهِرَ أبو بكر المُصارع (ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م) بأنه كان يقرأ في الجوق بغير أُجرة[٥١]، وقرأ

أزدمر الإبراهيمي الظاهري المعروف بأزدمر الطويل(ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م) مع قُرَّاء الجوق[٥٢].

- مُشاركة قُرَّاء الجوق في الاحتفالات الدينية والمراسم الجنائزية:

كان لقُرَّاء الجوق دور مهم في إحياء الاحتفالات الدينية كالمولد النبوي، فقد شاركت مثلا خمس وعشرون جوقة في إحياء المولد الذي أقامه السلطان برقوق(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٥٣]، وكذا في سنة٧٩٢هـ/١٣٩٠م[٥٤]، كما شاركوا في الاحتفال الديني الذي أقامه السلطان المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) بخانقاه سرياقوس سنة٨١٨هـ/١٤١٥م[٥٥]. هذا إلى جانب دورهم المُهم في إحياء مراسم العزاء التي كان يُقيمها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة والأعيان، ففي وفاة أبو بكر بن عبد الباسط بن خليل سنة٨٨٦هـ/١٤٨١م صنع له أبو بكر بن مزهر الأنصاري- كاتب السر- عزاء كبير حضره عدد من الأكابر والأعيان، وأحضر عدة جوق من القراء فأحيوا عنده تلك الليلة[٥٦].

- وظائف أخرى لقُرَّاء الجوق:

يُلاحظ من تراجم القُرَّاء أنَّ القراءة في الجوق لم تكن العمل الوحيد الذي يعمل به القارئ، وإنما اشتغل الكثير منهم كمقرئين في الخانقاوات، والمدارس، والمحافل، وبيوت الأمراء والأعيان[٥٧] وغيرها، فمثلا كان ابن الركاب(ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م) من قُرَّاء البيبرسية[٥٨] والجمالية[٥٩]، وبالجمالية قرأ الشمس المتبولي الضرير (ت:بعد٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٦٠]، بينما كان ابن الفاخوري (ت:٨٧١هـ/١٤٦٦م) من قُرَّاء الخانقاه الصلاحية[٦١] والبيبرسية[٦٢]، وممَّن قرأ بهذين المكانين الشهاب الحجازي(ت:٨٧٥هـ/١٤٧٠م)[٦٣].

وفيما يخُص المشاهد، فقد اشتهر مشهد الإمام الليث بن سعد ﷺ بالقرافة بوجود عدد من جوق القراء بصفة دائمة للقراءة فيه منها جوقة علي بن يوسف القاهري المعروف بابن المحوجب (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٦٤]، وكذا قانم المحمدي الظاهر جقمق (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٦٥]، ومن القُرَّاء شمس الدين محمد بن محمد البدراني الشافعي(ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م) الذي لازم القراءة في الجوق بالمقام كل جمعة[٦٦]، وكذا ابن النحاس(ت:٨٦٤هـ/١٤٦٠م)[٦٧].

كما عمل بعضهم بالقراءة في قلعة الجبل وبالأخص في القصر السُلطاني والطباق السُلطانية، فقد كان لعبد الرحمن المصري (ت:٨٩١هـ/١٤٨٦م) نوبة قراءة في القلعة[٦٨]، وكذا بركات بن الظريف (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٦٩]، كما قرأ كل من عبد القادر بن محمد المقسي المعروف بابن سعيدة (ت:بعد٨٨٦هـ/١٤٨١م)[٧٠]، ومحمد بن زكريا السهيلي (ت:ق٩هـ/١٥م) بالقصر السلطاني والدهيشة[٧١]، بينما قرأ الشهاب النشرتي (ت:٨٦٠هـ/١٤٥٦م) بالطِبَاق السُلطانية[٧٢]. كما كان بعضهم يتكسّب بالقراءة في بيوت الأمراء مثل رضوان بن علي بن رضوان (ت:ق٩هـ/١٥م)[٧٣].

ولم يقتصر الأمر على القراءة بل عَمِلَ

بعضهم بحرف ومهن أخرى، فقد عُيِّنَ الشمس الصالحي المعروف بسويدان الأسود (ت:٨٣٢هـ/١٤٢٨م) في حسبة القاهرة سنة٨٠٧هـ/١٤٠٤م[٧٤]، واشتغل أحمد بن موسى المعروف بالمتبولي(ت:ق٩هـ/١٥م) بالشهادة عند القضاة في أحد حوانيت الشهود بالقاهرة[٧٥]، واحترف ابن زيادة(ت: بعد٨٨٩هـ/١٤٨٤م) بيع الحرير في حانوت له[٧٦]، وعمل الشهاب الدماطي(ت:٨٩٠ هـ/١٤٨٥م) بنسخ الكتب والتذهيب[٧٧]، وأعتقد أنَّ السبب في المزاوجة بين العمل بالجوقة وأعمال أخرى هو أنّ عمل الجوقة عمل حر مُتغيِّر متوقف على الإقبال والطلب بينما للأعمال الأخرى على اختلاف أشكالها أجر ثابت ومعلوم يضمن حياة مُستقرة.

- أجور قارئي الجوق:

ذكرنا في السابق أنَّ الكثير من قُرَّاء الجوق انخرطوا ضمن جوق القُرَّاء التي كان يُقررها الواقف في المؤسسات الدينية والتعليمية كالخانقاوات والمدارس، وهي تختلف من مكان لآخر حسب شرط الواقف، فقد تكون خمس جوق كل جوق ثلاثة قراء كما في حجة الأمير قراقجا الحسني[٧٨]، وهؤلاء مُقسّمون على عدد الصوات الخمس، وخصص لكل جوقة مائتي درهم أو ما يقوم مقامها. كما رتّب السُّلطان المؤيد شيخ في جامعه سبع عشرة جوقة كل جوقة سبعة أشخاص يتناوبون في القراءة ليلا ونهارا، وقرر لكل منهم خمسة أنصاف مؤيدية[٧٩].

وفي الموالد والاحتفالات الدينية كانت تنهال عليهم الأموال والخلع، ففي المولد النبوي سنة٧٩٢هـ/١٣٩٠م أنعم السُّلطان على كل جوقة من جوق القُرَّاء بمبلغ خمسمائة درهم[٨٠]، وإذا قُلنا أنَّ الجوقة تتكون من عشرة أفراد فإن أجر القارئ في الجوقة يُقدَّر بخمسين درهما، وفي الاحتفال الديني الذي أقامهُ السُّلطان المؤيد شيخ بخانقاه سرياقوس[٨١] سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م أنعم على عشرين جوقة من القُرَّاء بمبلغ خمسة عشر ألف درهم[٨٢]، وهذا يعني أنّ كل جوقة حصلت على مبلغ سبعمائة وخمسين درهما، ونظرا لذلك يحصل كل فرد في الجوقة المكونة من عشرة أشخاص على خمسة وسبعين درهما تقريبا، ويُمكن إرجاع هذا التغيُّر إلى نوع المُناسبة المُشارك فيها وشُهرة الجوقة، ولكن لا ننسى أنّ هُناك فروقا فردية بين الجوق وداخل الجوقة الواحدة، ولهذا لن يتساوى الجميع، فقد يُزاد لجوقة على حساب أخرى، وقد يُزاد لفرد على حساب آخر أقل اتقانا منه.

وبجانب الأجور حصل هؤلاء على الخِلَع من الأمراء والسلاطين وأعيان الدولة، ففي ليلة المولد السُّلطاني سنة٧٨٥هـ/١٣٨٣م في عهد السُّلطان برقوق أحصى ابن الجزري(ت:٨٣٣هـ/١٤٢٩م) خمسا وعشرين جوقة من القراء لم ينزل أحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان والأمراء[٨٣].

وقد استطاع العديد من رؤساء الأجواق تكوين ثروات من جَرَّاء كثرة الإقبال على طريقتهم وبخاصة من بيوت الأعيان وكبار رجال الدولة، فقد جاء في ترجمة الشهاب بن الزيات (ت:٨٦٧هـ/١٤٦٣م) بأنه "ترقى في رئاسة الجوق وأثرى منها"[٨٤]، أمَّا الشهاب

الديسطي (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٣م) فقد قرأ في الجوق حتى تولى رئاسة جوقته وجمع من ذلك مالا وفيرا[٨٥]، وكثُرَت أملاك وثروات أحمد بن علي القمني المعروف بابن الشيخ علي (بعد٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٨٦] حتى كان يقرأ في المحافل والمشاهد بدون مُقابل مُنفردا عن جوقته.

وقد اتجه بعض هؤلاء إلى وقف الأراضي على أوجه الخير كما فعل خليل بن عثمان المُشبِّب الذي أوقف بعض الأراضي بالجيزة على مصالح الحرمين الشريفين، وجعل النظر فيها لقاضي الحنابلة[٨٧]، وإذا كانت هذه الثروات قد مكنتهم من العيش في حياة مُترفة إلا أنها في الوقت ذاته كانت سببا في توجيه أنظار السلاطين إليهم لعلهم يظفرون بشيء كما فعل السُّلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) مع ابن الشيخ علي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٨٨].

- تجاوزات جوق القُرَّاء وموقف الفقهاء والدولة منها:

اتسعت دائرة جوق القُرَّاء، واشتهرت طريقتهم، واقبل عليها الكثير من الناس للتعلُّم والسماع، فازداد القُرَّاء في استعمال التطريب والألحان أثناء القراءة لجذب الناس إليهم حتى فسد الأمر، فقد عُرِفَ مثلا عن نور الدين علي المعروف ببطيخ(ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م)- أحد رؤساء الجوق- بأنه كان يهتم بالنغم على حساب التجويد، وكان الشمس السخاوي يُبغض طريقته لكنه اعترف بأنه أستاذ في هذا الفن[٨٩]، وكذا ابن الركاب (ت:٨٥٦هـ/١٤٥٢م)- أحد رؤساء الجوق- الذي رافقه الشهاب أحمد بن علي النشرتي(ت:٨٦٠هـ/١٤٥٦م) مُدَّة في طريقته ثم تركها لِمَا فيها من التمطيط ونحوه[٩٠].

ونتيجة لهذا سعى الشيخ خليل بن عثمان المُشبِّب في طريقته إلى وضع نظام يوازن بين صحة القراءة طبقا لقواعد التجويد وبين التغنِّي به باستعمال النغم دون التمادي فيه، والبعد عن التمطيط والتهنيك كما تفعل بعض الطرق الأخرى، لهذا نراه كما قُلنا قبل ذلك يُنكر على جماعة من قُرَّاء الجوق طريقتهم في القراءة بحيثُ إنه كان إذا مرّ من بينهم وهم يقرؤون يسد أذنيه[٩١]، وذلك؛ لأنَّ الغاية من معرفة القارئ للأنغام هي مُساعدته في تصوير الآية، فينتقل من مقام إلى آخر دون أن يُشعِر المُستمع بذلك؛ فيتعايش هؤلاء المُستمعون مع الآيات ويتأثرون بها حتى وإن لم يكونوا على فهمٍ لها، وذلك من جراء التأثير الموسيقي، وقد وضع في ذلك رسالة سمَّاها "تُحفة الإخوان فيما تصح به قراءة القرآن"[٩٢].

ولم يكُن الشيوخ والفقهاء بمعزل عن إفراط قُرَّاء الجوق في استعمال النغم على حساب التجويد، فقد وقف الكثير منهم موقف المُنكر ممَّا يفعله هؤلاء القراء، فكان ابن الحاج المالكي(ت:٧٣٧هـ/١٣٣٧م) من أشد الناقدين لِمَا يُسمَّى بقُرَّاء الجنائز الذين يخرجون في صورة جوق ليقرؤوا القرآن أمام الجنائز فيقول: " ... وليُحذر من البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم، وهي أنهم يأتون بجماعة من الفقراء ويسمونهم الفقراء الذاكرين يذكرون أمام الجنائز

على صوت واحد، ويتصنعون في ذكرهم، ويتكلفون به على طُرق مُختَلِفَة، وكل طائفة لها طريقة في الذكر وعادة تختص بها، فيقولون هذه طريقة كذا وهذه طريقة كذا. كما جرت عاداتهم على اختلاف الأحزاب التي يقرؤونها، ثم العجب منهم كيف يأتون بالفقراء للذكر على الجنازة للتبُّرك بهم وهم عنه بمعزل..."[٩٣]. كما يقول: "... وممَّا أحدثهُ الناس أيضا عند المقابر هؤلاء القُرَّاء الذين يقرؤون القرآن بالترجيع والزيادة والنُقصان والتمطيط، والمدّ في غير موضعه، وتخفيف المشدود والعكس، وترتيبها على طُرق الغناء، وهذا كله حرام..."[٩٤].

أمَّا الشمس الذهبي الشافعي (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م) فكان يرى أنّ هؤلاء في الجُملة من قرأ منهم بقلب وخوف قد يُنتفع به في الجُملة، ويؤكد على ذلك بقوله: "فقد رأيتُ من يقرأ صحيحا ويُطرب ويبكي، ورأيتُ من إذا قرأ أقسى القلوب، وأبرم النفوس، وبدّل كلام الرب"، ويذكر أنّ أسوأهم حالا قُرَّاء الجنائز[٩٥]، ووقف التاج السُبكي الشافعي (ت:٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) منهم موقف الناصح فقال في كتابه: "وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أُنزل من غير مطمطة ولا عجرفة؛ بل بلفظ بيِّن، وقد اشتملت كُتب القُرَّاء على الغرض من ذلك"[٩٦].

ويرى ابن خلدون المالكي (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٦م) كراهية التلحين في القراءة تماشيا مع مذهبه المالكي، فيقول: "وكثير من القُرَّاء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيُجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير فيُطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم...، وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى...، وقد أنكر مالك القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي ﷺ، وليس المُراد تلحين الموسيقى الصناعي(الآلات) فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظرهِ إذ صناعة الغناء مُباينة للقرآن بكل وجه"، ولهذا كان على المُحتسبين أن يمنعوا القُرَّاء من قراءة القرآن بالألحان كما تُلحَّن الأغاني والأشعار[٩٧].

ويُعدِّد ابن خلدون الفروق بين التلحين والقرآن ثم يقول: "وإنما مُرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه، فيُردِّد أصواته ترديدا على نِسَب يُدركها العالم بالغناء وغيره...، والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام مالك؛ لأنَّ القرآن محلّ خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذُّاذ بإدراك الحسن من الأصوات، وهكذا كانت قراءة الصحابة كما في أخبارهم، وأمَّا قوله صلى الله عليه وسلم: {لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود}، فليس المُراد به الترديد والتلحين وإنما معناه حُسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنُطق بها"[٩٨]، وتحت ضغط الفقهاء أصدر السُلطان الظاهر برقوق أوامره سنة٧٩٠هـ/١٣٨٨م بمنع قُرَّاء الأجواق من التهنيك، وجعل عوضا عنه الصلاة على النبي محمد ﷺ[٩٩].

وقد ظلت آفة قُرَّاء الأجواق من التمطيط والزيادة والترجيع ونحوه موجودة حتى نهاية

العصر المملوكي، وقد سُئِلَ الجلال السيوطي الشافعي (ت:٩١٢هـ/١٥٠٥م) عن قوم يقرؤون القرآن بأصوات حسنة مُحترزين من الزيادة والنقص فيه، عالمين بأحكام القراءة هل يُمنعون من ذلك؟ فقال: "قراءة القرآن بالألحان والأصوات الحسنة والترجيع إن لم تُخرجه عن هيئتِهِ المُعتبرة سُنَّة حسنة، وإن أخرجته فحرام فاحش"(١٠٠)، وفي شأن استعمال النغم في القراءة ألف ابن الكيال الشافعي (ت:٩٢٩هـ/١٥٢٢م)(١٠١) في سنة٨٩١هـ/١٤٨٦م كتابا بعنوان" الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر" حط فيه على أفعال هؤلاء(١٠٢).

وكان الشيخ عبد الوهاب الشعرانى الشافعي (ت:٩٧٣هـ/١٥٦٧م) يُنكر على قُرَّاء الأجواق، فيقول "أخذتُ عليه العهود ألا يُمكِّن أحد من إخوانهِ المنقادين له "من القراءة بالأنغام الخارجة عن قواعد السلف، ومثل القراءة في ذلك الأذان والتبليغ خلف الإمام، والصوت الحلو إنما هو أمر خلقي، وأمَّا التلحينات التى يفعلها قراء الأجواق ويمططون الحرف ويمدونه في غير المد فذلك حرام كما أفتى به بعضهم"(١٠٣).

وقد بلغ اليأس من قلوب أحد كبار القُرَّاء بمكة في إصلاح انحرافات قُرَّاء الجوق بمصر حتى قال لعبد الغني بن محمد القاهري المعروف بابن القصاص (ت:٨٧٥هـ/١٤٧٠م) وكان يقرأ عليه بالتجويد: "أحيا الله قلبك كما أحييت السنة، والله لا يزول تمطيط قُرَّاء الجوق حتى ينزل سيدنا عيسى عليه السلام"(١٠٤).

الخاتمة:

انتهت الدراسة إلى أنَّ طريقة قراءة الجوق لم تظهر بوضوح إلا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكان لكل جوقة رئيس له طريقة في القراءة تختلف عن الجوق الأخرى، وأنَّ الطريقة الواحدة بعد مُدَّة من الزمن تتولد منها طُرق جديدة، كما اعتبرت الدراسة عُثمان المُشبِّب أحد القراء المؤثرين المؤسسين لقراءة الجوق للجُهد الذي بذله في تدعيم أسس القراءة ومعالجة بعض ما أصابها من انحراف عن المسار الصحيح.

كما خلُصَت إلى أنَّ السبب في تدهور قراءة الجوق هو انصراف المُقرئين عن الهدف الأصلي وهو قراءة القرآن وتجويده بصوت حسن إلى إطراب الناس وبذل الجُهد في ذلك حتى لو تعارض مع أحكام التجويد، وقد حاول المُشبِّب إصلاح هذا الخلل بطريقته التي عُرِفَ بها لكنَّ التدهور كان قد سرى في هذه الطريقة، وهذا جرَّ عليها الكثير من النقد اللاذع من الفقهاء والمشايخ؛ والذي ظل مُستمرا حتى نهاية العصر المملوكي.

كما نبهت الدراسة على أنَّ هؤلاء القُرَّاء جمعوا بين القراءة في الجوق والقراءة في المؤسسات الدينية كالخانقاوات وغيرها، وذلك لضمان الحصول على دخل ثابت يضمن لهم إقامة حياة كريمة.

الهوامش

١. أعتقد أنّ هذه الطريقة ظلت حتى أوائل القرن العشرين الميلادي؛ حيث توحدت تحت مُسمَّى "مشيخة عموم المقارئ المصرية".

٢. المقريزي: المقفى الكبير، ج٣، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص١٣٥.

٣. أبو شامة: الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، دار مجد الإسلام، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٣١.

٤. ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، مج٤-ج٤، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩٩٧م، ص٤٥٧.

٥. انظر الملحق رقم ١.

٦. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة النشر، استانبول، ١٩٧٢م، ص١٤٨.

٧. حجة وقف المؤيد شيخ رقم ٩٣٨، جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ، أرشيف وزارة الأوقاف، نشرها: فهمي عبد العليم، ضمن ملاحق كتاب جامع المؤيد، مطابع هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٣٠؛ مصارف أوقاف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مصالح القبة والجامع والمدرسة ومكتب السبيل، "دراسة ونشر وتحقيق"(الوثيقة رقم ٦/٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، وصورتها رقم ٨٨١ ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة)، نشرها محمد محمد أمين ضمن ملاحق الجزء الثالث من كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٤٠٤؛ وثيقة أمير آخور قراقجا الحسني الجركسي، نشرها عبد اللطيف إبراهيم علي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨، ع٢، ١٩٥٦م، ص٢٠٩-٢١٠.

٨. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٢، منشورات دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٤٨.

٩. السخاوي: الضوء اللامع ج٢، ص١٤٨.

١٠. ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج٢، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٦٨.

١١. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٧٢.

١٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢١١.

١٣. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٨٥.

١٤. ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج٣، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م، ص١١٣؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، حوادث (٧٤٥-٨٥٠هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مروه، دار العماد، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٠٣؛ الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠.

١٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠.

١٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠.

١٧. ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة مج٤-ج٤، ص٤٥؛ ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٧١؛ المجمع المؤسس، ج٣، ص١١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٥١٠.

١٨. المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٢، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٦٢؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث(٨٠١-٨٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: إسلام يوشع موسى

بينو، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠م، ص٦٩.

كان الشيخ مصطفى إسماعيل في ق١٤هـ/٢٠م يشبه المشبب في تأثيره، فقد أحدث تأثيراً حقيقياً في الوسط الموسيقي بما أحدثه من تصرفات موسيقية خلال قراءته. انظر: حسن زكي: إخضاع الموسيقى للتعبيرية في التلاوة "المدرسة المصرية"، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ع٢٩٨، يوليو ٢٠١٥م، ص١١٩.

١٩. السخاوي: الذيل التام، حوادث(٧٤٥-٨٥٠هـ)، ص٤٠٣.

٢٠. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٨٥.

٢١. السخاوي: الذيل التام، حوادث(٧٤٥-٨٥٠هـ)، ص٤٠٣.

٢٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٦.

٢٣. ابن حجر: إنباء الغمر ج٣، ص٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٧.

٢٤. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٨١٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر ج٣، ص٤٣٠؛ ذيل الدرر الكامنة، ص٣٢١-٣٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٥٤؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج٣، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٧١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٠؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الزهور، ج١-ق٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٦٩٤.

٢٥. النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٥٤.

٢٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٢.

٢٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٢.

٢٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١١٠.

٢٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١١٠.

٣٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٩.

٣١. السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٢٧.

٣٢. ظلت هذه الشروط متبعة حتى القرن العشرين الميلادي، فكان الشيخ علي محمود- شيخ عموم المقارئ المصرية- "لا يُجيز قارئاً ولا مُبتهلاً ولا حتى مؤذناً إلا إذا كان صوته سليمًا مُدرّبًا ومُلمًا بالمقامات الموسيقية. انظر: حسن زكي: إخضاع الموسيقى للتعبيرية، ص١١٩.

٣٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٤٨.

٣٤. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٧.

٣٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٥٤.

٣٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٨.

٣٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣٠.

٣٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٣٠.

٣٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١١١.

٤٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٠.

٤١. السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٦٩.

٤٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٢٣.

٤٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٣.

٤٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٦٢.

٤٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٨.

٤٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٤٨.

٤٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٣.

٤٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦١.

٤٩. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٧٢.

٥٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٠.

٥١. ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٣٢٧؛ السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج٤، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٧؛ الضوء اللامع، ج١١، ص١٠١.

٥٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٣.

٥٣. السخاوي: التبر المسبوك، ج١، ص٥٥-٥٦.

٥٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٣.

٥٥. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٣٥٨.

٥٦. ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥١٠.

٥٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١١٠.

٥٨. هي خانقاه أنشأها ركن الدين بيبرس الجاشنكير قبل أن يلي السلطنة بموضع دار الوزارة تجاه رحبة باب العيد سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وقرر بها أربعمائة صوفي وأوقف عليها. انظر: ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٤٧.

٥٩. السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٥٢؛ الضوء اللامع، ج٥، ص٢٦٦.

٦٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٨.

٦١. كانت دار تعرف في العصر الفاطمي باسم سعيد السعداء، وقد حولها صلاح الدين من دار إلى خانقاه لفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، ولذلك عرفت بالناصرية والصلاحية. انظر: عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٢٨.

٦٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٨٩.

٦٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٤٨.

٦٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٥٤.

٦٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٠.

٦٦. السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٦٧.

٦٧. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢١١.

٦٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٦٣.

٦٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٣

٧٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٩٠.

٧١. السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٢. والدهيشة: عمرها الصالح إسماعيل سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٤م، ص٦٨٠.

٧٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢،ص٩.

٧٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢٦.

٧٤. المقريزي: السلوك، ج٣، ص١١٣٠؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص٦٢٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١-ق٢، ص٦٩٤.

٧٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢٨.

٧٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٤٥.

٧٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٧١.

٧٨. عبد اللطيف إبراهيم علي: وثيقة أمير آخور قراقجا الحسني الجركسي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨، ع٢، ١٩٥٦م، ص٢٠٩-٢١٠.

٧٩. حجة وقف المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨، سنة ٨٢٣هـ، أرشيف وزارة الأوقاف. وأيضاً: علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج٥، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٨٨٨م، ص١٢٧.

٨٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٣.

٨١. هذه الخانقاة بناها الناصر محمد بن قلاوون بسرياقوس بأعمال القليوبية سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م.

انظر: المقريزي: الخطط، ج٣، ص٥٤٠ وحاشيتها.

٨٢. المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٣٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣٨؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٣٥٨.

٨٣. السخاوي: التبر المسبوك، ج١، ص٥٥-٥٦.

٨٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣٠.

٨٥. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٢٣.

٨٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٨.

٨٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠.

٨٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٨.

٨٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٩٨.

٩٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٩.

٩١. المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٢، ص٦٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٠.

٩٢. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص٣٦١؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص٣٥٣؛ ومن هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٨٥٦٧، ورقة٢٣-٢٨.

٩٣. ابن الحاج: المدخل، ج٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، ٢٥٠.

٩٤. ابن الحاج: المدخل، ج١، ص٢٦٨.

٩٥. الذهبي: زغل العلم، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية، الرياض، ١٩٨٤م، ص٢٦.

٩٦. السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد على النجار وغيره، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١١٠؛ ابن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٥٦.

٩٧. المقدسي: بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان والأمراء وسائر الرعية، تحقيق: سالم بن طعمة الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة في الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩٦م، ص٢٩٢.

٩٨. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١، قدم للطبعة: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٥٥-٣٥٦.

٩٩. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج٩، ق١، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٦م، ص٢٥؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص١٦٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٩٠.

١٠٠. السيوطي: الحاوي للفتاوى، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م، ص٢٥١.

١٠١. عن ترجمته انظر: الغزي: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج١، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، نشر محمد أمين دمج، بيروت، د.ت، ص١٦٧.

١٠٢. تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٩٤-٩٥، ١٠٥.

١٠٣. الشعراني: البحر المورود في المواثيق والعهود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٧٩.

١٠٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٥٦.

ثبت بأسماء قُرَّاء الجوق

الاسم	تاريخ الوفاة	المصدر
خليل بن عثمان المشبب	٨٠١هـ/١٣٩٨م	المقريزي: درر العقود الفريدة، ج٢، ص٦٢
يوسف بن مبارك الصالحي	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص١٣٢.
عبد الرحمن بن محمد الرشيدي المؤقت	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	ابن قاضي شهبة: تاريخه، ج٤، ص٢١٩.
جمال الدين عبد الله بن خليل المارديني	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٨
شمس الدين محمد بن علي الحجازي القاهري	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٧٩.
محمد المعروف بابن المحب	٨٢٥هـ/١٤٢١م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٥.
شهاب الدين أحمد المعروف باليمني	٨٢٥هـ/١٤٢١م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٨٥.
محمد المعروف بابن النحاس	٨٢٦هـ/١٤٢٢م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٢.
علي بن محمد بن قاسم المعروف بالمرخم	بعد٨٣٠هـ/١٤٢٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٧.
محمد بن سعيد المعروف بسويدان الأسود	٨٣٢هـ/١٤٢٩م	ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، ص٣٢١.
شرف الدين محمد بن موسى اللقاني الأزهري	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٤، ص٦٣.
علي بن يوسف القاهري (ابن المحوجب)	٨٥١هـ/١٤٤٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٥٤.
عبد القادر بن خليل الحريري	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦٧.
أبو بكر المصارع ويعرف بالشاطر وابن الإمام	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٣٧
علي القاهري الشهير بابن الركاب	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢٦٦
علي القاهري الشهير ببطيخ	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٩٨
محمد بن محمد البدراني الشافعي	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٦٧.
أحمد بن علي النشرتي القاهري الشافعي	٨٦٠هـ/١٤٥٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٩.
محمد بن يوسف المتبولي القاهري الضرير	بعد ٨٦٠هـ/١٤٥٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٨.
محمد بن أحمد بن خلف المعروف بابن النحاس	٨٦٤هـ/١٤٦٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٦٣.
أحمد بن موسى بن هارون (ابن الزيات)	٨٦٧هـ/١٤٦٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣٠.
علي بن محمد بن علي العدوي القاهري	٨٧٠هـ/١٤٦٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٣٢٣
عبد القادر بن محمد بن سعيد (ابن الفاخوري)	٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٨٩.
محمد بن علي العطار	٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٣٠.
خليل بن محمد بن إبراهيم العطار المقرئ	بعد٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٢.
أحمد بن محمد العبادي المعروف الحجازي	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٤٨.
عثمان بن عبد الله الحسيني القاهري الشافعي	٨٧٧هـ/١٤٧٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٢
حسن بن علي السجيني	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١١١.
أبو النجا الكولمي	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٤٦.
أحمد بن حسن الهيتمي القاهري الشافعي	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٧٣.
محمد بن إبراهيم النيني القاهري (الفتوحي)	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٤٣.
عبد القادر بن محمد بن عبد الله المقسي	بعد٨٨٦هـ/١٤٨١م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٩٠.

الاسم	تاريخ الوفاة	المصدر
محمد بن علي بن قاسم المعروف بابن المرخم	٨٨٨هـ/١٤٨٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٠٥.
أحمد بن حسن الدماطي الأزهري	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٧١.
قانم المحمدي الظاهر جقمق	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٠.
التاج محمد بن أحمد بن عمر الزاهد	٨٩٠هـ/١٤٨٥م تقريبا	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٣٥.
محمد بن زيادة القاهري الحريري (ابن زيادة)	بعد٨٨٩هـ/١٤٨٤م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٤٥.
أحمد بن علي القمني القاهري الشافعي	بعد٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٨.
البدر الحسن بن حسين الطولوني	بعد٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٩٨.
عبد الرحمن الأمين المصري	٨٩١هـ/١٤٨٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٦٣.
محمد الجوهري المقرئ ويعرف بابن عرفات	٨٩١هـ/١٤٨٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٣.
محمد بن محمد القاهري ويلقب بمشاقة	٨٩٢هـ/١٤٨٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٦٩.
أبو الفتح بن إبراهيم القطوري القاهري	٨٩٣هـ/١٤٨٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٢٢.
عبد العزيز بن عز الدين النفيائي المصري	٨٩٣هـ/١٤٨٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٤٠.
محمد بن أحمد بن مهنا المعروف بابن طرطور	٨٩٥هـ/١٤٩٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١١٠.
عمر بن عبد الله الدمياطي القاهري	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٩٨.
منصور بن المؤيد أحمد بن الأشرف إينال	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٧٢.
أحمد بن أحمد الديسطي الأزهري المقرئ	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٢٣.
بركات بن الظريف	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٩٥.
عبد الظاهر بن أحمد بن عبد الظاهر التفهني	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢١١
أحمد بن علي الزيادي القاهري الشافعي	بعد٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٢.
إبراهيم بن علي النمراوي المالكي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦١.
أحمد بن عباد بن شعيب الخواص	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٦٢.
أحمد بن موسى القاهري الشافعي (المتبولي)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢٨.
رضوان علي رضوان القاهري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢٦
عبد القادر بن إبراهيم النمراوي (ابن الفوال)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦١
عبد القادر بن علي بن صدقة (ابن الحيلوك)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٧٨.
عبد القاهر بن عبد الظاهر بن أحمد التفهني	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٠٢.
محمد بن أحمد بن حسن الحجازي المصري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٣٠٥.
محمد بن إسماعيل بن رضوان المحلي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٧١.
محمد بن زكريا السهيلي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٢.
محمد بن علي بن زيادة الغمري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٣.

المصـــادر والمراجع

الوثائق المنشورة:

- حجة وقف المؤيد شيخ رقم ٩٣٨، جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ، أرشيف وزارة الأوقاف، نشرها: فهمي عبد العليم، ضمن ملاحق كتاب جامع المؤيد، مطابع هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.

- مصارف أوقاف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مصالح القبة والجامع والمدرسة ومكتب السبيل، "دراسة ونشر وتحقيق"(الوثيقة رقم ٦/٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، وصورتها رقم ٨٨١ ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة)، نشرت ضمن ملاحق الجزء الثالث من كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

- وثيقة أمير آخور قراقجا الحسني الجركسي، نشرها: عبد اللطيف إبراهيم علي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨، ع٢، ١٩٥٦م.

المصادر:

- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الزهور، ج١-ق٢، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت:٩١١هـ/١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

- الحاوي للفتاوى، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.

- أبو شامة(عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ت:٦٦٥هـ/١٢٦١م): الباعث على انكار البدع والحوادث، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، دار مجد الإسلام، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- الشعراني(عبد الوهاب بن أحمد ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٧م): البحر المورود في المواثيق والعهود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

ابن الصيرفي(على بن داود ت:٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج٣، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- ابن طولون(محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م): نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢م.

- العيني(محمود بن أحمد بن موسى ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث(٨٠١-٨٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: إسلام يوشع موسى بينو، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠م.

- الغزي(نجم الدين بن محمد بن أحمد القرشي الشافعي ت: ١٠٦١هـ/١٦٤٩م): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج١، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، نشر محمد أمين دمج، بيروت، د.ت.

- ابن الفرات(محمد بن عبد الرحيم ت: ٨٠٧هـ/١٣٥٦م): تاريخ ابن الفرات، مج٩، ق١، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٦م.

ابن قاضي شهبه(أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي ت: ٨٥١هـ/١٤٤٨م):

- طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

- تاريخ ابن قاضي شهبة، مج٤- ج٤، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩٩٧م.

- ابن الكيال (بركات بن أحمد بن محمد ت:٩٢٩هـ/١٥٢٢م): الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٩م.

- المقدسي (أبي حامد محمد بن أحمد ت:٨٩٣هـ/١٤٨٨م): بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان والأمراء وسائر الرعية، تحقيق: سالم بن طعمة الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة في الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩٦م.

المقريزي (أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

- المقفى الكبير، ج٣، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٢، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٤م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٤، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

المراجع:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة النشر، استانبول، ١٩٧٢م.

- إسماعيل البغدادي: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- حسن زكي: إخضاع الموسيقى للتعبيرية في التلاوة "المدرسة المصرية"، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ع٢٩٨، يوليو ٢٠١٥م.

- عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٧م.

- علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج٥، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٨٨٨م.

أهمية الواجهة الدينية للحكم في مصر زمن سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

دكتور / مصطفى وجيه مصطفى

مصر

ابتليت المنطقة العربية الإسلامية في العصور الوسطى المتأخرة، بأبشع أنواع الغزو العسكري من جانب الصليبيين ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م والمغول ٦٥٧هـ /١٢٦٠م، ولم ينقذ المنطقة من هذه الكوارث إلا انتقال حكم مصر- قلب العالم الإسلامي النابض- من الأيوبيين إلى المماليك، الذين نجحوا باقتدار في الذود عن شرف الأمة العربية، وحياض الحضارة الإسلامية، وتلقين أعداء هذه الحضارة دروسًا لا تُنسى في فنون الحرب والقتال، وقوة العقيدة، ونبل القيم والمبادئ، وناهيك عن دورهم الريادي في وحدة العالم الإسلامي الاقتصادية من خلال السيطرة على مصادر الثروة وحركة التجارة وخطوط المواصلات في تلك الحقبة؛ حتى صارت تلك الدولة الناشئة قوة ضاربة يحترمها الأصدقاء ويخافها الأعداء في ذلك الوقت.

ولكن تلك البطولات والمجهودات لم تكن لتشفع لهم أو تغير من نظرة المعاصرين لهم بوصفهم عبيدًا لا يحق لهم الجلوس على عرش البلاد. ومن ثم فإنه تعين على سلاطين المماليك أن يواجهوا متاعب عدم الاعتراف بهم كحكام شرعيين منذ البداية.

وقد حاول المماليك صرف نظر الفرد العادي عن النظر إليهم بتلك النظرة، بأمرين أساسيين في إطار الحكم الإسلامي وهما: الشرعية والشعبية، وقد تحققت الشرعية مع الحرص على تواجد الخليفة العباسي في جميع الاحتفالات الرسمية والشعبية، وإن كان طيلة تلك القرون لا يملك من نفسه شيئًا. أما الشعبية فقد تجلت في أمرين رئيسين هما: إقامة المنشآت العامة والمؤسسات العلمية والاجتماعية، وترك جميع الوظائف في دواوين الدولة لأبناء الشعب المحكوم.

بالإضافة إلى ذلك كانت رغبة المماليك في التقرب إلى الشعب من الأسباب التي أدت إلى ازدهار الاهتمام الديني في أيام المماليك؛ لأن الدين في ذلك العصر كان سلاحًا فتاكًا؛ حيث تعددت وتنوعت المظاهر والوسائل الداخلية التي مارسها المماليك للتقرب إلى الشعب خدمة لكل فئة، فوجدت الجوامع والمساجد لأهل الدين وأحبائه، والمدارس لطالبي العلم والتعليم،

والأربطة والزوايا مأوى للفقراء والمحتاجين، والخانقاوات للصوفية المتعبدين، وبالنتيجة زادت أوقاف العصر زيادة كبيرة؛ استلزمها الإنفاق على هذه المراكز. فما أن ينتهي العمل من إنشاء مسجد أو تشييد مدرسة أو بيمارستان، أو إقامة خانقاه، حتى يكون الرصد في الأوقاف قد استوفى عددًا هائلًا من الدور والأراضي والأجزاء، لتكون مصدرًا شرعيًا ثابتًا للصرف، يمكّن هذه المؤسسات من القيام بوظائفها كاملة، وبصفة مستمرة، وقد اشترك في تدعيم هذه الرابطة الدينية مع الشعب، السلاطين والأمراء وزوجات السلاطين على حد سواء حسب قدرتهم المالية.

ولا شك أن حكام هذه الدولة، استطاعوا بفضل تلك الأعمال والإصلاحات الواسعة النطاق، أن يمكنوا لأنفسهم في حكم البلاد، وأن يحوّلوا دولة المماليك من دولة ناشئة إلى دولة قوية مدعمة الأركان، وهو ما مهد الطريق كي يتموا رسالتهم ويصلوا إلى الهدف المنشود، وهو القضاء على المغول والصليبيين.

ولكي يتم التمكين لهم في حكم البلاد، حرص سلاطين المماليك على بسط نفوذهم السياسي وزعامتهم الدينية على الحجاز، أسوة بما كان عليه الوضع منذ أيام الطولونيين، وكان شرفًا عظيمًا ودعامة كبرى لأي حاكم مسلم أن يظهر أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في صورة حامي الحرمين، المدافع عن الحجاز وأرضه الطيبة. فاهتم المماليك بموسم الحج والاحتفالات المصاحبة له، والتي ابتدع المماليك بعض طقوسها، لما للحج من أهمية وقداسة في نفوس المسلمين جميعًا.

وهكذا شهدت مصر في عصر سلاطين المماليك نشاطًا دينيًا منقطع النظير[١]- وكما مر – فإن مكمن السر في هذا النشاط الديني الكبير سياسي بحت، وهو شعور المماليك أنفسهم بأنهم أغراب عن البلاد وأهلها، مغتصبون للحكم والعرش من أصحابه الشرعيين، ولذلك أرادوا أن يتخذوا من الدين ورجاله ستارًا يخفي هذه الحقائق عن أعين المحكومين، ويقربهم إلى قلوب الشعب؛ لأن المعروف عند علماء الاجتماع أن الدين دائمًا يكون ركنًا أساسيًا في بناء المجتمع ودعمه، حتى قال بعضهم أن الدين في المجتمع شبيه بالإسمنت الذي يربط أجزاء البناء[٢]. وما دام المماليك مسلمين، يؤمنون بالله ورسوله، ويحرصون على إقامة شعائر الدين وإحياء سنن الأولين، ويعمرون مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، فهم إذًا حكام صالحون ولا داعي للتفكير كثيرًا في أصلهم وطريقة وصولهم للحكم[٣]، وبخاصة أن بطولاتهم في المنصورة ضد الصليبيين، وانتصاراتهم على التتار لم تشفع لهم عند معاصريهم؛ الذين بدا لهم أن أولئك الغرباء المجلوبين عبيدًا في طفولتهم مغتصبين للسلطة من الأيوبيين؛ فنظر المصريون إليهم بازدراء وأنفوا أن يحكمهم الرقيق، فكانوا يسمعون أيبك سلطان المماليك إذا ركب ما يكره، ويقولون له: لا نريد إلا سلطانًا رئيسًا ولد على الفطرة[٤]. وإذا كان أيبك واجه هذا بتقتيل المصريين، ليوقع الهيبة في النفوس، وفعل بالمصريين عن طريق مماليكه، ما لم تفعله الفرنجة، لو استولوا على مصر[٥]. ووطد حكمه بالحديد والنار، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا لحكم شعب مصر المسلم وغيره من شعوب الإسلام الأخرى.

من ناحية ثانية، أنفت قبائل العربان في الصعيد والبحيرة أيضًا من حكم المماليك؛ حيث رأوا فيهم عبيدًا، فاعتبروا الأيوبيين خوارج والمماليك عبيدًا للخوارج، لا توجب لهم طاعة، وقالوا نحن أصحاب البلاد، وقام كبير العربان ويدعى حصن الدين ابن ثعلب بالاتصال بقبائل الأعراب، ليثيرها ضد الدولة المملوكية الناشئة، وقال: إننا أحق بالملك من المماليك، وكفى أننا خدمنا بني أيوب وهم خوارج والمماليك عبيدًا للخوارج[٦].

ومن جهة ثالثة، لم يرض علماء الدين بحكم هؤلاء، وطعن سلطان العلماء الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في شرعية تولي بعض أمراء المماليك الحكم؛ لأن حكم الرق قائم عليهم، ولا يصح لهم بيع ولا شراء ولا نكاح، كما أفتى بأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فتعطلت مصالحهم بذلك[٧].

من أجل هذا كله، سعى المماليك لصبغ حكمهم بصبغة دينية، كي تمكن لهم من بسط نفوذهم، وتوطيد حكمهم. وكان إحياء الخلافة العباسية في مصر بمناسبة الحل السعيد الذي وجده المماليك للخروج من أزمتهم[٨]، كما كان سعيهم لفرض حمايتهم على الحجاز والحرمين الشريفين، وتقريب علماء الدين إليهم، والرجوع إلى فتواهم في قراراتهم فيما يختص في عزل وتولية السلاطين وفرض الضرائب والرسوم وإصدار الأحكام في ثوب ديني، وما أقاموه من منشآت دينية وتعليمية إسلامية من مدارس وبيمارستانات ومساجد جعلتهم يبدون في نظر العامة حريصين على شرائع الإسلام قناعًا سياسيًا لتدعيم الواجهة الدينية التي أثروا التخفي وراءها. والتي كانت ضرورة سياسية في بداية العصر لتبرير حكم أولئك المجلوبين عبيدًا في طفولتهم[٩].

من ناحية ثانية أوجدت فكرة الجهاد والدفاع عن العالم الإسلامي للمماليك شرعية كحماه ومدافعين[١٠] حيث سعى المماليك لأن يظهروا في نظر المسلمين عامة والمصريين خاصة، بأنهم فرسان الإسلام، بالمضي في حركة الجهاد، والدفاع عن المسلمين ضد بقايا الصليبيين وطردهم من الشام والذين لم يستطع الأيوبيين الأواخر طردهم منها، وضد المغول الوثنيين الذين هددوا الشرق الإسلامي بغزواتهم المدمرة[١١]. وقد اكتسبت دولة المماليك بفضل هذه الانتصارات القبول لدى المصريين في الداخل، واحترام المسلمين في الخارج. فمثلًا عندما حج سلطان اليمن سنة ٦٥٩هـ وطلعت أعلامه وأعلام سلطان مصر المملوكي، فقال له أحد أمرائه: "هل أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين؟" فقال له ابن رسول "أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس وأقدم أعلامي لحضوري ومغيبة، لا أفعل هذا أبدًا"[١٢].

وقد حافظ سلاطين الجراكسة على فكرة الجهاد أيضًا، فقاموا بحملات حربية ضد قبرس ورودس. واستطاعوا فتح الأولى والتي صارت تدفع الجزية للسلطان المملوكي[١٣]. وقد أوجدت هذه الانتصارات شرعية لحكمهم وبدا المماليك كمدافعين عن الإسلام والعالم الإسلامي كحماة له.

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة الجهاد والدفاع

عن ديار الإسلام هي التي أخرجت الدولة الأيوبية إلى الوجود، وعندما فشل سلاطين بني أيوب الأواخر في استكمال دورهم فقدوا شرعيتهم كمدافعين عن العالم الإسلامي، وتراجع دورهم التاريخي أمام دور المماليك الذين ارتبط بقاء دولتهم ببقاء جهادهم، وحين انحسر هذا العامل زالت دولة المماليك وبدت دولة تركية جديدة كحام للمسلمين(١٤).

على أية حال، اجتهد المماليك في تأكيد البعد الديني لحكمهم، وقام بعضهم من حين إلى آخر بإلغاء بعض الضرائب التي كانت تثقل كاهل المصريين والتي كان لها آثار حسنة في نفوس المواطنين(١٥). وقام بعضهم بحملات تأديبية لإزالة أماكن الفسق والخلاعة حتى تابت البغايا والخواطي - في كثير من الأوقات - جراء العقوبات الشديدة التي تفرض على من يفعل ذلك، بل إن بعض الشعراء احتج بأدبيات على شدة الدولة في معاقبة شارب الخمر، وهي العقوبة التي بلغت حد الصلب(١٦).

ولكن ليس هناك من شك في أن تدين السلاطين والأمراء – أو على الأقل رغبتهم في الظهور بمظهر المتدينين – كان من العوامل الرئيسية التي ساعدت على صبغ حكم المماليك بمسحة براقة من الصلاح والتقوى، أمام الرعية، وإن كانت هذه المسحة في الحقيقة طلاءً خادعًا، يخفي وراءه انحلالًا خلقيًا بعيد النظر(١٧).

لقد كان للغطاء الديني المتمثل في إقامة الخلافة، وحماية الحرمين والاستعانة بعلماء الدين لإكساب الشرعية وكسب القاعدة العريضة من الشعب، ثم الجهاد كعنصر فعال أمام العالم الإسلامي كمدافعين عن العقيدة وحماة للعالم الإسلامي، أثر واضح في إعلاء صورة المماليك. وسوف نشير إلى ذلك بشيء من التفصيل.

أما عن إحياء الخلافة وأهميتها بالنسبة لحكم المماليك كأحد أوجه الواجهة الدينية التي اهتموا بها:

فقد كانت بداية عصر سلاطين المماليك في مصر مصحوبة بأحداث تاريخية جعلت من مصر المعقل الأخير للحضارة العربية الإسلامية، بعدما تعرض العالم الإسلامي لضربات قاصمة على أيدي الوثنيين التتر الذين نجحوا في اجتياح الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وكان من أثر ذلك نهاية وضع مصر كدولة تابعة لخلافة بغداد(١٨). وربما أحرج هذا الوضع الجديد مركز المماليك كحكام شرعيين؛ فالإسلام لا يبيح ولاية العبيد من غير تفويض. فلما قضى على صاحب التفويض الشرعي ربما شعر المماليك بحاجتهم إلى رئيس أعلى يفوض إليهم السلطة لاسيما وهم في أول عهدهم بالحكم: يتهددهم خطر المغول والصليبيين والإسماعيلية من جهة، ونقد العلماء ورجال الدين وثورة أنصار الأيوبيين من جهة أخرى.

لذا ما إن انتصر قطز على التتار في موقعة عين جالوت حتى سعى إلى إحياء الخلافة عندما علم بقدوم أحد أبناء البيت العباسي إلى دمشق كي يوطد أركان حكمه، لاسيما وأن قطز نفسه لم يكن قد قلد التقليد الشرعي من خليفة، بسبب قتل المغول للمستعصم بالله في بغداد، إلا أن قطز عاجلته منيته على يد بيبرس(١٩) وظل منصب الخلافة شاغرًا ثلاث سنوات ونصف

سنة[٢٠]. إلى أن ولي الظاهر بيبرس السلطنة فرأى أن يقيم الخلافة العباسية في القاهرة، كي تشد أزره وتكسب حكمه صفة الشرعية وتساعده على أن يؤول إليه النفوذ الذي كان للحفصيين على الحرمين[٢١]؛ حيث كانت بلاد الحجاز في مقدمة الولايات التي تحرص الخلافة على حمايتها. علاوة على الحصول على تفويض من الخليفة بالحكم، وإذا كان إحياء الخلافة يأتي من جانب الدولة صاحبة الفضل في وقف الخطر التتري، وصاحبة القوة اللازمة لمواجهة الخطر الصليبي؛ فإن تأييد الناس لهذه الدولة سيكون بلا حدود. وكانت تلك مناورة سياسية ذكية من قبل سلاطين المماليك، إذ جعلوا دولة المماليك تبدو صاحبة الفضل على العالم الإسلامي بإحيائها الخلافة العباسية[٢٢].

على أية حال استدعى بيبرس أميرًا عباسيًا اسمه أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بالله[٢٣]، وخرج هو والعلماء والأعيان والمؤذنون، والشهود واليهود يحملون التوراة والنصارى يحملون الإنجيل، بل جميع سكان مصر قاطبة، لاستقباله على مشارف القاهرة[٢٤] وبعد عدة أيام عقد السلطان مجلسًا من كبار رجال الدولة والعلماء والفقهاء والقضاة وكل الصفوة الدينية وعلى رأسهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، لإثبات نسبه وتقرير بيعته، وحتى يكونوا سندًا في تأكيد هذا النسب وكسب ثقة العامة. ولأن أبو القاسم أحمد هذا كان في حمى العربان، فيكون بذلك تأكد للأعراب أيضًا إنه من نسل خلفاء بني العباس[٢٥]. وبعد أن شهد من الأعراب وغيرهم بنسب الأمير بويع خليفة واتخذ لقب المستنصر بالله[٢٦].

ولما تمت البيعة قلد الخليفة المستنصر بالله، سلطان المماليك حكم البلاد الإسلامية، وما يُضم إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار[٢٧]. وكتب السلطان إلى النواب والحكام في سائر الولايات التابعة لمصر، بأخذ البيعة للخليفة المستنصر بالله والدعاء له في خطبة الجمعة على المنابر، ولسلطان المماليك من بعده، وأن تنقش السكة باسمها (.... فسُر الناس بذلك سرورًا عظيمًا وشكروا الله على عودة الخلافة العباسية ....)[٢٨]، وبذلك تكون دولة المماليك قد نالت البعد الديني الذي يؤكد شرعيتها في عيون المعاصرين.

وقد كان إحياء الخلافة العباسية في القاهرة خطوة هامة جعلت من السلطان المملوكي حاكمًا شرعيًا يستمد سلطانه ونفوذه من تفويض الخليفة العباسي بالقاهرة كما ظهر سلاطين المماليك أمام العالم الإسلامي حماة للخلافة ولأشخاص الخلفاء. من ناحية ثانية أصبحت مصر مقر الخلافة ومركز الرئاسة العامة على المسلمين، والتي جعلت سلطان المماليك في مرتبة أعلى من سلاطين البلاد الإسلامية الأخرى، بل لا يحق لهؤلاء الحكام بعدئذ أن يتخذوا لقب سلطان؛ لأن هذا اللقب إنما منح لبيبرس من الخليفة، الذي يعد في نظرهم ظل الله في الأرض. ومن ناحية ثالثة تحولت نظرة المصريين إلى السلطان المملوكي من رقيق أجنبي معتق، إلى حاكم مسلم حصل على تفويض من الخلافة الإسلامية، ومن خليفة رسول الله، وحكم المسلمين في جميع أنحاء السلطنة.

على أية حال، حين حقق بيبرس هدفه بإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه، بدأ يخطط للتخلص من الخليفة أبي القاسم أحمد، بيد إنه كان حريصًا على عدم القضاء على الخلافة نفسها. إذ أدرك سلطان المماليك بدهائه السياسي، أن قيام الخلافة العباسية في القاهرة بشكل حقيقي سوف يحوله إلى مجرد تابع للخليفة. لقد كان يريد الخلافة اسمًا وواجهة تكسبه الشرعية[٢٩]. ولذلك لما اطمأن السلطان المملوكي إلى أن سلطته قد توطدت بالتفويض الذي أخذه من الخليفة أبي القاسم، شرع في إعادته إلى مقر الخلافة العباسية ببغداد، وسار الخليفة في قوة صغيرة لا تتعدى ثلاثمائة فارس من الأعراب والترك لقتال التتار، إلا أنه قتل هو ومن معه على يد المغول[٣٠].

وعندما قتل الخليفة أبي القاسم أحمد، اضطر بيبرس للبحث عن شخص آخر من بيت الخلافة العباسية لإقامته في منصب الخلافة، فبعث في طلب أميرً عباسي آخر اسمه أبي العباس أحمد وقيل إنه من أبناء المسترشد، وعقد مجلس كالأول، ثم احتفل بمبايعته على أثر قدومه ولقب بالحاكم بأمر الله، وبذلك أصبحت مصر مقرًا للخلافة العباسية[٣١].

إلا أن سلاطين المماليك قصروا نفوذ هذا الخليفة على الأمور الدينية دون سواها، وحتى هذه فإن السلطان شاركه فيها، حينما تلقب بقسيم أمير المؤمنين، وضيقت حدود سلطته حتى كانت لا تتعدى ذكر اسمه في الخطبة في مصر والأقطار التابعة لها، أما الخلافة فليس (.... له منها أمر ولا نهي، وحسبه أن يقال له أمير المؤمنين....)[٣٢] وهذا يعني أن المماليك جعلوا من مصر في نظر العالم الإسلامي مقرًا للخلافة وقلعة للسنة، وفي نفس الوقت فإنهم وضعوا القيود على رأس سلطة الخليفة ونفوذه بحيث أصبحت سلطته إسمية مرتهنة بالسلطان الحاكم أي أنها خلافة اسمية للشرعية المملوكية. وتحقق بذلك للمماليك صفة رسمية وشرعية في حكم المسلمين وفي حمل مسئولية الجهاد ضد أعداء الإسلام، كما تحقق لهم حلمُ أكبر فقد فتح أمامهم الطريق لاستكمال الجهاد، وانتقل أيضًا إلى القاهرة باعتبارها عاصمة الخلافة، العلماء والمفكرون، من شتى أرجاء دنيا العرب والمسلمين، وغدت أعظم المراكز الثقافية والحضارية في العالم آنذاك[٣٣].

ومن ناحية ثانية، ذاع صيت مصر وامتدت زعامتها الروحية على الممالك الإسلامية بسبب الخلافة، حتى إن ملك الهند أرسل أكثر من مرة بعثات (... تحمل الهدايا والتحف لسلطان مصر كي يحصل منه على اعتراف بملك "ابن طغلق" وتثبيته من الخليفة الذي كان عظيم الاحترام في الأقطار الإسلامية الأخرى، مع أنه لم يكن له شأن ما في مصر....)[٣٤].

مما تقدم تبين لنا دور الخلافة العباسية كواجهة دينية لحكم المماليك، الذين استغلوا تبجيل الشعب لشخصية الخلفاء، واستعانوا بهم في تحقيق ما كان يصبوا إليه، لتوطيد دعائم ملكهم. من ناحية ثانية كانت قيمة هؤلاء الخلفاء العباسيين الفعلية في مصر، قد أصبحت تقتصر على إضفاء الشرعية على حكم المماليك؛ فهم لا يتدخلون في السياسة، أو حتى في مخاصمات المماليك، ويبايعون كل من يطلب منهم المبايعة، دون اهتمام بما يحدث، سواء كانت التولية نتيجة اغتصاب للسلطة أم غير ذلك.

ومهما كانت أسباب إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، فإن ذلك أفاد مركز المماليك؛ حيث خول لهم ادعاء زعامة العالم الإسلامي، وسند سلطانهم الشرعي في الحكم، وأعطاهم السلطة الشرعية للوقوف أمام منافسيهم من مدعي الخلافة، وزعامة جماهير المسلمين.

وكان العنصر الثاني الذي اعتمد عليه الوجود المملوكي لإضفاء الشرعية على حكمه ضمن أشكال الواجهة الدينية؛ هو حماية الحرمين الشريفين؛ حيث كان البعد الديني لا يزال يحتاج إلى عناصر جديدة لاستكماله. كما أن الحقيقة التي تفرض نفسها باستمرار على تاريخ المنطقة العربية مؤداها، أن كل دولة أرادت أن تبنى لنفسها القوة والزعامة كان لابد لها من أن تبسط سلطانها على البحر الأحمر والحجاز؛ حيث يوجد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، ولم يكن سلاطين المماليك ليشذوا عن هذا المنطق الذي يفرضه التاريخ وتحتمه الجغرافيا[٣٥] كما أن الحرمين مرتبطان بالخلافة أينما كانت.

ومن ناحية أخرى، كانت مبايعة أهل مكة وشريفها للخليفة الحفصي والتي كانت السبب المباشر في مسارعة المماليك إلى إحياء الخلافة في مصر؛ أثرًا كبيرًا على دولة المماليك، التي شعرت بأن هذه المبايعة من قبل أشراف البيت الحرام، أضفت قدر كبير من الزعامة السياسية والروحية للحفصيين لاسيما وأنهم يحملون الأسس الشرعية اللازمة للخلافة كالأصل العربي والنسب النبوي بعدما زعموا قرابتهم لأبي حفص عمر بن الخطاب[٣٦]. فلجأ سلطان المماليك- بيبرس- إلى نزع حماية الحرمين الشريفين من الحفصيين، وبدأ تنفيذ سياسته الرامية إلى ذلك، بالقيام بعدة إصلاحات بالحرم النبوي الشريف. وفي محاولة منه لنزع سلطان الرسوليين حكام اليمن من على بلاد الحرمين، قام بنزع المنبر الذي وضعه المظفر يوسف بن رسول سنة ٦٥٩هـ في المسجد النبوي، ووضع بدلًا منه منبرًا آخر[٣٧]. وكشف عن سياسته أكثر بكسوته للكعبة سنة ٦٦١هـ وهو أول من كساها من ملوك الترك بمصر[٣٨]. وتأكيدًا لدوره في حماية الحرمين بين الرعية أمر بالطواف بكسوة الكعبة في مصر والقاهرة قبل خروجها إلى الحرمين[٣٩]. والذي كان يعرف بدوران المحمل.

وبذلك نجح المماليك في كسب قلوب المسلمين وعقولهم بتقويتهم لرباط الدين، وهو الرابطة الوحيدة، التي تربط بين المماليك وبين الشعوب التي يحكمونهم[٤٠].

وقد انتهز بيبرس فرصة خلاف قام بين أشراف المدينة النبوية، وشكاية أحدهما إليه من الآخر، وجعل من نفسه حكمًا بينهما. وكانت هذه المشاحنات والخلاف أكبر معين لسلطان مصر على بسط نفوذه وسيادته على تلك الأصقاع، فلبى أولًا طلب بدر الدين بن مالك وقسم إمارة المدينة بينه وبين الأمير جماز[٤١]. كما انتهز فرصة خلاف آخر وقع بين أميري مكة سنة ٦٦٧هـ، واتفق معهما على أن يعطيهما ألف درهم في كل عام على ألا يأخذا مكوسًا من أهالي مكة ولا يمنع أحد من زيارة البيت الحرام، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والمشاعر وتضرب السكة باسمه[٤٢]. ويكون بيبرس بذلك قد استعاد ما كان لمصر من نفوذ في الأراضي المقدسة بالحجاز، كما ازداد البعد الديني وضوحًا في دولة سلاطين المماليك.

وحين رأى بيبرس أن الأمر استقر لدولة المماليك ببلاد الحرمين، شرع في الرحيل إليها سنة ٦٦٧هـ لقضاء فريضة الحج، فزار المدينة، وتوجه منها إلى مكة، وشارك في تعليق كسوة الكعبة التي حملت إلى مكة صحبة قافلة الحج المصري. ولم ينس قبل مغادرته مكة أن يعين نائبًا له بها إلى جانب أميرها الشريف أبي نمى[٤٣].

وبذلك يكون بيبرس قد أرسى أسس السياسة المملوكية تجاه بلاد الحرمين، وعندما تولى قلاوون اهتم بإظهار نفسه في صورة حامي الحرمين الشريفين ودفع أبي نمى أمير مكة سنة ٦٨١هـ إلى القسم له على (... أن يسهل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمين، وأن يحرس الحجاج في سربهم...)[٤٤]. ولم يكتف بهذا بل كان يتدخل عند الضرورة لتأكيد حمايته للحجاج في الحجاز، مثلما حدث سنة ٦٨٣هـ التي جاءت فيها الأخبار بأن شريف مكة – أبي نمى – استبد بمكة وفرض رسومًا باهظة على الحجاج بشكل مزعج. فجرد حملة عسكرية تضم أكثر من ثلاثمائة فارس، وهزموا أمير مكة، وأعادوا الأمور إلى نصابها مرة ثانية[٤٥].

وصارت مسألة حماية الحجاج من أشراف الحجاز أحد المحاور الرئيسية في السياسة المملوكية تجاه الحجاز، للحفاظ على حمايتهم للحرمين[٤٦].

وهكذا حرص سلاطين المماليك على الواجهة الدينية لحكمهم، بحرصهم على تأكيد أنهم حماة الحرمين الشريفين في الحجاز، لما للحجاز من منزلة سامية في نفوس المسلمين في جميع بقاع الأرض، فلا عجب أن نرى سلاطين المماليك يحرصون لهذا السبب على بسط حمايتهم على هذه الأراضي حتى يظهروا أمام المسلمين في المشرق والمغرب بمظهر المدافعين عن الأراضي المقدسة والحماة الحقيقيين للحرمين الشريفين. وقد قوي نفوذ مصر في الأراضي الحجازية، وصار يرمز لذلك النفوذ بالخطبة والسكة، وحماية الحجاج، وإرسال الكسوة إلى الكعبة كل عام، وهو في مجموعه من عناصر تدعيم الواجهة الدينية لدولة المماليك.

وفي سبيل المحافظة على الغطاء الديني لدولتهم، **اهتم سلاطين المماليك بمدينة القدس**، ليس لوضعها الديني فحسب بل لكونها الركن الركين للحضارة العربية الإسلامية منذ أن فتحتها الجيوش العربية في النصف الأول من القرن السابع الميلادي/ سنة ١٥هـ في عهد الفاروق عمر ثاني الخلفاء الراشدين[٤٧]. واستيطان كثير من سكان شبه الجزيرة العربية بفلسطين، وحتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد المغول، وحركة الاسترداد الصليبي للحواضر العربية في الأندلس وما ترتب على ذلك من واجب الدفاع المقدس عن الشرق العربي ضد الوجود الوثني والصليبي[٤٨] والذي كان من أهم نتائجه عناية الدولة المملوكية بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمدينة الخالدة مما جعل منها بؤرة حيوية للصراع الحضاري بين القوى العربية الإسلامية والقوى الصليبية الأوروبية[٤٩].

وقد حرص سلاطين المماليك على إدراج القدس في أولوياتهم السياسية، وذلك في إطار

النظرية السياسية للدولة التي ارتكزت على القوة العسكرية من ناحية، والواجهة الدينية التي كانت أحد وجهي العملة السياسية لسلاطين دولة المماليك تأكيدًا لشرعية حكمهم على الأراضي العربية/ الإسلامية من ناحية أخرى. لأن للقدس خصوصيتها الدينية، أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعراجه وإحدى ثلاث مدن يشد إليها الرحال بعد مكة والمدينة[٥٠].

ولا أدل على اهتمام المماليك ببيت المقدس من كثرة المنشآت الدينية والعمائر التي أقاموها فيها، والتي بدأها بيبرس سنة ٦٦٠هـ بترميمه لقبة الصخرة، والمسجد الأقصى؛ وتجديده للحرم الإبراهيمي[٥١]. واتبعه قلاوون بحفر بركة ماء في بلد الخليل[٥٢]. وقد زاد الاهتمام بهذه المنشآت الدينية بالقدس في عصر الناصر محمد الذي كان يحب العمارة كثيرًا وينفق على المنشآت الدينية والاجتماعية بأنواعها مائة ألف درهم سنويًا[٥٣]. حتى قيل "علا في أيامه منار الإسلام وعزت أمة النبي"[٥٤].

والجدير بالذكر، أنه كان من ألقاب السلطان المملوكي لقب "حامي حوزة الدين"[٥٥]. ولقب "حامي الحرمين الشريفين والقبلتين"[٥٦] وكان من نتيجة ذلك أن انعكست السياسة المملوكية بشكل رئيس على رعايتهم للمنشآت الدينية والخيرية. وعلى الرغم مما كانت تتعرض له البلاد من هزات سياسية وأزمات اقتصادية من وقت وآخر، فإن ذلك لم يقف حائلًا دون مزاولة نشاطهم العمراني في المدينة المقدسة في إطار نظريتهم السياسية الداعية على خضوع كل البلاد المقدسة لسيطرتهم وحمايتهم بتفويض من الخليفة وسائر العرب والمسلمين الذين اتخذوا من دولة المماليك قوة يرهبون بها أعداءهم في كافة أرجاء المعمورة[٥٧].

وهنا تظهر مرة أخرى، أهمية الواجهة الدينية لحكم المماليك ومظاهر اهتمامهم بها.

من ناحية أخرى، قام سلاطين المماليك **بالتقرب إلى العلماء والقضاة والفقهاء**، الذين كانوا طليعة المثقفين وقادة الرأي العام آنذاك، وجعل المماليك لهؤلاء المعممين حق الإشراف على تولية السلاطين والخلفاء، وذلك ضمن سياسة الاهتمام بالمظهر الديني التي حرصوا عليها، نظرًا لما للدين من سلطان على الأفئدة والنفوس. وأدى هذا إلى تمتع المعممين باحترام وإجلال السلاطين والأمراء المماليك لهم، وتمثل ذلك في تكريمهم، والإنعام عليهم بالأموال والخلع[٥٨]؛ لأن اعتراف العلماء من أهل البلاد بشرعية حكمهم، من الأمور التي أعطوها أولوية كبرى. لذلك نرى أنه لم يعتل سلطان العرش دون إشراف أهل البلاد عليه، وقد كان هذا الإشراف من جانب العلماء على تعيين السلاطين أمرًا ضروريًا في بداية حكم المماليك للبلاد، ومع تمكن المماليك في البلاد، أصبح هذا الأمر من المراسم الشكلية[٥٩].

وهناك عامل آخر، اتخذه المماليك غطاء لإضفاء الشرعية على حكمهم وهو **إقامة المنشآت الدينية** من مدارس ومساجد وأربطة وغيرها في جميع أنحاء السلطنة، لتكون وجهة تغطي حكمهم غير الشرعي لمصر واستمالة لنفس الشعب الجياشة بالعواطف الدينية من

ناحية. ولإثبات تدينهم وتخليدًا لذكراهم من ناحية ثانية. وقد لاحظ ذلك غالبية من جاء إلى مصر مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

فقد قال ابن خلدون الذي جاء إلى مصر في عصر السلطان برقوق عن المنشآت المملوكية ذات الوظيفة الدينية/ الاجتماعية، مثلًا أن (... أهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني أيوب بإنشاء المدارس لتدريس العلم والخوانق لإقامة رسوم الفقراء (الصوفية) في التخلق بآداب الصوفية السنية في مطارحة الأفكار ونوافل الصلوات...)[٦٠] وقد اقتدى بسنتهم في ذلك من تحت أيديهم من أهل الرياسة والثروة، فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة (.... وأصبحت معاشًا للفقراء من الفقهاء والصوفية، وكان ذلك من محاسن هذه الدولة التركية وآثارها الجميلة الخالدة....)[٦١].

وقد لفت ذلك نظر الرحالة الأجانب أيضًا، مثل الرحالة الفرنسي جان تينو الذي زار مصر في عصر الغوري، وقال إن ما من سلطان مملوكي كان يتولى الحكم إلا ويعمل على بناء مسجد يحمل اسمه[٦٢].

وتدلنا قائمة المساجد والمدارس والخوانق، وغيرها من المؤسسات الدينية التي يحويها كتاب الخطط المقريزية، على عظم ما كانت توليه الدولة المملوكية تجاه العمائر والمنشآت ذات الوظيفة الدينية/ الاجتماعية[٦٣]. وهو ما أدى إلى إكساب الدولة الزعامة الروحية، فضلًا عن زعامتها السياسية في العالم الإسلامي.

الخاتمة

بعد أن درسنا موضوع (أهمية الواجهة الدينية للحكم في مصر زمن سلاطين المماليك) من كافة جوانبه، يحق لنا أن نستنتج بعض النتائج التي خرجنا بها من هذه الدراسة.

أولها: العناية الكبيرة التي أولاها سلاطين المماليك وأمراء دولتهم للناحية الدينية في البلاد التي حكموها. فبعد أن استقرت الأمور لسلاطين المماليك، سعوا إلى ترجمة سياستهم الدينية إلى واقع ملموس لكي يحظوا بتأييد المعاصرين لهم، وتغير نظرتهم إليهم، وظهر ذلك في كثير من التسميات الدينية، والتي كان أهمها لقب (حامي الحرمين الشريفين والقبلتين)، وقد قام المماليك في سبيل الحفاظ على حملهم هذا اللقب بالكثير من الأعمال في بلاد الحرمين، كي يؤكدوا على الشرعية التي أصبحوا يتمتعون بها بعد إحياء الخلافة.

ثانيًا: ساعد الاهتمام بالواجهة الدينية من قبل المماليك على إعطاء انطباعًا بأن قيام دولة المماليك في الحكم ليس ضرورة لحماية البلاد والعباد من الأخطار الخارجية فحسب، بل أيضًا رفع راية الإسلام عن طريق إحياء شعائره ورعاية مقدساته في الحجاز وفلسطين

ثالثًا: كان من نتائج الاهتمام بالواجهة الدينية أن ظهر المماليك دائمًا في صورة رعاة الدين، الساهرين على علومه وأركانه، المنفذين لأحكامه وشريعته.

رابعًا: الحرص الزائد من قبل سلاطين دولة المماليك الجراكسة، في الاهتمام بالواجهة الدينية وتمثل اهتمامهم في عدة أوجه هي :

الإكثار من المنشآت الدينية لتخليد ذكراهم وكان ذلك بالخصوص في ١- مصر ٢- ثم في بلاد الحرمين ٣- ثم في بيت المقدس

خامسًا: حرص مماليك الجراكسة على التستر وراء الواجهة الدينية كان راجعًا إلى محاولة سلاطين تلك الدولة على ألا يكونوا في نظر معاصريهم أقل مرتبة ممن سبقوهم.

سادسًا: تبين الاعتناء المملوكي الجركسي جليًا في جهود الكثير من سلاطينهم برعاية قافلة الحج، وخروجها والمحافظة عليها أثناء الطريق.

سابعًا: توسع المماليك في إقامة المنشآت ذات الوظيفة الدينية/ الاجتماعية أو ما يمكن أن نطلق عليها المؤسسات الخيرية ؛ من إقامة وتشييد أو إصلاح وترميم. وهو إن دل على شيء فإنما يدل على أن اهتمام سلاطين المماليك كان دائمًا هو أن يرسخوا في نفوس معاصريهم أنهم حماة الإسلام والعقيدة الإسلامية؛ لما لذلك من أهمية سياسية في نظرية الحكم المملوكي.

ثامنًا: إذا كانت مصر أصبحت منذ عصر الظاهر بيبرس تعد نفسها مسؤولة عن الحرمين الشريفين، وصار صاحب مصر مكلفًا بأن يعنى بأمر الحاج ويقوم على المسجد الحرام، والمسجد النبوي ومزارات المسلمين، وأناب عنه في ذلك أمير الحاج المصري. فإن هذا الاهتمام من المماليك بالحجاز كان يرجع لاعتبارات استراتيجية، في المقام الأول، وهي: أن الحجاز من الناحية الدفاعية أو الهجومية على مصر يعتبر منطقة حيوية، فمن الثابت أن كل سياسة دفاعية أو هجومية للدول القائمة في مصر تتخذ مجالها في شمال البحر الأحمر وجنوب الشام، وقد تطلب لتحقيق هذا الهدف السياسي هدفًا تجاريًا هو حماية مصالح المماليك التجارية في البحر الأحمر، الذي تقع الحجاز على ساحله، وقد كان الإرسال السنوي للمحمل ذي القيمة الرمزية اعتبارًا من عام ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م إنما يعلن عن هذه السياسة، بمراقبته لبلاد البحر الأحمر جد القريبة وراء الصحراء الجبلية، الحجاز الذي يمنح ولاؤه لمن يحصل عليه نوعًا من الشرعية السياسية، واليمن المنافس المحتمل في السيطرة على الأماكن المقدسة، وبوابة تجارة الشرق الأقصى الكبيرة.

الحواشي

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ)، الخطط أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، (القاهرة)، ١٩٩٦م، ج٤، ص ٢-٢٠٠.

(٢) سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة)، ١٩٩٢م ص١٧٠.

(٣) سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط٣، الأنجلو مصرية، (القاهرة)، ١٩٩٤م، ص ٣٤٥.

(٤) ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، (ت. ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى ، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، ٢٠٠٨م ر، ج١ ق١، ص ٢٨٩.

(٥) المقريزي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨٦.

(٦) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م، ج١، ص ٣٨٦.

(٧) رشيدة عطا، شرعية الحكم في دولة المماليك (ضمن أبحاث ندوة حكومة مصر عبر العصور، الهيئة المصرية للكتاب، س تاريخ المصريين، ع ٢٣٧، ٢٠٠٣م)، ص ١٥٤.

(٨) قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ،(دار المعارف (القاهرة)، ١٩٨٥م)، ص ١١٦.

(٩) قاسم عبده قاسم، إعادة قراءة التاريخ، (كتاب العربي، العدد (٧٨) أكتوبر ٢٠٠٩م)، ص ٣٥؛ بين التاريخ والفولكلور (دار عين، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ١٢١.

(١٠) بيبرس الدوادار، التحفة المملوكية في الدولة التركية، (نشر عبد الحميد صالح، ط١، القاهرة، ١٩٧٨م)، ص٢٥

(١١) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، (تحقيق هارمان، القاهرة، ١٩٨٧م)، ص ٥٣- ٥٤.

(١٢) ابن فهد، ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد بن محمد (ت. ٨٨٥هـ)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء ١- ٣ تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ١٩٨٤، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، ١٩٨٨م، ج٣، ص ٨٣.

(١٣) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت. ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة)، ٢٠٠٩م ، ج٣، ص ٣٦٦.

(١٤) سعيد عاشور، أضواء على أنظمة الحكم في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، (ضمن حكومة مصر عبر العصور)، ص ١٤٦.

(١٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص ٣٦٦؛ حسن الباشا، معلومات جديدة عن الإدارة المملوكية من خلال النقوش الأثرية، (ضمن حكومة مصر عبر العصور)، ص ١٧٤ يتبع.

(١٦) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٥٤.

(١٧) للمزيد من التفاصيل عن الانحلال الخلقي في عهد المماليك، انظر: إسماعيل عبد المنعم محمد، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية زمن المماليك البحرية، (رسالة ماجستير بآداب عين شمس، ١٩٨٨م)، ص ٨٨- ١٢٠.

(١٨) كان الخليفة المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بنو العباس ببغداد قد اعترف بدولة المماليك سنة ٦٥١هـ كي يوحد القوى الإسلامية أيًا كان أصلهم أو طبيعتهم، ليقفوا جميعًا معًا أمام خطر المغول الداهم على المسلمين. لذلك وافق الخليفة المستعصم بالله على قيام دولة سلاطين المماليك في مصر بمنح المعز أيبك، أول سلاطينهم التقليد الخلافي، وعندما سقطت دولة الخلافة سنة ٦٥٦هـ سقط التفويض الذي حصل عليه المماليك من خليفة بغداد. (المقريزي، السلوك، ج١، ص ٣٨٥- ٣٨٦).

(١٩) ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، (نشر بولشيه، باريس ١٩١٩م)، ص ٩٣.

(٢٠) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٥١.

(٢١) كان الحفصيين أصحاب تونس أحيوا الخلافة الحفصية سنة ٦٥٦هـ وبايعهم بالخلافة صاحب مكة وأصحاب الحجاز، الذين رأوا في الخليفة الحفصي وريثًا لخلافة بغداد المندثرة. أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م)، ص ١٩٤.

(٢٢) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٥؛ وانظر، Lane Pool, History of Egypt in the Middle Ages, London, 1930, P. 264.

(٢٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٤٨.

(٢٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، (نشر السيد عزت العطار، ط٢، دار الجيل، (بيروت)، ١٩٧٤م، ص ٢١٣.

(٢٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، (تحقيق محمد زينهم، وغيره، دار المعارف (القاهرة)، ١٩٩٩م، ج٣، ص ٢٥٣.

(٢٦) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، (تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٩٧٦م). ص ٩٩- ١٠٠.

(٢٧) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٥٠؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٦.

(٢٨) أبو شامة، الذيل على الروضتين ، ص ٢١٣.

(٢٩) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٧.

(٣٠) أبو شامة، الذيل على الروضتين ، ص ٢١٥.

(٣١) أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ٢٥٥؛ ابن أيبك، كنز الـدرر، ج٨، ص ٩٤؛ ابـن إيـاس، بدائع الزهور، ج١ ق١ ص ٣١٦.

(٣٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٥٤٠.

(٣٣) فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية وصـراع القوى الدولية في العصور الوسطى (١٠٠٠م- ١٣٠٠م)، (ط١، مكتبة وهبة، (القاهرة)، ١٩٨٢م، ص ٢٧٩.

(٣٤) وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، (ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، ط١ (القاهرة)، ١٩٢٤م، ص٩٩.

(٣٥) قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢١٩.

(٣٦) العبادي، قيام دولة المماليك، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٣٧) ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ٨٢- ٨٣؛

Van Berchem, Max, Corpus inscriptionum. ARABIC ARUM, 4iemepartie (inscriptions et monuments de le mecaue. Haram et Ka'ba) Tome 1 (Fasicule 1) Edition. El-Hawary, H. M., etWiet, L, Publications l'institutFrançaisD 'Archéologieorientale. P. 139

(٣٨) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٥٩؛ ابن فهد، المصدر السابق ، ج٣، ص٨٨.

(٣٩) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد، ١٩٥٤م، ج١، ص ٥٣٤ ؛ Demmbynes ،le voile de la ka›ba (paris)1954 ,tome 1,p.11

(٤٠) Lane Pool, Op. Cit., P. 265؛علي السيد علي،أضواء جديدة على الاستثمار وتراكم الثروة في القدس في عصر سلاطين المماليك :بحث بكتاب جدل الموضوعية والذاتية في كتابة تاريخ مصر :دراسات مهاة إلى نللي حنا،(تحرير ناصر إبراهيم،هيئة الكتاب(القاهرة)٢٠١٢م ص ٣٧-٤٢

(٤١) ابن عبد الظاهر، الـروض الزاهر، ص ٢٨٤ (ملخص هذه القصة أن في سنة٦٦٠هـ قدم على بيبرس الشريف بدر الدين مالك بن منيف بن شيحه من المدينة المنورة فشكا من الشريف جماز أمير المدينة وقال إن إمرة المدينة كانت نصفين بين أبيه ووالده جماز، وتوفي والده وهو صغير فظلمه الشريف جماز وأخذ نصيبه وجاء مالك مستنجدا بالسلطان في رد حقه فكُتب لجماز أن يسلمه نصف الإمرة، وكتب له تقليدًا بذلك وبنصف أوقاف المدينة التي بالشام ومصر وسلمت إليه؛ فأمتثل جماز ما رسم به. المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٦٠.

(٤٢) المقريزي، المصدر السابق ، ج١، ص ٥٦؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، (دار الفكر العربي،(القاهرة) ١٩٦٠م، ص ١١٦.

(٤٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٥٦؛ ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم، تاريخ الملك الظاهر (تحقيق أحمد حطيط، قصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ع (١٩٠) القاهرة)، ٢٠٠٩م، ص ٣٠٠.

(٤٤) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٧٠٦.

(٤٥) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ١٩٢؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١١٦.

(٤٦) وثيقة وقف الناصر محمد، نشرها محمد محمد أمين، ملحقًا لكتاب تذكرة النبيه، ج٢، (القاهرة)، ١٩٨٢م ، ص ٣٨٠.

(٤٧) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (تحقيق علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، القاهرة) ٢٠٠٦م، ج٢، ص ٧٩٧؛ كارين أرمسترونج، القدس مدينة

واحدة عقائد ثلاث،(ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٩، ص ٣٨٥.

(٤٨) انظر: عادل إسماعيل هلال، العلاقات بين مغول فارس والغرب الأوربي (١٢٥٨-١٣٣٥م)، دكتوراه بآداب الزقازيق، ١٩٨٧م، ص ٩٥-١٢٠.

(٤٩) علاء طه رزق، تاريخ القدس في المصادر المملوكية المتأخرة، بحث في كتاب: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مهداة إلى أ.د/ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عامًا،(دار عين، ط١ (٢٠٠٣م)، ص١١١؛ علي السيد علي أضواء على الاستثمار، ص ٥٦-٥٨، ٦١، ٦٥

(٥٠) أنظر: ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس،(تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية)، ٢٠٠١م، ص ٣٥- ٦٣.

(٥١) ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت. ٨٧٤هـ)، ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٨٥م ، ج٣، ص ٤٦٥.

(٥٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٧٢٥

(٥٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٧٢٥

(٥٤) ابن أيبك، كنز الدرر، ج٩، (تحقيق هانس روبرت (القاهرة)، ١٩٦٠م، ص ٣٨٨.

(٥٥) وثيقة وقف السلطان قايتباي على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط، نشرها محمد أمين، المجلة التاريخية (مجلد) (٢٢)، ١٩٧٥م، ص ٣٥٤.

(٥٦) وثيقة بيع، (نشر وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم ضمن كتاب المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر (القاهرة) ١٩٨٠م ص ٢٠٨- ٢١٣.

(٥٧) علاء طه، تاريخ القدس، ص ١٢٦.

(٥٨) الأدفوي، الطالع السعيد ، ص ٥٨٢.

(٥٩) حسن أحمد البطاوي، أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، ط١، دار عين، ٢٠٠٧م، ص ١٠١.

(٦٠) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته، ص ٢٧٩.

(٦١) ابن خلدون، المصدر السابق، ص٢٧٩

(62)Thenaud ، op.cit, P. 51 :See also :Fabri,F . Le voyage en Egypte de feliex fabri,(ed)mas-son ,j.s .paris, 1957, vol 2 p.640

(٦٣) انظر: المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٢- ٣٤٣١٥.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة

- وثيقة وقف الناصر محمد، نشرها محمد محمد أمين، ملحقًا لكتاب تذكرة النبيه، ج٢، (القاهرة)، ١٩٨٢م .
- وثيقة وقف السلطان قايتباي على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط، نشرها محمد أمين، المجلة التاريخية (مجلد) (٢٢)، ١٩٧٥م.
- وثيقة بيع، (نشر وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم ضمن كتاب المدخل إلى دراسة الوثائق العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر (القاهرة)١٩٨٠م

المصادر المطبوعة

- الأدفوي، أبو الفضل جعفر بن ثعلب (ت. ٧٤٨هـ)، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، (مصر)، ١٩١٤م.
- ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، (نشر بولشيه، باريس ١٩١٩م).
- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، (ت. ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، ٢٠٠٨م.

- ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، (تحقيق هارمان، القاهرة، ١٩٨٧م)،ج٩، (تحقيق هانس روبرت (القاهرة)، ١٩٦٠م.
- بيبرس الدوادار، التحفة المملوكية في الدولة التركية، (نشر عبد الحميد صالح، ط١، القاهرة،١٩٧٨م)
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت. ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٨٥م .
- ابن الجوزي، تاريخ بيت المقدس، (تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية)، ٢٠٠١م.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت. ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة)، ٢٠٠٩م، ج٣.
- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، تحقيق محمد بن تاويت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، س الذخائر، (القاهرة)، ٢٠٠٦م.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (تحقيق علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، القاهرة) ٢٠٠٦م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩٠٢هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، وياسر صلاح غراب، المكتبة التوفيقة (القاهرة)، ٢٠٠٨م.
- أبو شامة، الذيل على الروضتين، (نشر السيد عزت العطار، ط٢، دار الجيل، (بيروت)، ١٩٧٤م.
- ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم، تاريخ الملك الظاهر (تحقيق أحمد حطيط، قصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ع (١٩٠) القاهرة)، ٢٠٠٩م.
- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، (تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٩٧٦م)..
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، (ت. ٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٧ أجزاء، تحقيق فؤاد السيد، (القاهرة)، ١٩٦٦م.
- أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،(تحقيق محمد زينهم، وغيره، دار المعارف (القاهرة)، ١٩٩٩م، ج٣.
- ابن فهد، ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد بن محمد (ت. ٨٨٥هـ)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الأجزاء ١- ٣ تحقيق فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ١٩٨٤، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، ١٩٨٨م، ج٣.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ)، الخطط أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، (القاهرة)، ١٩٩٦م.
- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م.
- اليونيني، ذيل مرآة الزمان، حيد آباد، ١٩٥٤م.

المراجع العربية والمعربة

- أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م).
- إسماعيل عبد المنعم محمد، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية زمن المماليك البحرية، (رسالة ماجستير كلية الآداب عين شمس، ١٩٨٨م).
- حسن الباشا، معلومات جديدة عن الإدارة المملوكية من خلال النقوش الأثرية، (ضمن حكومة مصر عبر العصور)..
- حسن أحمد البطاوي، أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك، ط١، دار عين، ٢٠٠٧م.
- سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة)، ١٩٩٢م
- سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط٣، الأنجلو مصرية، (القاهرة)، ١٩٩٤م.
- سعيد عاشور، أضواء على أنظمة الحكم في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، (ضمن حكومة مصر عبر العصور).

- رشيدة عطا، شرعية الحكم في دولة المماليك (ضمن أبحاث ندوة حكومة مصر عبر العصور، الهيئة المصرية للكتاب، س تاريخ المصريين، ع ٢٣٧، ٢٠٠٣م).
- عادل إسماعيل هلال، العلاقات بين مغول فارس والغرب الأوربي (١٢٥٨-١٣٣٥م)، دكتوراه بآداب الزقازيق، ١٩٨٧م.
- علاء طه رزق، تاريخ القدس في المصادر المملوكية المتأخرة، بحث في كتاب: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مهداة إلى أ.د/ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عامًا، (دار عين، القاهرة) ٢٠٠٣م.
- علي السيد علي، أضواء جديدة على الاستثمار وتراكم الثروة في القدس في عصر سلاطين المماليك: بحث بكتاب جدل الموضوعية والذاتية في كتابة تاريخ مصر: دراسات مهاة إلى نللي حنا، (تحرير ناصر إبراهيم، هيئة الكتاب (القاهرة) ٢٠١٢م .
- فتحية النبراوي، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى (١٠٠٠م-١٣٠٠م)، (ط١، مكتبة وهبة، (القاهرة)، ١٩٨٢م.
- قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، (دار المعارف (القاهرة)، ١٩٨٥م).
- قاسم عبده قاسم، إعادة قراءة التاريخ، (كتاب العربي، العدد (٧٨) أكتوبر ٢٠٠٩م)، ص ٣٥؛ بين التاريخ والفولكلور (دار عين ، القاهرة، ١٩٩٣م).
- كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، (ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٩.
- محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، (دار الفكر العربي، (القاهرة) ١٩٦٠م.
- وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، (ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، ط١ (القاهرة)، ١٩٢٤م.

المراجع الأجنبية

- Demmbynes ,le voile de la ka›ba (paris)1954 ,tome 1
- Lane Pool, History of Egypt in the Middle Ages, London, 1930,.
- Thenaud , op.cit, P. 51 :See also :Fabri,F . Le voyage en Egypte de feliex fabri,(ed)mas-son ,j.s .paris, 1957, vol 2
- Van Berchem, Max, Corpus inscriptionum. ARABIC ARUM, 4iemepartie (inscriptions et monuments de le mecaue. Haram et Ka'ba) Tome 1 (Fasicule 1) Edition. El-Hawary, H. M., etWiet, L, Publications l'institutFrançaisD 'Archéologieorientale. P. 139

بلاد شنقيط والمستشرقون

د. بوها محمد عبد الله سيدي

موريتانيا

بدأت فرنسا في إرسال البعثات الاستكشافية إلى بلاد شنقيط بغية اكتشاف شعبها ومعرفة طبيعة مواردها، ومن ضمن هذه البعثات: مستشرقون عملوا على دراسة تاريخ البلاد منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام مرورًا بأطوار تشكل دولة المرابطين والهجرات العربية إلى الصحراء، وصولًا إلى الأدوار التي اضطلعت بها المحْظرة الشنقيطية في الحفاظ على هوية البلاد وتحصين المجتمع ضد أي وافد فكري لا ينطلق من الهوية الدينية للبلد(المذهب المالكي، العقيدة الأشعرية، التصوف السني). وقد تطرق المستشرقون للأدوار التي لعبتها المحْظرة في غرب إفريقيا من نشر للثقافة العربية والإسلام؛ حيث تفطن المستشرق (موليين Mollien) وهو في طريقه لرصد مناطق حوض النهر إلى هؤلاء العلماء الشناقطة الذين نشطوا في تلك الربوع، وبعث بذلك تقريرًا إلى الإدارة الفرنسية.

وقد أولى المستشرق (بول ديبي Paul Dubié) أهمية كبيرة للثقافة الشنقيطية والمحْظرة بشكل خاص في دراسة أعدها حول الإسلام في السنغال[١].

كما جاء الصحفي (كاستوه دونى Gaston Donnet)[٢] عابرًا للصحراء، مصممًا العزم على معرفة الظروف التي تأسست فيها دولة المرابطين هناك، والأهداف التي دفعت هذه الأخيرة إلى غزو إسبانيا (كما يقول)، وقد ركز كتابه: "رحلة عبر الصحراء" على الجوانب الثقافية والمكانة التي يتمتع بها علماء شنقيط والظروف القاسية التي يدرس فيها الأطفال[٣].

أما المستشرق (أتين ريشى Etienne Richet) فقد تركز عمله على دراسة المجتمع الموريتاني بشكل عام مخصصًا فصلًا تامًا للحياة الثقافية والدينية في البلاد والحضور الصوفي، كما ركز على دراسة الجوانب السياسية والاقتصادية للبلاد، وأبدى إعجابه بما يمتلكه هذا المجتمع الصحراوي من ثقافة عالمة، وفي الوقت نفسه يظهر الانطباع السلبي لديه عندما يقول: إن

تعليم المحظرة لا يرقى بأن يكون عقيدة أو فكرًا، أما زميله (فرانسيس دو شاسه Francis de chas-sey) فقد اهتم بمسألة الحفظ عند أهل الصحراء، وحيث إن جل معارفهم محفوظات. ويضيف آخر هو المستشرق (بوْل بَينلَفى) في مذكراته: التعليم عند أهل شنقيط ميزة مشرفة يفتخر بها الشباب على أقرانهم الذين لم يحالفهم الحظ في التفرغ له...الخ.

وبالإضافة إلى كتابات المستشرقين هناك التقارير التي كتبها الضباط أمثال: "مَاج" و"جَانْ كَي" و"فَيْنصَان" والتي شملت كافة جوانب حياة المجتمع، السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ. لم يقتصر الاهتمام بهذا المجتمع على المستشرقين الذين زاروا البلاد بل هناك من انشغل بجمع المعلومات والكتابة عنه مع أنه لم يزر شنقيط ومن هؤلاء القس "بول بوالا" الذي كان يعمل لصالح الإدارة الاستعمارية الفرنسية في السنغال، وقد أولى عناية بالغة بالمجتمع الشنقيطي فجمع معلومات عن رجال الدين، وربط علاقات ببعض شخصيات المجتمع، وأظهر لهم إعجابه بالمعارف الشنقيطية لدرجة أن صارت تصله بعض مؤلفات هؤلاء العلماء، ومن بين المؤلفات التي خلف لنا: مخطوط شنقيطي نادر بعنوان: "أَمْرُوك الحرف" وهو تأليف متنوع، يتطرق لجوانب عديدة من الحياة الثقافية للبلاد؛ حيث تناول ترجمات لأعلام المنطقة وبعض القصص الشعبية، هذا فضلًا عن ترجمة أسماء الحيوانات والأشياء من الحسانية[٤] إلى العربية وكذلك ترجمة المفردات الشائعة في اللهجة الحسانية إلى العربية.

وقد استعانت الإدارة الاستعمارية بمجموعة ثالثة تمثلت في المترجمين كان من بينهم المترجم الجزائري إسماعيل أحمد الذي ترجم عدة مراسلات جمع بعضها في كتابه: "سجلات موريتانيا" يستعرض فيه مراسلات الكوماندوا الفرنسي أمير أترارة والشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان كما تناول فصولًا عن حياة ناصر الدين وبعض الوثائق عن أنساب البيظَان. كما انتدبت الإدارة الفرنسية المترجم السنغالي دودوسك (ولد ابن المقداد) الذي درس في المحاظِر الشنقيطية حتى تضلع في اللغة العربية والعلوم الشرعية، ووصل مستوى من التمكن باللهجة الحسانية أهله لقرض الشعر بها، وقد سخر معرفته هذه في خدمة الاستعمار يترجم ويعد التقارير حسب الطلب.

وهكذا، فإن المستشرقين الذين زاروا البلاد، وخلفوا كتابات حول هذا المنكب هم في الأساس من المدرسة الفرنسية، رغم وجود بعض الكتابات القليلة من غير الفرنسيين خلال القرن الثامن عشر، وقد حاولنا من خلال هذا المقال تسليط الضوء على مدى تأثير هذا الفكر الاستشراقي على هذا المجتمع.

وسنركز من خلال هذه المقالة على بداية دخول البعثات الاستشراقية للبلاد، والاهتمام الذي أولاه المستشرقون للتراث الثقافي والديني للمجتمع، وتتمحور في ثلاثة محاور هي:

- أولًا: الاهتمام بالثقافة الشنقيطية
- ثانيًا: المحْظرة في كتابات المستشرقين
- ثالثًا: جوانب من المقاومة الثقافية.
- ثم خاتمة تستعرض بعض الخلاصات والاستنتاجات من الدراسة.

أولاً: الاهتمام بالثقافة الشنقيطية:

اعتنى المستشرقون بتراث المجتمع الشنقيطي، خدمة للمشروع الفكري الذي تسعى الإدارة الفرنسية أن تؤسس له في موريتانيا وفي مستعمراتها بشكل عام، تمثل ذلك في اهتمامهم بالمصادر الثقافية للبلد، دينية كانت أم اجتماعية وسياسية...الخ، وفي هذا المسعى عملوا على ترجمة مؤلفات شنقيطية كثيرة، حصلوا عليها أو ألفت بطلب منهم، مستغلين في ذلك علاقاتهم ببعض مشايخ وشعراء وكتاب البلد.

حيث "قام قادة الاستعمار بترغيب بعض المؤلفين في العمل على بعض المواضيع الخاصة والتي تخدم في ظاهرها حركة البلاد ثقافيًا فيما تخفي الهدف الرئيس منها، وهو التعرف على تاريخ وأحوال البلاد من لدن المستعمر"[٥]. كما دفعت الإدارة الاستعمارية بشخصيات مهمة بغية تعلم الثقافة الشنقيطية عن قرب؛ حيث أصر البارون روجى[٦] على ضرورة إرسال (رَينى كايى) إلى بلاد البيظَان[٧] لتعلم العربية والتقاليد المحلية معتبرًا ذلك شرطًا لا غنى عنه للقيام بالرحلة المتوقعة إلى تنبكتو"[٨].

ورغم مقاطعة المجتمع الشديدة للوافد الأجنبي، فقد وجدوا من يتجاوب معهم في طلباتهم المتعلقة بالتأليف عن الهوية والتراث الشنقيطي، مقابل بعض الهبات التي تقدمها لهم الإدارة الاستعمارية، أو تحت ضغط الخوف من مضايقتهم، في تحركاتهم، يقول أحد الباحثين:

"ذلك أنهم طلبوا من رجال العلم الموريتانيين الكتابة عن مواضيع تاريخية واجتماعية، وهو ما لقي صدى طيبًا عند هؤلاء العلماء، ومنهم: باب ابن الشيخ سيديا وابن حبت الغلاوي الذي ألف كتابا عن أنساب القبائل الموريتانيين وولد أحمد يوره، ومحمد فال بن بابا الذي أكمل كتاب ولد الشيخ سيديا"[٩].

ومن ذلك أيضًا رسالة كوماندو حاكم أترارزة إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان[١٠] يطلب منه نسخة من كتاب الأنساب لـ: محمد اليدالي أو لغيره ممن ألف في الأنساب:[١١] فرد عليه أنه لم يؤلف في أنساب قبائل المنطقة، بل ألف كتابه المسمى بالحلة السيراء في أنساب العرب. وذكره بأنه سبق وأن أرسل إليه نسخة منه،[١٢] مع نسخة من كتاب والده الشيخ أحمد بن سليمان الذي ألف كتابًا في أنساب بعض قبائل البلاد، ومن هذه القبائل: ادابلحسن والسماسيد... الخ. وأخبره كذلك أنه سيرسل إليه كتابًا عن علماء تشمشة[١٣] ودورهم في المجتمع وهو بعنوان "كرامات أولياء تشمشة" لـ: محمد اليدالي المؤلف الذي سأل عنه الكومادو.[١٤]

ويقول الشيخ سيدي بابا في مقدمة مؤلفه، تاريخ إمارتي (إدوْعيش) و(مشْظوف)، "..... وبعد احتلال الدولة الفرنساوية في أواخر العشر الثاني وأوائل العشر الثالث من القرن الرابع عشر، طلب مني بعض أكابرهم)الفرنسيين(الكتابة في ذلك، لما لهم بالمعارف، واستخراج الفوائد من أحوال السالف والخالف، فاعتذرت.."[١٥].

والواقع أن الحالة السائدة رفض أي نوع من أنواع التعاون مع المستعمر سواء كان هذا التعاون ثقافيًا أو سياسيًا عسكريًا أو استخباراتيًا. ومن أمثلة ذلك موقف العلامة البشير بن أَمْبارْيكي:

".....فالشاعر والعلامة البشير بن أمباريكي،

الذي هادن المستعمر تلبية لرغبة شيخه الشيخ سعد بوه بن الشيخ محمد فاضل رفض تولي أي منصب تحت الراية الفرنسية؛ ولذلك يقول ردًا على أصدقائه الذين حاولوا إقناعه بتولي القضاء آنذاك"[١٦].

حتى قال:

يـــارب مـــن أراد لـــي إمـــــارة....

عـنـد الـنـصـارى ثَـقـلـن أوزاره

واجعله في الدنيا فقيرا فاسقا.....

لا يلقى بـعـد الـمـوت شيئا لائقا

من جهة أخـرى توالت التقارير والكتب والترجمات عن هذا المجتمع ونذكر على سبيل المثال ترجمة (بول مارتي Paul Marty) لكتاب أخبار الأحبار بأخبار الآبار، فضلًا عن كتبه عن الإسلام في موريتانيا وفي دول غرب إفريقيا.[١٧] كما عملت الإدارة الفرنسية على قطع الصلات بين هذا البلد ومحيطه العربي والإفريقي، فعملت على فرض القيود على قوافل الحج وحظرت استيراد المصاحف....[١٨].

حتى صـار الحاج الشنقيطي يستأذن من الإدارة الاستعمارية الفرنسية؛ ليحصل على ترخيص للخروج إلى الديار المقدسة، فها هو العلامة محمد الأمين الشنقيطي يتوجه إلى سينلوي بالسنغال ليحصل على إذن بمغادرة البلاد للحج؛ حيث لقي هناك المستشرق (لريش Leriche) الذي أولاه عناية كبيرة، وحاول اكتسابه لصالح الإدارة الفرنسية من خلال هدية قدمها له، تمثلت في عشرة آلاف فرنك فرنسي إفريقي، كما أرسل إلى الحاكم الفرنسي في ولاية لعصابة (بيرو Bereau) يستأذنه في إمكانية تحمل الدولة الفرنسية تكاليف حجه، لكن الرد جاء بالرفض؛ نظرًا لما أفاد به عُرَفاء الاستعمار في المنطقة، عن مواقف الرجل المعادية للفرنسيين[١٩].

وهكذا فإن الإدارة الاستعمارية، استعانت ببعض الكتاب، في تدخل خطير على الهوية الثقافية للمجتمع، حتى ألفت بعض الكتب تحت طلب من الإدارة الاستعمارية، وهو ما يدل على بالغ الاهتمام الذي أعطاه هؤلاء المستشرقون للبلاد الموريتانية. ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إننا سنجدهم يؤلفون في اللغات والآداب الخاصة بهذا المجتمع، ومن ذلك الكتاب "منهج العربية المنطوقة في السينغال الذي أمر الحاكم الفرنسي فدرب بطبعه، سنة ١٨٩٣م، لمؤلف (مـاري بيرنا Marie Bernard). وفي ١٩٠٩م أضاف له (آلبير رينيي Albert Reynier) دراسة للهجة البيظاَن[٢٠].

وكذلك العمل الذي أعده الإداري الفرنسي (فرانسيس نيكولاس Francis Nicolas) لمنطقة ما وراء البحار، تحت عنوان اللهجة البربرية الموريتانية [٢١].

كـل هـذه الجهود بذلت لتحقيق الأهـداف الاستشراقية في هذا المجتمع بالتأثير على ثقافته وقيمه والتميز بين أعراقه، ومحاولة طمس هويته. يقول الوالي العام لغرب إفريقيا في رسالة بعث بها إلى وزير المستعمرات سنة ١٩٠٢م، "لقد وجدنا أمامنا شعبًا يملك ماضيًا مليئا بالأمجاد والفتوح ما تزال عالقة بأذهانه كما وجدنا مؤسسات اجتماعية لا نستطيع تجاهلها نظرًا إلى علاقات التضامن الوثيق التي تسود

بينها(....)، ومن الخطأ أن نقارنهم بالشعوب السوداء ذات التقاليد الأضعف والشعور الوطني الخافت.."[٢٢].

ثانيًا: المحظرة في كتابات المستشرقين:

تباينت آراء المستشرقين حول مؤسسة المحْظرة، فبينما رآها البعض بعين الإعجاب، وانبهر بما تقدمه من معارف جمة، في فضاء شبه معزول عن المدن والقرى، وما أعطي أهلها من حماس وحب لطلب العلم، على الرغم من قسوة الطبيعة الصحراوية، مستدركين الدور الكبير الذي تلعبه المحْظرة في المجتمع الشنقيطي، من تربية النشء وتقويم المجتمع على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فيحفظ الصغار القرآن الكريم، في سن مبكر، ويتدرجون بين المتون الأخرى (الفقه واللغة...الخ).

أما أصحاب الاتجاه الآخر فنظروا إلى المحْظرة بعين الازدراء معتبرين أن كل المعارف التي تقدمها، لا تعدو كونها محفوظات تلقن للصبيان حتى يلقنوها للأجيال اللاحقة، دون أن تكون هناك قيمة مضافة تنعكس على حياة الناس، ورأوا في طريقة التدريس المحظري مشقة وخطورة على ذاكرة الأطفال[٢٣]. وهناك من أصحاب هذا الاتجاه، من بالغ حتى اعتبر المحْظرة عديمة الفائدة، والمواد المدرسة بها لا تحمل فكرًا وخالية من معاني العقيدة الإسلامية، وبعبارة أدق تفتقد إلى الرسالية ولا تحمل مشروعًا، حسب ما رأى أصحاب هذا الاتجاه الأخير. واستغربوا من الأعداد الكبيرة للطلاب التي تأتي من كل حدب وصوب في ظروف قاسية، يقطع الطلاب فيها المسافات الطوال، وزاد حيرتهم هذا الحماس الشديد والمجهود المضاعف المبذول من طرف الطلاب في سبيل تحصيل العلم، تحت خيمة لا تقيهم برد الشتاء ولا تكف عنهم حرارة الصيف. وأيضًا دور شيخ المحْظرة الذي يسخر وقته ويبذل كل الجهد لتعليم وتكوين علماء أفذاذ.

كما تابع المستشرقون مراحل تشكل التاريخ الثقافي للبلاد والنتائج التي حققتها المحْظرة الشنقيطية خارج الفضاء الشنقيطي في المشرق والمغرب وفي غرب إفريقيا من خلال سفراء المحْظرة الذين ذاع صيتهم في كل هذه الأقطار.

أما المستشرق (أتين ريشى Etienne Richet)، فقد تابع بدايات دخول الطالب للمحظرة والظروف العامة فيها، يقول: إن الطالب منذ دخوله للمحظرة وحتى يحفظ الجزء أو الجزئين لا يدفع أي مقابل مادي، وإذا حفظ الجزئين، يقدم هدية لشيخه، تقدر ثلاث مائة أفرانك، وفي نهاية دراسته يختبره الشيخ وإذا نجح في الاختبار يكتب له إجازة من عنده مع سند[٢٤].

ويضيف (پول بيلفى Paul Painlevé) أن الدراسة في المحْظرة، هي ميزة مشرفة يفتخر بها الشبان ويعيرون قرناؤهم الذين لم يكن لهم الحظ في ولوجها، ويصف حالة تدافع الطلاب للتسجيل في المحْظرة ويتنقلون مع شيخهم أينما حل وارتحل. كما "عبر بول بين لفى" عن تقديره المكانة التي يحظى بها الشيخ في هذا المجتمع قائلًا: فطلاب المحْظرة يفدون من كل حدب وصوب إلى خيمة معلم المحْظرة، ويحظى هذا الشيخ بتقدير الأهالي والطلاب، ويبقى فضله قائمًا على الطلاب حتى بعد انتهاء الدراسة، يتجسد ذاك في هدايا

تقدم له، عرفانًا له بالجميل[٢٥].

كما لم يغب عن المستشرقين أن التأثير في هذا المجتمع قد لا يأتي بسهولة، لكن المبدأ الذي عملوا على أساسه هو: " أنهم كلما تقدموا شوطًا في معرفة مؤسسات المجتمع، كلما قلصوا المسافة بينهم وبين المجتمع من جهة، واقتربوا شوطًا من مكان التأثير، يقول المستشرق (پول ماتيPaul Marty) مستشار الإدارة الفرنسية للشؤون الإسلامية لمنطقة إفريقيا الغربية، إن المحْظرة هي المؤسسة المسؤولة عن تصدير القضاة والأئمة والفقهاء، وتسند لفئة للزوايا أهل العلم، ومن ثم يجب على الإدارة الاستعمارية أن تحيطها بعنايتها[٢٦].

الأدوار التي اضطلعت بها المحْظرة:

أدرك بول أن المحْظرة، تقف عقبة أمام المخطط الاستعماري في المنطقة؛ حيث يقول: أساتذة المحاظِر هم علماء وأساتذة جامعيون يقدمون دروسهم تحت الخيام من أمثلة هؤلاء العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي[٢٧]، وقد تطرق (پول مرتي) لمكانة هذا الرجل وعلمه وعدد من مؤلفاته الريان في تفسير القرآن وغيره...."[٢٨].

فالمحْظرة حاربت التنصير في غرب إفريقيا، بدءًا من دولة الجوار السنغال، وذلك بشهادة (بول مارتي) عند ما وقف على الدور الذي تقوم به في الضفة السنغالية خلال القرن ١٩م، وما لقيته من إقبال كبير لفت انتباه المبشرين.[٢٩] في وقت كان المنصرون المسيحيون بدوا يستقرون في نفس الضفة. [٣٠]

ينضاف إلى ذلك شهادة أخرى من الرحالة (موليين Mollien)، تطلعنا على المناطق التي وصلتها المحْظرة، وحاربت فيها التنصير. فقد كان التجار الشناقطة يتنقلون بمحاظرهم حيثما حلوا وارتحلوا دون أن تمنعهم المهن التي يمارسونها، فنشروا الإسلام في أصقاع لم تكن لتصلها في تلك الفترة، وأنقذوها من خطر التبشير المحدق، فنافسوا المبشرين المسيحيين في غرب إفريقيا. فها هو(موليين Mollien) متضايق من هذه المسألة إذ يقول بأن المبشرين المسيحيين في رأس الرجاء الصالح لن يصلوا إلى مناطق وسط إفريقيا إلا بعد أن يكون الإسلام وصلها عن طريق العلماء الشناقطة.[٣١]

التقليل من دور المحْظرة :

أشاد (أتين ريشى E. Richet) (Etienne Richet)، بعلم أهل الصحراء والنشاط الحماسي الذي يمتلك طلاب هذه الجامعة، متناسيًا حالتهم الصعبة وقسوة المناخ التي لم تمنعهم من تحصيل العلم في براري الصحراء.[٣٢] كما قال بذلك مارتي، عندما تحدث عن موسوعية علماء شنقيط، والفترات الطويلة التي يمضونها في تحصيل العلم. من جانب آخر يطلعنا على رقم مهم لعدد الطلاب في إحدى المحاظِر؛ حيث يقول بأسلوب المتعجب، تضم إحدى المحاظِر ٣٨ طالبًا، وهو ما يعني اهتمام الأهالي بهذه المؤسسة والتعامل معها، قصد إنجاح مشروعها.[٣٣] في حين رأى بعض المستشرقين أن المحظرة لا تستحق ما أحيطت من اهتمام من طرف الإداريين الفرنسيين ومن هؤلاء (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، إذ يقول: "إن التعليم القرآني بوصفه تعليم شعائر وألفاظ، لا معنى له لدى الأطفال، وبوصفه تمرين حفظ، فهو لا يرقى إلى مستوى

تمرين للفكر، فكيف به والحال هذه أن يصل إلى أفهام الأطفال؟ قد ينوم في أحسن الأحوال نشاطه الناشئ، ويجعله ينحرف عن المجهود الفكري في المقابل، تلك هي نهاية الحرية الجميلة التي تمتلكها هذه المدرسة المفتوحة في العراء وبداية سطوة نظام متعجرف بقدر ما هو قاس يوشك أن يفقد فيه الطفل عفويته وتوازنه"[٣٤].

ويضيف إن هذا التعليم لا يرقى أن يرسخ عقيدة أو يكون فكرًا، ولا أن ينور لرواده الطريق بل على العكس من ذلك فهو خطر على الأطفال، وقد يتسبب في إفساد عقولهم : "لا يمارس المعلم أي تأثير أخلاقي إنما يكتفي بشحن الذاكرة، ولا يولي أي اهتمام لتعليمهم العقيدة الإسلامية التي يجهلها جهلًا عميقًا. إنه تاجر لغة عربية وكأي تاجر فإنه من النادر أن تجد لديه أفكارًا سياسية دقيقة على الأقل أفكارًا معبرًا عنها بشكل صريح"[٣٥].

وهكذا شكلت الآراء الداعية إلى خطر المحظرة والمقللة من قيمتها موقفًا حازمًا يحد من عملها والأدوار التي تلعبها، وهو اعتراف ضمني بالدور الكبير الذي تلعبه المحْظرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في المنطقة؛ حيث وضعت الإدارة الفرنسية عدة خطط لهذا الأمر، بناء على ما وصل إلى الحاكم العام للمنطقة، من تقارير تفيد بخطورة النشاط التربوي الذي تلعبه المحْظرة، على المشروع الفرنسي في غرب إفريقيا. فأمر الحاكم بإنشاء مدرسة لمعلمي القرآن يتلقون تعويضات مالية ويكونون تحت تأثير من الإدارة فرنسية، ومن أجل محاربة المحاظِر التي تنشأ في كل مكان خارج رقابة وتوجيه الإدارة، ويطلعنا (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) على هذه الإرهاصات قائلا:".... طلب)الحاكم العام(من مدير التعليم في تونس أن يكتب له ما يجري به العمل هناك ومن السيد دي فلكور De Felcourt، في القنصلية في القاهرة طالبًا معرفة سياسة الإنجليز. في هذه المسألة. كما بعث الحاكم المساعد كلوزل Clozel، إلى الجزائر سنة ١٩٠٦م، وقد عاد إليه بتقرير عن المدارس والتعليم الفرنسي ـ الإسلامي في هذه المستعمرة"[٣٦]. وعلى هذا الأساس شكلت الإدارة الاستعمارية من بين المستشرقين لجانا لإحصاء المحاظِر في البلاد الموريتانية، تقوم بجمع معلومات عامة عن الشيخ (المنطقة التي ينحدر منها، والمشايخ الذين أخذ عنهم والطريقة التي يتبعها، وموقفه من الإدارة الفرنسية)، وكذلك عن المحْظرة (عدد طلابها والكتب التي تدرس فيها....)، ومن أمثلة ذلك الوثيقة التي قدمها: "كوستاف اودان Gustave Audan"، عن المحاظِر في كيدي ماغة؛ حيث كان مفوضًا في إفريقيا الغربية الفرنسية (A.O.F)، أحصى خلالها: مائة وستًا وستين إمامًا ومعلمًا، وقدم تفاصيل موسعة عن كل شيخ محظرة على حدة[٣٧].

وقد دخل كافة المستشرقين ومن يعمل لصالحهم في جمع المعلومات وضبط التقارير حسب أوامر الإدارة الفرنسية، ولا يقل دور المستشرقين الذين أبدوا إعجابهم بالمحْظرة، عن غيرهم ممن نعتوها بأوصاف سلبية، فمن خلال تقارير الجميع، خرجت الإدارة الاستعمارية بمجموعة من المقترحات كان أولها محاولة الاحتواء، فأعطت عناية خاصة للمحاظر وشكلت برامج لذلك، إذ أصبحت تمنح رخصًا،

لمن تأمنه على مشروعها، كما أن هذه الرخص، قابلة للسحب إذا لم يستوف المعلم الشروط المفروضة على المحْظرة ويلزم الطفل كي يسمح له بالذهاب إلى المحْظرة لإمضاء ساعتين يوميا في المدرسة الفرنسية، أو بالحصول على شهادة مدرسية قبل دخول المحْظرة القرآنية أو دعم من معلم المحْظرة يخصص ساعتين يوميًا لتدريس الفرنسية في المحظرة، والهدف من ذلك حسب (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) هو إدماج الأطفال وإطلاع السكان المحليين على لغتنا مع احترام معتقداتهم[٣٨].

ومع كل هذه البرامج المفروضة على المحظرة وطلابها ظل الإقبال على المدرسة الفرنسية بين ضعيف وشبه ضعيف، وهو ما يظهر من خلال تقرير للضابط:J.Rosso؛ حيث يقول: إن إقبال أبناء البيظاَن ظل معدوما في السنوات الأولى، وإقبال أبناء الزنوج موجود لكنه ضعيف، لم يتجاوز خلال عامي ١٩٠٥م و١٩٠٦م، الأربعة والعشرين طالبًا، بعد أن كانوا سبعة طلاب، رغم توفير منح دراسية لكل من يلتحق بهذه المدرسة... "[٣٩].

وبهذا فإن الإدارة الفرنسية لم تحقق هدفها التربوي كما كان مخططًا له، ذلك أن أغلب الطلاب لا يدخل المدرسة إلا بعد أن يقطع أشواطًا في التعليم المحظري أو يزاوج بينهما، وهو ما انصاعت له الإدارة الفرنسية، عندما علمت أن المحْظرة يحيطها الشناقطة بشيء من الهيبة والقداسة. ويرجع (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey) أن هذا الفشل مرده قلة الحكمة، والأولى أن تفرض التعاليم الدينية المسيحية بشكل علني مع الثقافة الفرنسية، وإلغائه مادام لا يحقق ما تصبو إليه الإدارة، فيقول: "مبدأ المدرسة (أي المدرسة الفرنسية)، ممتاز ولكن تطبيقه ينبغي أن يكون حكيمًا، في هذه الحال يكون العمل بالتميز اللاهوتي أو لا يكون أبدًا"[٤٠].

ومن جهة أخرى حاربت الإدارة الفرنسية الوجود المحظري خارج الفضاء الشنقيطي بقوة فبعد أن وجه (بول مارتي) اللوم للإداريين الفرنسيين على تجاهلهم نشاط الشيخ محفوظ[٤١] الدعوي في بلاد ديولا الوثنية، حتى صارت له علاقة طيبة بزعماء تلك البلاد[٤٢]، فسرعان ما تم تضييق الخناق على كافة تحركات العلماء الشناقطة في السودان الإفريقي. وجاءت الأوامر من الإدارة الاستعمارية باعتقال الشيخ محمد هـادي[٤٣] الـذي كان مستقرًا بغينيا في بقرية ساندیا يعلم الناس الإسلام سنة ١٩١٢م[٤٤]. كما رحلت السلطات الفرنسية الشريف سيدي محمد حيدرة[٤٥]من بلاد ديولا الوثنيين لكونه جاء لنشر الإسلام بها[٤٦].

وخلاصة القول إن المستشرقين وقفوا على التعليم المحظري من جميع جوانبه، سواء تعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس، أو من حيث المكانة التي تحظى بها في هذا المجتمع، والدور الذي لعبه علماء المحْظرة في تحصين المجتمع الشنقيطي ونشر الإسلام في غرب إفريقيا، ومحاربتهم للتنصير، كما كانت مصدر قلق لهم، فجاء الدافع للتعرف عليها عن قـرب قصد كبح عطائها وطمس إشعاعها العلمي والثقافي.

ثالثًا: جوانب من المقاومة الثقافية (معارضة المدرسة الفرنسية)

شكلت محاربة المدرسة (Ecole) عنوانًا عريضًا في شعر المقاومة الشنقيطية؛ وذلك لعدة عوامل منها:

١- المدرسة وافد أجنبي، يقدم تعاليم الثقافة النصرانية، بتصوير شعوب الحضارة الغربية على أنهم أسياد العالم وشعوب العالم الأخرى أتباع لهم، هذا فضلًا عن محاربة الإسلام وذاك لما عاشه علماء المسلمين من سجن واضطهاد ونفي وإبعاد في دول الجوار.

٢ - لم يخف على العلماء أن التنصير أصبح على الأبواب بعد أن وصل المنصرون (وبحماية من الإدارة الاستعمارية) الجوار المباشر للبلاد، وبخاصة بعد ما شاهدوه من استعمار وقهر واستعباد للسكان وفرض الثقافة الفرنسية والتبعية للقوة الاستعمارية.

٣- شكل افتتاح المدرسة في هذه البلاد أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة للإدارة الفرنسية، لما تخطط له من محاصرة المحْظرة، التي رأت فيها مصدر إمداد الرحلات الدعوية لنشر الإسلام في غرب إفريقيا؛ حيث اعتقلت بعض العلماء الشناقطة وطردتهم من تلك المناطق، التي كانوا قد استقروا بها يعلمون الناس، ويساهمون في نشر الثقافة العربية هناك. وهو ما تولدت عنه هبة شعبية واسعة ضد افتتاح هذه المدارس منذ مطلع القرن العشرين وكانت الوسيلة الأنجع لإيصال رسائلهم هي الشعر، فنظموا الفتاوى، والنصائح التي تحذر من تسليم الصغار للنصارى، وأن من يفعل ذلك يكون مفرطًا في أبنائه. كما بينوا أن المدرسة الفرنسية وسيلة لمحاربة الدين وطمس الهوية الإسلامية، وقد جاءت الفتاوى بهذا الصدد من أعلام كبار ومن مختلف مناطق البلاد.

وفي دراسة أعدها العالم اللغوي (كمنس Cummins) حول تأثير اللغة الأجنبية على اللغة الأم خلص إلى مسألتين اثنتين مفادهما أن اللغة الأم ينبغي أن تحظى بالاهتمام الأكبر وبخاصة في سن الطفولة، وهما كالآتي:

١- أن على المتعلم (التلميذ) أن يصل درجة معينة من إتقان اللغة الأم قبل أن تقدم له اللغة الوافدة، وبعد أن يصل (عتبة إتقان اللغة الأم) قد تقدم له دروس في اللغة الأجنبية، لكن يجب أن تبقى اللغة الأم حاضرة حتى لا تبدأ في التناقص التدريجي - عنده - حتى تختفي. وفي حالة إقصاء اللغة الأم سيؤدي ذلك إلى ما يسمى بالثنائية اللغوية المتناقصة (Subtractive bilingualism)

٢ - أن إتقان اللغة الأم يساعد على إتقان اللغة الثانية وتطور المهارات اللغوية في الأخيرة. وهو ما عرف بـ: نظرية التبادل التطوري Developmental Ineterdependence) Hypothesis).[٤٧]

وتنبه من هذه الدراسة إلى الخطر الكبير الذي قد تسببه اللغة الثانية على اللغة الأم. وهو ما يعني أن التعليم الوافد من أهدافه ربط شعوب هذه المستعمرات بأسيادهم المستعمرين فكريًا وثقافيًا، والمدخل إلى ذلك هو تعليمهم ثقافة هذا الوافد وتبشيرهم بمعتقداته: "...فإن غزو هذه المدارس التثقيفي القومي هو تمهيد للغزو الديني فهي معقل

التبشير بالديانات والنحل...."[٤٨].

وقد تراءى لبعض المستشرقين أن المدرسة الفرنسية لم تلعب الدور المنوط بها، فها هو (المستشرق دي شايه) يقيم دور المدرسة في مناطق الزنوج من هذه البلاد؛ حيث يقول: "في بلاد الزنوج لا يوجد أي من هذه الشروط ولا يتوفر أي واحد من هذه الأهداف فتبدو المدرسة وكأنها دورة تعليمية تنشأ وتصان ويصرف عليها من قبلنا ثم تخرج رجال دين معادين في الغالب ومرتابين دائمًا"[٤٩].

وقد استفتى الشاعر محمد بن محمد المصطفى العلماء في نازلة المدارس الاستعمارية:

مِلحَ البلاد ما جواب سائِلِ

.....عن حكم أمر في البلاد نازل

تسليمنا أولادَنَا الصغَارَا

.....طوعا إلى مدارس النصارى

كما أجابه محمد الأمين بن محمد مولود بن أحمد فال:

جاز تعلمُ خطوطِ الكفره

.....لبالغ من المِلاحِ المهره

ومنعوا إسلام نجله الأبِ

.....لكافر يبعثه في المكتبِ

فإثمه بعدُ إذا تنصرا

.....على الذي أعطاهُ، فيها اشتهرا

ذكر ذا العلامة الشوشاوي[٥٠]

.....بحرُ المعارف الخِضَم الراوي

ورد عليه أيضًا العلامة عبد الله بن داداه ضمنيًا بقوله:

الصمت دون ما يخاف جنه

.....وقال في إضاءة الدجنه:

"الحق لا يخفى على ذي عين

.....والله أرجو عصمة لديني"

كما جاء النهي عن تسليم الأطفال للمدارس، والتذكير بعواقب ذلك من الويل والثبور في الآخرة والعار والدنية في الدنيا، ويحذر أحمدو ابن فتى للذين يرتادون مدارس النصارى:

بناة مدارس الفاني عدُوي

لِدُوا للموت وابنوا للخراب

فأبنيةُ الحطام إذا أقيمت

كأبنية العناكب والذباب

يقول أحمد بن محمذن بن المنى:

فلا تجعل صبيك في "لكول"

لتأمن لهيب لظى الأَكُول

وكن عنها إذا نشرت ذووها

ليدخلها الدعاية ذا نكول

ولا تَقُل العُدُولُ الشمُ فيها

وفيها الشم أبناء العُدُول

فليست عصمة الرحمن إلا

لمن حاز النبوة كالرسول

يقول محمد حبيب الله بن مياه:

ألا أيها الإخوانُ إن المدارسا

بعهد جديد كان أو كان دارسا

مكيدةُ أهل الكُفرِ للدين بالدنا

غَزَوهُ بها غزوًا قد أعيا الفَوَارِسا

وعمت ببلواها ديانتَنا التي

نحُج بها ذا الكُفرِ رُومًا وفارسا

ألم تنظروا هل هي مِن حرث دينكم

للأخرى فلا تألوا عليها منافسا

وهل هي للدنيا بمحض معيشة

تُضَررُ بالأخرى تجر الطنافسا

ففروا فالتقى خير زادكم

إذا ما نبذتم في سواه الوساوسا

ويضيف قائلًا:

وتقتل أَفهامَ الصغارِ عن التقى

إلى أن يصيروا وافدين الكنائسا

بفلسفةٍ أو شِيعَةٍ أوشيُوعَةٍ

تلائم من للكفر كان مُجانسا

وخيرُ الوَرى عما يلائمهم نهى

طِباعاً فِعَالاً صورةً وملابسا

ويقول الشيخ محمدو حامد بن آلا:

والدينُ مبقاه أن تأتي الصغارُ بهِ

وحيث لاَ فإذَن لم يبق من دينِ

والناسُ إن أفسدوا دين الصغار رضوا

بالمحو للدين من كل الدواوينِ

وليس يرضى بمحو الدين غير عَمٍ

عن نهج الإيمان والإسلام مفتونِ

خاتمة:

وقد خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها في النقاط الآتية:

- أن بعض المستشرقين قد تناول الكتابة عن هذا المجتمع بشيء من الموضوعية؛ حيث خرج بخلاصة مفادها أنه مجتمع بدوي عالم، يمتاز بالكرم رغم صعوبة الحياة في الصحراء. كما يذكر للحركة الاستشراقية أنها حفظت العديد مخطوطات التراث الإسلامي، من بينها مخطوطات شنقيطية كانت على وشك الضياع، وهي اليوم محفوظة في الأرشيف الفرنسي.
- أن الأوروبيين أدركوا أهمية هذه البلاد (شنقيط)، وبخاصة الفرنسيين الذين كانت لهم اليد الطولى في احتلالها، وقد انطلق أغلبهم(المستشرقين) في تصوره من مبدأ مفاده أن جل ما يكنه الشناقطة لهم من عداء مُتأتٍّ من تعاليم الإسلام، الذي هو مصدر كل أوجاع وعذابات إفريقيا، كما يزعمون، والواقع أن ذلك يعود لوجود موروث تاريخي في الوعي الذاتي للشخصية الغربية ينظر إلى المسلمين كأعداء في صراع حضاري وتاريخي.
- أن نخبة المستشرقين التي زارت البلاد قد اطلعت على العديد من الترجمات أثناء عملهم في الجزائر، وتأتي في مقدمة هذه الترجمات: ترجمة معاني القرآن والسنة النبوية وترجمات الفقه المالكي، وبخاصة جوانب المعاملات التي ركز عليها المستشرقون كثيرًا، وكذلك عادات المجتمعات الصحراوية إلى غير ذلك.

- أن كتابات المستشرقين ركزت على تاريخ المنطقة، فأرخوا لدخول المرابطين، وكتبوا عن فكر ناصر الدين وحركته الإصلاحية، والظروف التي ظهر فيها. كما ترجموا مؤلفات عن أنساب البيظَان ومشايخهم، وعن حركة انتجاعهم.
- أن من أبرز تجليات الإيديولوجيا الاستشراقية في هذه الكتابات، ما ظهر من تقديم المعلومات التامة عن المجتمع سواء تعلق الأمر بالثقافة أو الدين أو السياسية، والتقليل من قيمة المعارف الشنقيطية، والقول بأنها لا تحمل فكرًا أو عقيدة.
- تكرار نفس الصورة السلبية عن هذا الشعب، كالقول بهمجيته وأنه يفتقد المبادئ الأساسية للحضارة العالمة، وهي ذات الانطباعات التي تتردد في جل كتاباتهم.
- أن المستشرقين ربطوا علاقات مع بعض المشايخ، حتى أصبحت هناك مراسلات ثابتة بينهم وبين الإدارة الاستعمارية في سينلوي بالسنغال يستعينون بهم في تقديم المعلومات والتدخل وقت الضرورة.
- خدمت الحركة الاستشراقية الإدارة الفرنسية في تحقيق احتلال البلاد والسيطرة على أسواقها، وربط مستعمراتهم في الجنوب بمستعمراتهم في الشمال. كما تولى المستشرقون مسؤوليات وزارات التربية والتعليم في المستعمرات، وأشرفوا على وضع المناهج التربوية بها.
- حوصرت البلاد ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا فمنعت الرحلات التجارية الشنقيطية المتجهة إلى السودان الغربي، فقطعت من ارتباطاتها التاريخية وصلاتها العلمية والروحية....الخ.
- أدرك المستشرقون ما تشكله المحْظرة من تحد بالنسبة لهم في الداخل الموريتاني والجوار الإفريقي، وصعوبة اختراق هذا المجتمع البدوي العالم، الذي يصعب ترويضه على الأفكار الأجنبية وإخضاعه لسلطة قارة.

وهنا نقول إنه كان بالإمكان توظيف الاستشراق بشكل إيجابي كأداة للتقارب الحضاري والتعايش السلمي، وهو ما لم تتطلع إليه الحكومات الفرنسية المتعاقبة؛ حيث حاربت الثقافات الوطنية لتفسح المجال أمام ثقافتها ولغتها التي تعدها الوسيلة الأفضل لخدمة أهدافها، مخالفة في ذلك مبادئ الثورة الفرنسية التي تقول بالحرية والعدالة والإخاء، ومخالفة أيضا أطروحة الجنرال ديغول القائلة: "هناك ميثاق على امتداد العشرين قرنا يخلد عظمة فرنسا ويصون حرية العالم "(٥١)

(Il y a un pacte ving fois séculaire entre la grandeur de la France et la liberté du monde)

الحواشي

1 . Paul Dubié.La vie matérielle des Maures mémoires de L'Ifa n°23 ,dakar ,1954.pp:113-252.p:119

2 . Gaston Donnet , En Sahara a travers le pays des maures Nomades, p : 301 ,302 .Paris société française Edition D'Art.

3 . Gaston Donnet , En Sahara a travers le pays des maures Nomades, p : 301 ,302 .Paris société française Edition D'Art.

٤. الدارجة الموريتانية

٥. التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د.الشيخ سيدي عبدالله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء الموريتانيين، العدد ١٠، ٢٠١٠.

٦. الوالي الفرنسي على السنغال في تلك الفترة.

٧. بلاد البيظان أو أرض البيظان، هي تسمية من تسميات أطلق على موريتانيا قبل الاستعمار.

٨. الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمدو ولد محمدن أمين، ص:١٩٣.

٩. التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د.الشيخ سيدي عبد الله مجلة إتحاد الأدباء الموريتانيين، ع، ١٠، ٢٠١٠

١٠. الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان الديماني.

11. Ismael Hamat, Chronique de la Mauritanie sénégalaise, Nacer Eddine, texte arabe traduction et Notice, P :1 . Ernest Leroux Editeur, Paris, 1911 ,

12. Ismael Hamat. P :1

١٣. مجموعة قبلية.

14. Ismael Hamat. P :2

١٥. إمارة ادوعيش ومشظوف، الشيخ سيديا بابا، تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط٢، نواكشوط، ١٩٩٤، ص:٩٥،

١٦. التأليف في موريتانيا في ظل الاستعمار. ورقة بحثية د.الشيخ سيدي عبد الله مجلة إتحاد الأدباء الموريتانيين، ع، ١٠، ٢٠١٠

١٧. إخبار الأحبار بأخبار الآبار، أمحمد بن أحمد يورة، ترجمة (بول مارتي Paul Marty) ، دراسة أحمد ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، ١٩٩٢. تقع في ١٢٤ صفحة.

١٨. شنقيط المنارة والرباط، ص:٥٣ ـ٥٦

١٩. مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي، ص:٣٠-٣١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، ٢٠٠٧. ط١.

٢٠. موريتانيا وأوربا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد همدي ص:٦١،٦٢

21. Francis Nicolas, La langue berbère de la Mauritanie ,Mémoire de l'institut français d'Afrique noire n° : 33 , IFAN-DAKAR 1953

22. A .N.M ; Série E, dossier N°8 Mr. Le ministre des colonies en date du 1decembre 1902,

نقلًا عن المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد ، مجلة الحكمة،ص:٦٨، ع:١٢، ١٩٩٩، بغداد.

٢٣. يتحدث المستشرق إدموندو دي أميتشس عن الكتاب القرآني المغربي وتتقارب الأوصاف مع اختلاف بسيط في أعـداد الطلاب التي هي بالعشرات في المحْظرة: "...الكتاب القرآني الذي يتكون من حوالي ستة أطفال تحت رقابة المعلم الذي يحمل العصا وعلى أهبة معاقبة أي شرود من جانب تلاميذه...والذين يتناوبون على لوحة واحدة للقراءة.."الرحلة في صورة

الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين تأليف مشترك إشراف:كريم بجيت، مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص:١٣١، ٢٠١٣

24. Etienne Richet ,La Mauritanie ;p :119

25. Etienne Richet, (professeur, au collège des seinces sociales, membre du conseil supérieur des colonies), La Mauritanie , préfaces :Paul Painlevé (membre de l'institut ancien président du conseil) paris, 1920.

26. Paul Marty .Les tribus de la Haute MAURITANIE,p:85, comité de l'Afrique française Paris 1915 .

٢٧. محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن علي بن يمغدش ابن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت بن يذر ابن إبراهيم الأموي.

28. Les tribus de la Haute MAURITANIE,p:56, Paul Marty, comité de l'Afrique française Paris 1915

29. Paul marty, L'émirat des Trarza p271:

30. Paul marty, L'émirat des Trarza p :286:

31. Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'afrique

نقلًا عن مجتمع البيظان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، سابق، ص:٣٠٠,

32. La mauritanie, Etienne Richet . P : 119 Paris 1920.

33. Etudes sur l'islam au sénégal P :18

٣٤. (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص: ١٢٦. ترجمة محمد ولد بوعلية دارجسور للنشر. بتصرف.

٣٥. (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص:١٢٧. ترجمة محمد ولد بوعلية دارجسور للنشر.

٣٦. (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص: ١٢٧. ترجمة محمد ولد بوعلية دارجسور للنشر.

٣٧. المقاومة السوننكية، للاستعمار في كيدي ماغة،ص:٨٣، ١٩٠. د.محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه.مكتبة القرنين،٢٠١٠.

٣٨. السابق، ص: ١٢٦.

39. J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble), P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908

٤٠. (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص:١٣٠. ترجمة محمد ولد بوعلية دارجسور للنشر

٤١. أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي تحدث عنه بول مارتي في روايته لأخبار العلماء الشناقطة.

42 : paul marty. L'islam au sénégal p :46/ T1

٤٣. أحد العلماء الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي.

٤٤. الوثائق الوطنية ملف ٤٤/E٢. النحوي ص: ٣٤٣

٤٥. تلقي تعاليم الدين الإسلامي على يد العلماء الشناقطة.

٤٦. النحوي ٣٤٣.

٤٧. السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية خالد بن عبد العزيز الدامغ ص:٤٠ ـ ٤٤. ط:١، ٢٠١١، الوطن للنشر، السعودية الرياض،

٤٨. المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية. ص:٣٧. بكر إبن عبد الله أبو زيد. دار ابن حزم القاهرة ط١. ٢٠٠٦

٤٩. (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، ، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص:١٣٠. سابق

٥٠. الشيخ الإمام الأصولي الفقيه أبو علي حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الوصيلي الشوشاوي نسبة إلى إقليم شيشاوة المغربي.

٥١. هذه الترجمة اقترحناها لتناسب مقولة ديغول.

المصـادر والمراجع

- إخبار الأحبار بأخبار الآبار، أمحمد بن أحمد يورة، ترجمة (بول مارتي Paul Marty)، دراسة أحمد ولد الحسن، معهد الدراسات الإفريقية الرباط، ١٩٩٢.
- إمارة ادوعيش ومشظوف، الشيخ سيديا بابا، تح: إزيد بيه بن محمد محمود ط٢، نواكشوط، ١٩٩٤.
- الرحلة في صورة الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين تأليف مشترك إشراف: كريم بجيت.
- السن الأنسب لتدريس اللغات الأجنبية خالد بن عبد العزيز الدامغ، ٢٠١١، الوطن للنشر، السعودية الرياض.
- شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧.
- الطريق إلى تنبكتو عبر موريتانيا، محمدو ولد محمدن أمين. بدون السنة.
- مجالس مع فضيلة العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، ٢٠٠٧. ط١.

- مجتمع البيظَان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية.
- المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية. ص:٣٧. بكر ابن عبد الله أبو زيد. دار ابن حزم القاهرة ط١. ٢٠٠٦.
- المقاومة السوننكية، للاستعمار في كيدي ماغة، محمد المحبوب ولد محمد المختار ولد بيه.مكتبة القرنين، ٢٠١٠.
- موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، ترجمة محمد ولد بوعلية دار جسور للنشر. بتصرف.
- موريتانيا وأروبا عبر التاريخ، محمد سعيد ولد همدي، بدون: السنة ودار النشر.

المجلات:

- التأليف الموريتاني في ظل الاستعمار، د.الشيخ سيدي عبد الله، ورقة بحثية، مجلة الأديب، اتحاد الأدباء الموريتانيين، العدد ١٠، ٢٠١٠.
- مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص:١٣١، ٢٠١٣.
- المنظمات الإنسانية واجهة الاستعمار الجديد في موريتانيا، محمد المختار سيدي محمد، مجلة الحكمة،ص:٦٨، ع:١٢، ١٩٩٩، بغداد.

المراجع الأجنبية:

- Etienne Richet ,La Mauritanie.
- Francis Nicolas, La langue berbère de la Mauritanie ,Mémoire de l'institut français d'Afrique noire n° : 33 , IFAN-DAKAR 1953.
- Gaston Donnet , En Sahara a travers le pays des maures Nomades,.Paris société française Edition D'Art.
- Ismael Hamat, Chronique de la Mauritanie sénégalaise, Nacer Eddine, texte arabe traduction et Notice, P :1. Ernest Leroux Editeur, Paris, 1911 ,
- J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble),P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908
- La Mauritanie , préfaces :Paul Painlevé (membre de l'institut ancien président du conseil) paris, 1920.
- Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique
- Paul Dubié.La vie matérielle des Maures mémoires de L'Ifa n°23 ,dakar ,1954.
- Paul Marty, L'émirat des Trarza.
- Paul Marty .Les tribus de la Haute MAURITANIE. comité de l'Afrique française Paris 1915.
- Paul Marty. L'islam au Sénégal / T1

ومضات سنية من حياة شيخ المجددين الشيخ حسن العطار (ت: ١٢٥٠هـ)

الحسان العوني

المغرب

المبحث الأول: ولادته واسمه ولقبه وكنيته:

ـ ولادته: مترجَمنا هو العالم، الحبر، الفهّامة، الأديب، الأريب، النّحرير، الناثر، الشاعر، المترسّل، الفقيه، المحدِّث، الأصولي، النحوي، اللغوي، المنطقي، الرياضي، الفلكي، المصلح، الرحّالة، اللوذعي، الألمعي، شيخ شيوخ الأزهر الشريف، المجدّد، الموسوعي، وحيد عصره، فريد دهره، الحائز قصب السبق الشيخ حسن بن محمد العطّار.

ولد مترجَمنا في الثلث الأخير من القرنين الثاني عشر الهجري، والثامن عشر الميلادي سنة (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م) بالقاهرة[١]. وقد اعتبر بعضهم أن تاريخ ولادته في نيف وثمانين ومائة وألف[٢]، ومنهم من قال سنة ثنتين وثمانين ومائة وألف[٣].

فيما ذهب فريق ثالث إلى اعتبار سنة تسعين ومائة وألف هو تاريخ ولادة الشيخ.[٤].

لكننا نرجح أن التاريخ الحقيقي لولادة مترجَمنا هو ما أوردناه أولًا، نظرًا لتواتر الروايات وإجماع علماء التراجم على ذلك.

ـ اسمه ولقبه: هو حسن بن محمد الشهير بالعطّار الأزهري المصري مولدًا، المغربي محتدًا وأرومة، الشافعي مذهبًا. وأضاف بعضهم اسم (محمود)، وهو جد مترجَمنا، وعليه يكون اسمه (حسن بن محمد بن محمود العطار)[٥]. كان أبوه محمد كتن عطّارًا، استخدم ابنه أولًا في شؤونه، ثم أنس منه رغبة في العلم، فساعده على تحصيله[٦]، ومن هنا جاءه هذا اللقب[٧].

ولا يمكننا التسليم بهذا الطرح لمجموعة من الاعتبارات الموضوعية منها ما ذكره غير واحد من المؤرخين وعلماء التراجم أن أصل الرجل ينحدر من المغرب. ولقب العطّار هذا ارتبط باسم أعرق العائلات الأندلسية التي استوطنت تطوان عقب سقوط غرناطة سنة (٨٩٨ هـ /١٤٩٢م) ثمان وتسعين وثمانمائة، اثنتين وتسعين وأربع مائة وألف لميلاد عيسى عليه السلام. كما استوطنت

أيضًا فاس، ولهم بها زاوية[٨]. وقد هاجر أسلاف هذه العائلة وغيرها إلى مصر واستقرت بها إما بطريقة مباشرة، أو عبر رحلات الحج بحيث كانت مصر مركز جذب للمغاربة: "ومثلت دائمًا في الواقع عمقًا بشريًا مغربيًا في مصر، وكانوا يقولون عنها دائمًا إنها بوابة المغرب العربي. وقد أحدثت الهجرة المغربية أكبر تغير سكاني وعمراني في تاريخ الإسكندرية (...) في النصف الأول من القرن السابع عشر."[٩] وقد تحدث الباحث حسام محمد عبد المعطي عن الأسباب الكامنة وراء هذا النزوح الجماعي للمغاربة وتقاطرهم على أرض الكنانة، وفي ذلك يقول: " شهدت المدن المصرية، وبخاصة القاهرة، والإسكندرية، ورشيد هجرة مغربية، واسعة بعد سقوط غرناطة، والاضطهاد الذي تعرض له المسلمون في إسبانيا؛ حيث توافدت أعداد كبيرة منهم على مصر".[١٠] وعائلة مترجمنا واحدة من بينها.

وعليه يكون الاسم الكامل لمترجَمنا حسن بن محمد كتن بن محمود العطار.

ـ كنيته:

كني بأبي السعادات[١١] وقد كناه غير واحد بذلك، منهم تلميذه الألمعي، الأديب المصري مصطفى بكري الساعاتي الذي قال في حقه: "العالم الفرد، والعلَم الأوحد، رب الشعر والقريض، والفنون التي هي كالروض الأريض، ذو التآليف الشائقة، والتحقيقات الفائقة، أوحد الفضلاء... المتفنن في علوم لا يعرفها إلا أفراد قليلة، الحائز قصب السبق في مضمار كل فضيلة، شيخنا، بل وشيخ كل من نظم ونثر، وقرأ العلوم وحرر أبو السّعادات حسن بن محمد الشهير بالعطّار."[١٢]

وبإضافة كنية أبي السعادات يصبح اسم مترجمنا: أبو السّعادات حسن بن محمد كتن بن محمود العطّار.

المبحث الثاني: أسرته.

ينحدر مترجَمنا من عائلة أندلسية مغربية انتقلت إلى مصر. بفعل مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية منها، الضغط الإسباني على المغرب العربي، والظروف السياسية التي مرت بها هذه البلدان كانت من عوامل الطرد السكاني، وهجرة العديد من العائلات المغربية إلى مصر، ناهيك عن أن النشاط التجاري والحج، والمركز الثقافي، والعلمي لمصر جعلتها محط أنظار كثير من المغاربة للاستقرار بها. "[١٣] هذا فضلًا عن العامل الأهم والأبرز وهو رحلة الحج التي كانت أرض الكنانة جسرًا لها فكان على المغاربة أن " يقضوا في مصر حوالي شهر إلى الربع الأول من شهر شوال للراحة، وحتى يتحرّك موكب الحج المصري، فيتوجهون معه إلى الحجاز؛ حيث تستغرق رحلة الذهاب والعودة للحرمين حوالي ثلاثة أشهر في عمق صحراء شبه الجزيرة العربية. وعلى إثر العودة إلى مصر كان عدد من المغاربة يطيلون مدة إقامتهم في مصر إما للتجارة، أو الدراسة والتعليم. وكان وجود مغاربة من أقاربهم أو معارفهم يشجعهم على الاستقرار المؤقت، الذي سرعان ما كان يتحول إلى استقرار نهائي."[١٤]

وتبعًا لذلك، فأسرة العطار إحدى هذه الأسر المغربية التي آثرت الاستقرار بأرض الكنانة،

بالقاهرة، جوار الأزهر. والتي فيها ولد مترجَمنا، ونشأ في أحيائها، مترعرعًا في حضنها، في أسرة عريقة، ذات محتد وأرومة، عرف عنها حبها للعلم وأهله، فتربى في كنَف والده " الشيخ محمد كتن. وكان لهذا الوالد مشاركة في بعض العلوم كما يدل عليه قول المترجَم له في بعض كتبه " ذاكرت بها الوالد رحمه الله" وقد استخدم الوالد ولده في شؤونه، ولما رأى منه إقبالًا على العلم ساعده على تحصيله. فكان يتردد على الأزهر، ويحضر حلْقات مشايخه في ذلك العصر."[١٥] حتى حفظ القرآن في مدة يسيرة. فلما اطلع أبوه على ذلك فرِح به فرَحًا شديدًا وتركه لطلب العلم، فجدّ في التحصيل على كبار المشايخ؛ كالأمير، والشيخ الصّبّان وغيرهما حتى بلغ من العلوم في زمن قليل مبلغًا تميّز به، واستحق التّصدّي للتدريس.[١٦]

فعظم شأنه بين أقرانه، وأهل مصره وعصره "لا عيب يضاف إليه سوى أن أهل عصره قد دار أمرهم في علومهم عليه، فهو فرد المعارف والعوارف، وكعبة حرم اللطائف لكل طائف، به جمال محيا العلم قد ازدهى، وإليه كمال الفهم قد انتهى (...) ولقد انفرد في علم الأدب، وأجاد فيما نظم ونثر، وأحاطت به إحاطة الهالة بالقمر، وكان مقره بالجامع الأزهر، والمقام الأنور."[١٧]

وقد توصل الباحث محمد سيد أحمد إلى القرية التي يعيش فيها أحفاد مترجَمنا بعدما قام بزيارتها، واستوجب بعض أحفاد الشيخ فكان مما قاله: " يعيش أحفاده الآن بقرية الحجاجية بفاقوس في محافظة الشرقية - (٩٥كلم) بينها وبين القاهرة - (...) في مدخل الحجاجية كان مسجد العطار أقدم وأكبر مساجد فاقوس شاهدًا على التزام أحفاد حسن العطار بصلاة الجماعة، والتزامهم أيضًا بالتعليم الأزهري اقتداء بجدهم المؤسس للعائلة."[١٨] فكان مما أفادنا به من معلومات قيمة، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الدكتور نبيل العطار أحد أحفاد الشيخ حسن العطار، الذي قال: " الشيخ حسن العطار هو ابن عم عبد الله العطار(جد والدي) الذي كان أحد علماء الأزهر الكبار في عهد محمد علي باشا، ومن بعده إبراهيم باشا، وعباس حلمي الأول، ثم سعيد باشا الذين عاصروا الشيخ حسن العطار. فكانت للعائلة ضلعان: شيخ الأزهر حتى العطار، وابن عمه عبد الله العطار فأنا أبلغ من العمر ٦٤[أربعًا وستين] عامًا، أنتمي للجيل السابع في أسرة العطار، ومن ورائي جيلان آخران؛ الثامن والتاسع."[١٩]

المبحث الثالث: شيوخه.

إن الباحثين ـ عن الأساتذة الذين نهل من معينهم مترجَمنا ـ مدينون للعطار نفسه؛ لأنه قد أعفانا مشقة التنقيب والبحث، والتتبع، والتدقيق في سيرة الرجل، وتعرّف شيوخه. فلم يحوجنا إلى التساؤل عنهم، وتحديد هُويّاتهم بما خطّه بيده في نص الإجازة التي سطّرها للشيخ حسن ابن الشيخ إبراهيم البيطار الدّمشقي، والذي كان يحضر جميع دروسه حينما كان مقيمًا في الشام. فكان مما قاله: "وعندما ألح عليّ استخرت الله، وأجزته، وبمطلوبه، ومرغوبه أسعفته بما تجوز لي روايته، وتنسب إلي درايته، عن أشياخي الذين اقتبست أنوارهم، واغتنمت أسرارهم، فهم والحمد لله عدد كثير، كل له قدر خطير؛ فمنهم العلامة الشيخ محمد الصّبّان، والفهامة الشيخ أحمد يونس، والشيخ عبد الرحمن

المغربي، والشيخ أحمد السّجاعي، والشيخ أحمد العروسي، والشيخ عبد الله الشرقاوي، والشيخ محمد الشّنواني، والشيخ عبد الله سُويدان، وغير هؤلاء من السادة الشافعية.

وأما من السادة المالكية: فالإمام الشيخ محمد الأمير، والشيخ محمد عرفة الدّسوقي، والشيخ أحمد برغوث، والشيخ البيلي، وغيرهم.

وقد يسّر الله لي حين سياحتي في الديار الرّومية، والشّامية، والحجازية، فرأيت جهابذة فضلاء، وأساتذة نبلاء، تسنّموا غارب الفضل، واجتنوا ثمار العقل، فأخذت عنهم بعضًا من العلوم، وربحت تجارتي بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم."[٢٠]

وسنعرض بإيجاز لتراجم هؤلاء الشيوخ مرتبين حسب تواريخ وفياتهم، وهم:

من السادة الشافعية:

١ ـ **الشيخ أحمد السُّجَاعي:** هو " الفقيه النبيه، العمدة الفاضل، حاوي أنواع الفضائل أحمد بن الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد السّجاعي الشافعي الأزهري، ولد بمصر ونشأ بها. وقرأ على والده وعلى كثير من مشايخ الوقت، وتصدر للتدريس في حياة أبيه، وبعد موته في مواضعه (...) توفي سنة سبع وتسعين ومائة وألف.

٢ ـ **الشيخ العلامة محمد الصَّبَّان (ت١٢٠٦هـ)**، [عام ستة ومائتين وألف] أبو العرفان بن علي الصبان الشافعي الأشعري المصري، ولد بمصر، وحفظ القرآن والمتون. (...) اشتهر بالتحقيق والتدقيق، والمناظرة، والجدل(...) وله في النثر كعب علي، وفي الشعر كأس ملي (...)[٢١]

٣ ـ **الشيخ أحمد العروسي:** هو الإمام الشيخ **أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي** الشافعي، ولد بقرية منية عروس التابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية، وكان مولده عام (١١٣٣هـ/١٧٢٠م) [ثلاثة وثلاثين ومائة وألف الموافق لعشرين وسبعمائة وألف] (...)

وقد توفي الشيخ الإمام أحمد بن موسى العروسي في اليوم الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة (١٢٠٧هـ/١٧٩٤م) (...)[٢٢] واعتبر بعضهم أن تاريخ وفاته ٢١ [واحد وعشرين] شعبان سنة (١٢١٨هـ) [ثماني عشر ومائتين وألف]. وقيل سنة (١٢٠٨هـ).[٢٣] [ثمان ومائتين وألف]

٤ ـ **الشيخ أحمد يونس:** هو الإمام، العلامة، واللوذعي الفهامة، رئيس المحققين، وعمدة المدققين، النحوي، المنطقي، الجدلي، الأصولي؛ الشيخ **أحمد بن يونس الخليفي الشافعي** الأزهري، من قرابة الشهاب الخليفي. ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف [(١١٣١هـ)] كما سمعته من لفظه ـ وقرأ القرآن، وحفظ المتون. وحضر على كل من الشبراوي والحفني، وأخيه الشيخ يوسف، والسيد البليدي، والشيخ محمد الدفري، والدّمنهوري، وسالم النفراوي، والطحلاوي والصعيدي، وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري. ودرس وأفاد بالجامع الأزهر(...) توفي في أوائل رجب سنة (١٢٠٩هـ).[٢٤] [تسع ومائتين وألف]

٥ ـ **الشيخ عبد الرحمن المغربي:** هو الشيخ

عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي نزيل مصر، العمدة الجليل، والنبيه النبيل، العلامة الفقيه، المفوّه الضرير(...) درس كتاب الغرر في مذهب السادة الحنفية، وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني(...) توفي ـ رحمه الله ـ سنة تسع ومائتين وألف.[٢٥] [(١٢٠٩هـ)]

٦ ـ **الشيخ عبد الله الشرقاوي:** هو الإمام الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي، الأزهـري الشرقاوي. ولد بقرية **"الطويلة"** بالقرب مـن قرية **"الـقـريـن"** فـي **محافظة الشرقية** سنة (١١٥٠هـــ/١٧٣٧م) [خمسين ومائة وألف الموافق لسبع وثلاثين وسبعمائة وألف] ونسب إليها.(...) تولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ العروسي (١٢١٨هـ/١٧٩٣م)، وقيل: (١٢٠٨هـ). (...) كان في مقدمة زعماء الشعب، وواحد من أعضاء مجلس الشورى العشرة الذين تقرب بهم **نابليون** للشعب المصري(...)

وقد بلغت مؤلفات الإمام الشيخ الشرقاوي ما يزيد على العشرين مؤلفًا.(...) وافته المنية ولقي ربه يوم الخميس ٢[ثاني] شوال(١٢٢٧هـ).[٢٦] [سنة سبع وعشرين ومائتين وألف]

٧ ـ **الشيخ محمد الشنواني:** هو الإمام الشيخ محمد بن علي بن منصور الشنواني الشافعي الأزهري. ولد بقرية شنوان الغرب ونسب إليها، وهي من قرى محافظة المنوفية.(...) ترك الإمام الشنواني بعض المصنفات نوجزها فيما يأتي:

(...) لبى نداء ربه يوم الأربعاء١٤ [رابع عشر]محرم(١٢٣٣هـ/١٨١٨م).[٢٧] [سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف الموافق لـ ثمان عشْرةَ وثمانمائة وألف.]

٨ ـ **الشيخ عبد الله سُويدان:** هو عبد الله ابن علي بن عبد الرحمن الدَّمَلِّيجِي الضرير المصري، الشاذلي، النحوي، الشافعي المعروف بسُويدان. توفي سنة (١٢٣٤هـ) أربع وثلاثين ومائتين وألـف. صنّف الأربعين في فضائل رمضان. الجوهر الفرد في الكلام على أما بعد في النحو. القول المكرم لشرح معاني السلم. كشف الغموض بشرح الرجز المفروض. مطالع الأنوار في مولد النبي المختار صلى الله عليه وسلم. هدية الحي القيوم بشرح المعراج المنظوم.[٢٨] وأضاف الزركلي مؤلفات أخرى منها: " الأقوال الراجحة في بيان أسماء الفاتحة ـ خ" وشرح وصية أحمد بن زروق ـ خ" ورسالة في مصطلح الحديث ـ خ." و" اختصار صدور العلوم لحسام الدين الأسيوطي ـ خ".[٢٩]

ونسبه المرعشلي في معجمه إلى قرية" دَمَلِّيج" وفي ذلك يقول هو: " عبد الله بن علي بن عبد الرحمن سُويدان الأزبكي الصغير الشافعي، الملقب ب" سويدان" الدَّمَلِّيجي، نسبة إلى " دَمَلِّيج"؛ قرية من قرى المنوفية بمصر.[٣٠]

٩ ـ **الشيخ ثعيلب بن سالم المصري الشهير بالفشني** (...) ولد سنة ألف ومائة وخمسين(...) توفي سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين.[٣١] بيد أن صاحب فهرس الفهارس قال: بأن تاريخ وفاته هو (١٢٣٩هـ).[٣٢]

من السادة المالكية:

١ ـ **الشيخ مرتضى الزَّبِيدِي: هو محمد ابن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى.** علامة باللغة والحديث والرجال، والأنساب. من كبار

المصنفين. أصله من واسط في (العراق)، ومولده بالهند (في بلجرام) [سنة (١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م) خمس وأربعين ومائة وألف الموافق لاثنين وثلاثين وسبعمائة وألف]، ومنشأه في زَبيد[٣٣] (باليمن)، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر(...)

توفي سنة (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).[٣٤] [خمس ومائتين وألف، الموافق لتسعين وسبعمائة وألف]

والشيخ الزّبيدي لم يأت على ذكره في التعريف بشيوخه في نص الإجازة التي كتبها للشيخ البيطار.

٢ ـ الشيخ البيلي: هو أبو العباس أحمد ابن موسى بن أحمد بن محمد البيلي العدوي، الإمام، العمدة الفقيه، القدوة، العلامة، المحقق، المتفنن، الفَهّامة، عين أعيان الفضلاء، وأوحد النبلاء، أخذ عن الشيخ علي الصعيدي، لازمه وانتفع به، وتصدر للتدريس، وأفاد وأجاد وانتفع به جماعة.

مولده ببني عدي سنة (١١٤١هـ) [واحد وأربعين ومائة وألف]، وتوفي سنة (١٢١٣هـ [١٧٩٨م]."[٣٥] [ثلاث عشرة ومائتين وألف الموافق لثمان وتسعين وسبعمائة وألف لميلاد عيسى عليه السلام.]

٣ـ الشيخ أحمد برغوث: هو الشيخ أحمد الشهير ببُرْغُوث المالكي الأزهري (...) ولد بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة (...) توفي يوم الأربعاء خامس شهر صفر سنة أربع وعشرين ومائتين وألف.[٣٦]

٤ ـ الشيخ محمد عرفة الدّسُوقي: هو **شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عرفة الدّسُوقي الأزهري.** ولد بدسوق، العلامة الأوحد، الفهّامة، الأمجد، محقق عصره، ووحيد دهره، الجامع شتات العلوم المنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم، بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين، والمميز عن المتأخرين (...) كثر الآخذون عليه، والمترددون إليه منهم: **أحمد الصّاوي، وعبد الله الصعيدي، وحسن العطار.**

(...) توفي في ربيع الثاني (سنة١٢٣٠هـ[١٨١٤م]) [ثلاثين ومائتين وألف الموافق لِعام أربعة عشر وثمانمائة وألف للميلاد] (...) رثاه أمثل من عنه أخذ، وأكبر من له تتلمذ، العلّامة، الفهّامة، حامل لواء إنشاء البديع والنظم الذي هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار بقصيدة غراء أولها:

أحـاديـثُ دهـرٍ قَـدْ أَلَـمّ فـأوْجَـعَـا

وحَلَّ بِنادي جَمْعِنا فَتَصَدَّعَا(...) [٣٧]

٥ـ الشيخ محمد الأمير: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السّنباوي الأزهري الشهير بالأمير، وهو لقب جده الأدنى. أصلهم من المغرب، نزلوا بمصر ثم بناحية سنبو، فهو الأستاذ العالم العلامة العمدة، الفاضل، الفهّامة، صاحب التحقيقات الرائقة، والتآليف البارعة الفائقة، شيخ شيوخ أهل العلم، وصدر صدور أهل الفن، المتفنن في العلوم كلها؛ نقليها، وعقليها، وأدبيها. إليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار المصرية (...) مولده سنة(١١٥٤هـ) [أربع وخمسين ومائة وألف]، وتوفي في ذي القعدة سنة (١٢٣٢هـ).[٣٨] [اثنين وثلاثين ومائتين وألف]

هذا فضلًا عن العلماء الفرنسيين الذين اتصل بهم، وأفاد من علومهم بطرق مباشرة، وعبر الكتب المترجمة عقب حملة نابوليون على مصر. وقد " أشار العطار نفسه إلى ذلك في مقامته - إن جاز أن تعتبرها مصدرًا، وإن عضضنا الطرف عن فكرة أنه ساقها على لسان راو صديق - يقول في موضع منها معددًا الكتب التي رآها عند الفرنسيين وكلها في العلوم الرياضية والأدبية وأطلعوني على آلات فلكية وهندسية (...) وإلى جانب صلة العطار بالفرنسيين في مكتباتهم ومصانعهم، فقد كان للعطار ولع بقراءة الكتب المترجمة عن اللغات الأوربية وبخاصة في علمي التاريخ والجغرافيا حتى اشتهر عنه ذلك."[٣٩]

وهذا ما ذكره الباحث سامي بدرواي متحدثًا عن منابع ثقافة مترجَمنا، مقتبسًا ذلك من كلام الشيخ نفسه عن تنوع ثقافته وفي ذلك يقول: " والعطار نفسه يقول في هذا المنبع من منابع ثقافته: (وقع في زمننا أن جلبت كتب من بلاد الإفرنج، وترجمت باللغة التركية والعربية، وفيها أعمال دقيقة اطلعنا على بعضها. وقد تتحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القوة والفعل، وتكلموا في الصناعات الحربية، والآلات النارية، ومهدوا فيها قواعد وأصولًا حتى صار ذلك علمًا مستقلًا مدونًا في الكتب وفرعوه إلى فروع كثيرة، ومن سمت به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات وعجائب المصنفات، انكشفت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم، وتنزهت فكرته إن كانت سليمة في رياض الفهم.)

وإلى جانب اتصال العطار بالثقافة الغربية عن طريق الاحتكاك المباشر أولًا ثم عن طريق الكتب المترجمة، فإن الرجل قد توفرت له وسيلة ثالثة هي الرحلة(...)."[٤٠]

المبحث الرابع: تلاميذه.

١ - السَّنُوسِي: هو أبو عبد الله محمد ابن علي السَّنُوسِي بن العربي بن الأطرش الشلفي أصلا، المكي هجرة، الجغبوبي مدفنا، ويعرف في مسقط رأسه بابن السنوسي. ولد بمستغانم في ١٢[ثاني عشر] ربيع الأول عام (١٢٠٢هـ) [ثنتين ومائتين وألــف](...) مؤلفاته: "روح السنة وروح النفوس المطمئنة" و"بغية السول في الاجتهاد والعمل بالحديث والقرآن" و"بغية القاصد وخلاصة المراصد" و"إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن وغيرهما". وقد طبعت جميعها ضمن" مجموعة رسائل السّنوسي" في مصر. توفي (١٢٧٦هـ)[٤١] [سنة ستٍّ وسبعين ومائتين وألف.]

٢ - إبراهيم السَّقَّا: هو إبراهيم بن علي بن حسن الأزهري، المصري برهان الدين ولد عام (١٢١٢هـ) [اثني عشر ومائتين وألف] وتوفي عام (١٢٩٨هـــ)[٤٢] [ثمانية وتسعين ومائتين وألــف]. وهــو" أحد أعــلام مصر ومسنديها، يروي عن الأمير الصغير وثعيلب الضرير. وهو أعلى شيوخه إسنادًا، ومحمد بن محمود الجزائري، ومحمد صالح الرضوي البخاري، وإبراهيم الرياحي، والشمس محمد الفضالي، وأحمد الدمهوجي، وحسن العطار (...)[٤٣].

٣ - الدِّمنتي: قال الكتاني في ترجمته: **"الدِّمنتي، وهو كما قال أبو الحسن علي بن سليمان الدِّمنتي** منسوب **لدمنة** كسدرة؛ القاموس: "اسم هندي قيل: أول من خط هذه القرية المنسوبة

ومضات سنية من حياة شيخ المجددين الشيخ حسن العطار(ت: ١٢٥٠هـ)

إلى قبيلتنا " دمنات" (...) والمراد هنا العلامة المسند، الأديب كاتب الدولة السليمانية، البارع **أبو حامد العربي بن محمد الدّمنتي الفاسي**، كان من عشاق الرواية والإسناد، وله فهرس نادر بالنسبة لأهل جيله ومصره، وذكر من شيوخه السلطان **أبا الربيع سليمان بن محمد العلوي والرُّهوني، وغيرهما**.

يروي عن أهل **فاس: القاضي أبي العباس أحمد بن التاودي ابن سودة** وطبقته. وروى في **الحجاز** عامة عن المكيين: **محمد صالح الرئيس، وأبي الحسن علي البيتي، ومحمد عربي البناني، وعبد الحفيظ العجيمي، وعمر بن عبد الرسول، وعبد الله بن عبد الرحمن سراج، وعبد الحفيظ العجيمي، ومحمد بن الحسن الحنبلي**.

والمدنيين: **أبي بكر الداغستاني، وحسن البوسنوي، وإبراهيم بري، وأمين الزلالي، وإسماعيل سفر، وعبد الباقي الشعاب، وأحمد بن إدريس اليمني** العارف المشهور. والمصريين: **الأمير الصغير، وأحمد الصاوي، وعلي الميلي، وحسن العطار، ومصطفى البناني، وحسن البطايحي، والقويسني، والشمس محمد العروسي، وثعيلب الضرير، وأحمد بن وفا الحنفي**.

والتونسيين: **إسماعيل التميمي، ومحمد المحجوب، وأحمد اللبي، ومحمد المناعي، والبرهان الرياحي**.

والقسنطينيين: أحمد **العباسي، ومحمد بن عبد الكريم الفكون. والجزائريين: علي القلانتي، وأحمد بن الكاهية وغيرهم**.

وروى عاليًا **فهرسة أبي العباس الهلالي** عن آخر تلاميذه المعمر **محمد بن صالح الزّكزُوتي الرُّداني** عنه.

أجاز هو عامة **لمحمد بن عبد القادر الكردودي الفاسي**، ولقاضي فاس **أبي عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج، وأبي العباس أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي دفين المدينة المنورة**. - حسبما وقفت على إجازة الدّمنتي المذكور لهم - وهي عامة بتاريخ ٢٢ صفر الخير عام (١٢٤٧هـ)،[سبعة وأربعين ومائتين وألف] عقب استدعاء الأول لنفسه، ولرفيقيه المذكورين.

كما وقفت على إجازة الدمنتي المذكور أيضًا للمسند **محمد التهامي بن المكي بن رحمون الفاسي**، كتب له عدة إجازات كلها عامة (...) ".[٤٤]

ورد اسمه ضمن قائمة الطبقة الأولى من أسماء العلماء أصحاب المراتب بالحضرة الإدريسية في دولة السلطان **أبي الربيع سليمان ابن محمد بن عبد الله** بن إسماعيل موطد دعائم الدولة العلوية[٤٥] له رحلة إلى **الديار الحجازية** ذكرها **أبو عيسى المهدي بن سودة** في ترجمته من فهرسته. وقد رحل قبل(١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م). وهي تعد مفقودة.[٤٦]

ولأبي حامد الدّمناتي **"كناشة"** موجودة بالمكتبة الملكية **بالرباط**، رقم: (٣٧١٨).[٤٧]

وقد أشار الكتاني إلى أن المترجَم مات في ٢٧ شعبان عام (١٢٥٣هـ).[في سابع وعشرين شعبان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف.]

إلا أن صاحب **إتحاف المُطالع** يخالف الكتاني معتبرًا أن تاسع وعشرين شعبان عام (١٢٥٣هـ)

هو التاريخ الحقيقي ليوم وفاته، وذكر أنه كان علامة مشاركًا بليغًا شاعرًا مجيدًا كاتبًا مقتدرًا، له فهرسة سماها سمط الجوهر في الأسانيد المتصلة بالفنون والأثر.[٤٨]

٤ ـ المُقَايِسِي: هو حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى المُقَايِسِي(...) من كبار فقهاء مدينة الجزائر ومسنديها (...) رحل إلى مصر وقرأ على علمائها (...) توفي (١٢٤٥هـ)[٤٩] [سنة خمس وأربعين ومائتين وألف]

٦ ـ رفاعة رافع الطهطاوي: هو السيد رفاعة ابن بدوي بن علي بن محمد علي بن رافع. يتصل نسبه بمحمد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) ولد **بطهطا** بمديرية **جرجا** ولذلك سمي **الطهطاوي**. وكانت ولادته سنة (١٢١٦هـ /١٨٠١م) وتوفي عام(١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)[٥٠] من أبرز تآليفه كتاب " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي ألفه في رحلته إلى باريس بعدما أشار إليه أستاذه العطار بذلك، ضمّنه مشاهداته في رحلته وما انطبع منها في ذهنه أثناء إقامته بباريس، وفيها وصف أحوال فرنسا، ونظام الحكم فيها، وأخلاق أهلها وعاداتهم، وعلومهم، وفنونهم وآدابهم، وعقائدهم، وصنائعهم (...)[٥١].

٧ ـ محمد عياد الطنطاوي: أفرد المستشرق الروسي إغناطيوس يوليانوفيتش كراتشوفسكي(ت١٩٥١م) [سنة نيّف وخمسين وتسع مائة وألف الموافق لسنة ثمانين وثلاثمائة وألف(١٣٨٠هـ)] [(بالروسية):

КРАЧКОВСКИЙ Игнатий Юлианович/ Kratchkovsky

كتابًا تحدث فيه عن شخصية محمد عياد الطنطاوي، وقد اقتبس نصًا للمترجَم يعرف فيه بنفسه جاء فيه قوله : " إلى حضرة الجناب الوقور الخواجة فرين؛ ولدت بقرية بقرب طنطا تسمى " نجريد" سنة (١٢٥٠هـ) [(١٨١٠م)] والسبب في ذلك أن أبي كما قال الحريري: " كل يوم بين تعريس ورحلة"؛ وذلك لأنه كان تاجرا في الأقمشة والبن والصابون ونحو ذلك (...)[٥٢]

وقد أحاط كراتشوفسكي في هذا الكتاب بكل الجوانب المتعلقة بالشيخ، مستفيضًا في الحديث عن نشأته وحياته، ومسيرته العلمية، فكان مما قاله: "ورغم الظروف القاسية التي مر بها الطنطاوي نال إجازة التدريس بالأزهر في علم الحديث، ليبدأ هذه المهنة في العشرين من عمره موجهًا بعض اهتمامه إلى علوم اللغة وآدابها حتى اعتبر من أوائل علماء الأزهر الذين اتجهوا في التدريس وجهة أدبية ولعله في ذلك حذا حذو أستاذة الشيخ حسن العطار. ورغم قلة ما تركه الشيخ الطنطاوي من آثار أدبية باستثناء قصائده ودراساته الأدبية المخطوطة والمتناثرة في المكتبات والجامعات العالمية، فإن منزلته الأدبية جعلته واحدًا من بين أعلام النهضة الأدبية في القرن ١٩[التاسع عشر] ترجع إلى هذه الروح التجديدية التي مهد بها في الأزهر لتدريس الأدب والشعر، واتسعت فيما بعد علي يد الشيخ حسين المرصفي (...) توفي عام (١٨٦١م)[٥٣] [نيف وستين وثمانمائة وألف للميلاد.]

٨ ـ العروسي: هو الإمام الشيخ مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي (...) ولد بالقاهرة (١٢١٣هـ /١٧٩٨م)، حفظ القرآن على أبيه والتحق بالأزهر، وتلقى

العلوم المختلفة على كبار علمائه.(...) تقلد مشيخة الأزهر(١٢٨١هـ/١٨٦٤م) (...) توفي (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م)[٥٤].

٩ـ الشيخ حسن البيطار: هو حسن بن إبراهيم ابن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله الشهير بالبيطار، الشافعي، الأشعري، النَّقشبندي الدِّمشقي ولادة، وقراءة، الميداني إقامة، ومدفنًا (...) توفي سنة (ت١٢٧٢هـ)[٥٥] اثنين وسبعين ومائتين وألف.

١٠ ـ محمد شهاب الدين الشاعر: هو الشيخ شهاب الدين الحجازي محمد بن إسماعيلَ بن عمر المصري محتدًا، الشافعي مذهبًا. وهو شريف النسب، ولد بمكة المكرمة سنة (١٢١٠هـ) [سنة عشْر ومائتين وألف]، حضر إلى القاهرة صغيرًا، ونشأ بها (...) نبغ في نظم الشعر، واشتهر به شهرة تامة (...) من مؤلفاته الكثيرة: ديوان شهاب الدين المصري، وفيه القصائد في كل فنون العروض، ومعاني الشعر(...) وكانت وفاته **بالقاهرة** سنة (١٢٧٤هـ) [سنة أربع وسبعين ومائتين وألف].[٥٦]

١١ ـ حسن قويدر الخليلي: هو الأديب العالم حسن بن علي قويدر الخليلي ولد بمصر(١٢٠٤هـ) من أسرة مغربية، استوطن أحد أفرادها **الخليل**، وأقام بها، ورزق فيها بحسن فأنبته نباتًا حسنًا، وألحقه بالأزهر، فقرأ العلوم والآداب على شيوخ وقته؛ ومنهم: **حسن العطار**(...) توفي عام(١٢٦٢هـ) [اثنين وستين ومائتين وألف.][٥٧]

١٢ ـ الدّجّاني النحوي: هو حسين بن سليم بن سلامة بن سلمان بن عوض ابن داود الحسيني الدّجّاني، ولد سنة (١٢٠٢هـ) اثنتين ومائتين وألف. من مشايخه والده، والشيخ **حسن العطار**، و**الشيخ عبد الله الشرقاوي** وغيرهم.[٥٨]

١٦ ـ مصطفى بكري السّاعاتي:

١٧ ـ عارف الله أحمد باي التركي: هو الشيخ شهاب الدين أحمد عارف، ويدعى بعصمة الله بن إبراهيم عصمة الله بن أبي الوليد إسماعيل بن إبراهيم باشا زاده الحنفي الحسيني الإسلامبولي، شيخ الإسلام بالمملكة العثمانية، وواقف المكتبة العظمى بالمدينة المنورة. (...) ولد سنة (١٢٠١هـ). وولي شياخة الإسلام بالأستانة سنة (١٢٦٢هـ)، ومات سنة (١٢٧٢هـ) بإصطنبول[٥٩] [٦٠]

١٧ ـ من تلامذة حسن العطار الأمراء سامي باشا[٦١] **وباقي بك**[٦٢] **وخير الله بك**[٦٣] الذين مهدوا له الطريق للوصول إلى محمد علي، وهذا ما أشار إليه الباحث محمد عبد الغني حسن " ولقد عرف العطار طريق الوصول إلى **محمد علي**، فقد كان له كما يروي صاحب الخطط ـ اتصال خاص بسامي باشا وأخويه باقي بك، وخير الله بك، وله عليهم مشيخة، وبواسطتهم كان يجتمع على المرحوم محمد علي باشا فيجله ويعظمه، ويعرف فضله"[٦٤]

كان يلقي محاضراته في كل بلد يزوره، وأقبل على دروسه العلماء والطلاب.[٦٥]

المبحث الخامس: تصدره للتدريس.

ـ حرص الشيخ على الاشتغال بالعلوم إقراء وتدريسًا، وتحصيلا في كل الأماكن التي قدر

له زيارتها، ولم يزل مشتغلًا بالإفادة والاستفادة حتى عاد إلى بلغ المجد بتنصيبه شيخًا للأزهر الشريف سنة (١٢٤٦هـ) ستٍّ وأربعين ومائتين وألف. بعدما أقرّ له علماء عصره بالتفرد والتميز.

وقد سمح له منصبه بمباشرة مجموعة من الإصلاحات من خلال ثورته الفكرية على الجمود العلمي الأزهري، بتدريسه المواد الممنوعة؛ إذ بدأ يدرس الجغرافيا والتاريخ في الأزهر وخارج نطاق الأزهر.

كما كان تلميذه محمد عياد طنطاوي يدرس الأدب في الأزهر بإيحاء العطار وتحت إشرافه في مقامات الحريري حوالي سنة (١٨٢٧م). كما بدأ تلميذه الطهطاوي أيضًا يدرس الحديث والسنة بطريق المحاضرة، وبلا نص مما كان مثار إعجاب العلماء.[٦٦]

كما أن العطار نفسه اعتنى بالأدب عناية خاصة، من خلال دعوته إلى بعث التراث العربي القديم، " فلم يكن يتحرج من إنشائه، أو تدريسه، ويبين عدم تعارض ذلك مع وقار العلم، أو جلال الدين، مستشهدًا بالأسلاف العظام.[٦٧]

وهذا الكلام ليس غريبًا صدوره عن ناثر بارع، له قلم سيّال، ونفس متدفق، وأسلوب أخّاذ، وشاعر مفلق، طوّع انقاد له الحرف والجرس في شتى أغراض الشعر، وضروبه.

وقد أعاد العطار الاعتبار لتدريس تفسير البيضاوي الذي هجر منذ زمن بعيد، حضره ثلة من خيرة العلماء وجهابذتهم. وهذا ما أشار إليه الباحث سامي بدراوي نقلًا عن صاحب الخطط التوفيقية أن العطار " عقد مجلسًا لقراء تفسير البيضاوي، وقد مضت مدة على هذا التفسير لا يقرؤه أحد، فحضر أكابر المشايخ، فكانوا إذا جلس للدرس تركوا حلقهم وقاموا إلى درسه."[٦٨] كما كان يقرأ على طلبته شرح الأزهرية للشيخ خالد في علم النحو، ويشير إلى ذلك في مقدمة حاشيته على الأزهرية.[٦٩]

ـ ذاع صيت الشيخ **العطار**، وانتشر أريج علمه، وعبق عطره، فانتفع به خلق كثير، حتى بلغ شهرة لم يصلها أحد قبله، أو بعده ـ في اعتقادنا ـ وهو ما جعله محط إعجاب الكثيرين، الذين طلبوا ودّه، وأبدوا رغبة في استقدامه إلى بلدانهم للنهل من نفحاته، لكنهم اصطدموا بتلامذته ومريديه، من ذلك القصة التي أوردها **أحمد تيمور** في أعلامه؛ إذ يقول: "حدث الشيخ **إبراهم السّقا** أحد تلاميذه: (أن بعض سكان **مكة المكرمة** المارين بمصر، أعجبهم علم الشيخ **العطار**، فأحبوا أن يقيم بينهم ليخلف فيهم **"ابن حجر الهيتمي"** [(ت٩٧٤هـ)]، وينتفعوا به وبعلمه، فاجتمعوا به، وما زالوا يحسنون له الرحلة حتى أجاب، وأخذ في تجهيز نفسه. وسمع تلاميذه بذلك، فاشتد أسفهم، ولم يكن فيهم من يجرؤ على منعه. قال: فاحتلت بأن أخرجته بعد الدرس من صحن الأزهر، ونحن في حمارَّة القيظِ، وأخذت أسأله بعض المسائل، وأخرج من واحدة لأخرى، وهو يرفع رجله ويضعها من شدة حر البلاط، حتى تبين لي الضجر في وجهه وانتهرني. فقلت: يا سيدي أنت لا تطيق حر الشمس وأنت بمصر، فكيف لك بالحر في مكة، وهو هناك أضعاف ما هنا؟ ففكر ثم جزاني خيرًا، وفترت همته عن السفر."[٧٠]

المبحث السادس: أقواله وآراؤه.

تحدث العطار عن منابع ثقافته قائلًا: "وقع في زمننا أن جلبت كتب من بلاد الإفرنج وترجمت باللغة التركية والعربية، وفيها أعمال كثيرة، وأفعال دقيقة اطلعنا على بعضها، وقد تتحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القوة إلى الفعل، وتكلموا في الصناعات الحربية والآلات النارية ومهدوا فيها قواعد وأصولًا حتى صار ذلك علمًا مستقلًا مدونًا في الكتب وفرعوه إلى فروع كثيرة، ومن سمت همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات، وعجائب المصنفات انكشفت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم، وتنزهت فكرته إن كانت سليمة في رياض الفهم."(٧١)

تصدى العطار لحزمة من الجهود الإصلاحية، رغبة منه في تطوير البلاد وإصلاح أحوالها، والتي تكاد تمس كل المفاصل الحية في الدولة تعليمًا، وتثقيفًا ولغة وأدبًا، وسياسة. وسنقتصر هاهنا على جهود الرجل في مجال تخصصنا، فقد أخذ على عاتقه التنبيه إلى بعض الاختلالات التي تعانيها مناهج وطرائق التدريس بالأزهر الشريف، المعتمدة على الاكتفاء باجترار ما ورد في الحواشي والتقريرات والشروحات، التي لا تعدو أن تكون تَكرارًا، واجترارًا، داعيًا إلى العودة إلى أصول العلم والنهل من ينابيعه الصافية، مع ضرورة الإقلاع عن أساليب التدريس العتيقة. في ذلك يقول: "(...) من تأمل ما سطرناه، وما ذكر من التصدي لتراجم الأئمة الأعلام علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية، والأحكام الدينية لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم، وإحاطة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع (...) ثم هم مع ذلك ما أخلوا في تثقيف ألسنتهم، وترقيق طباعهم من رقائق الأشعار ولطائف المحاضرات.. وفيما انتهى إليه الحال في زمن وقعنا فيه ـ علم أن نسبتنا إليهم كنسبة عامة زمانهم. فإن قصارى أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئًا من عند أنفسنا، وليتنا وصلنا إلى هذه المرتبة، بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة ألفها المتأخرون، والمستمدون من كلامهم نكررها طول العمر، ولا تطمح نفوسنا إلى النظر في غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك أنه إذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام تخلصنا منه بأن هذا كلام الفلاسفة، ولا ننظر فيه، أو مسألة أصولية قلنا: لم نرها في جمع الجوامع فلا أصل لها، أو نكتة أدبية. قلنا: هذا من علوم أهل البطالة، وهكذا فصار العذر أقبح من الذنب.. وهذه نفثة مصدور".(٧٢) هذا فضلًا عن آرائه في الأدب، والشعر خصوصًا، فقد عاب المستوى المنحط للشعر العربي وقتئذ، بعدما أضحى حقلًا يسهل الإبحار فيه، فولج ساحته خلق كثير ممن أقحموا أنفسهم في لجته، فكانت النتيجة كارثية. وهذا ما أكد عليه بقوله: " ولما تعاطى الشعر بعض الخاملين؛ ليتوصل إلى امتداح ما ليس حقيقًا بالمدح، واستمناح ما استرشاح الماء من الصلد أهون ما يطلبه منه من المنح، تسفل قدره، وانحط أمره، وتجافى بنفسه عن نظم المديح، كل ذي لب رجيح، وطبع صحيح، لما رأى في ذلك من الإزراء وانحطاط القدر، وتحمل إثم الكذب، والوقوف مواقف الذل، وترقب بارق

خلب المواعيد، والطمع في استرشاح الصم الجلاميد(...) وأنا أرجو ألا يكتب إلا ما لطف من النّسيب، وعذب من التشبيب"[٧٣].

لقد كان العطار حريصًا على تقدم بلاده، فلم يأل جهدًا في سبيل تحقيق هذا المبتغى، ويتجلى ذلك من خلال أقواله ناهيكم عن مبادراته، فهو صاحب فكرة إرسال تلميذه رفاعة الطهطاوي في بعثة علمية إلى فرنسا في عهد محمد علي، فأوعز إلى تلميذه الألمعي أن يدون كل ما يقع بصره عليه فجاء كتابه تخليص الإبريز ناطقًا بذلك " وليس من المغالاة في شيء أن نستنتج أن وقوف الطهطاوي عند نظام الحكم الفرنسي، ونقله من الدستور الفرنسي، وإطالته الوقوف عندما أسماه " جوانب العدل" فيه، إنما يرتد إلى إيحاء أستاذه العطار. (...) الذي تنبه إلى مزايا الديمقراطية الفرنسية، وحرصه على أن تنتفع بلاده بها انتفاعًا رسم خطوطه العريضة لتلاميذه وعهد إليهم بموالاته.[٧٤]) ومن ثمة بدأ يدعو إلى التواصل الحضاري مع الغرب من خلال دعوته إلى " دراسة العلوم الدنيوية التي يرفضها الأزهر كالرياضيات والأدب واللغات الأجنبية والطبيعية، والفلك والكيمياء وغيرها. "[٧٥] وقد أجمعت المصادر التي اطلعنا عليها أن مترجَمنا كان شعاره إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها.[٧٦]

أما مواقفه السياسية في عهد محمد علي فإننا نسجل حرص الشيخ على النأي بنفسه تجاه التجاذبات والصراعات بين محمد علي، والعلماء الذين حاولوا التصدي لسياساته، فعمل على اضطهادهم، ومحاصرتهم والتضييق عليهم. فدس عليهم الدسائس في محاولة لكسر شوكتهم. وعلى الرغم من أن العطار" لم يكن راضيًا تمامًا عن كل ما يدور حوله، ولكنه كان كيسا اتعظ بما فعل محمد علي بزعماء المصريين وعلمائهم المناوئين له، فلم يلجأ العطار إلى أسلوب المجابهة." [٧٧]

وهذه النزعة التجديدية تشهد على مكانة الشيخ بين أقرانه وعلماء عصره حتى اعتبره بعضهم مجدد العصر.

المبحث السابع: آثاره العلمية وتصانيفه.

لم يحوجنا المترجَم إلى البحث عن مصنفاته، فكفانا مشقة ذلك من خلال إشارته إلى بعضها في نص إجازته التي حبّرها بيده، وعطرها بأنفاسه لتلميذه الشيخ حسن البيطار، والتي قال فيها: " (...) قد أجزته بما لي من التآليف، التي انتهزت فيها من الدهر فرصة بعد طول تسويف، فهي جملة من الرسائل والحواشي، والشروح، التي لا تخلو إذا نظرت بعين الانتقاد عن مطاعن وجروح، فليست مما يستحق أن ينشد في المجالس والمحافل، ويذكر في مجالس الأفاضل، ولكن سأذكر بعضها إزاحة لعلة التشوف، وتبريدًا لغليل التطلع، والتلهف، فمنها: حاشية شرح قواعد الإعراب، وحاشية الأزهرية، وحاشية العصام على الوضعية، وحاشية شرح إيساغوجي، وحاشية النخبة، وحاشية السمرقندية، وحاشية السُّلَّم، وحاشيتان على ولدية المرعشي في آداب البحث، وشرح المنظومة الوضعية، وشرح المنظومة التي في آداب البحث، وشرح منظومة التشريح، وشرح نزهة الشيخ داود في الطب، وحاشية شرح أشكال التأسيس في علم الهندسة، وحاشية المعني ـ أسأل الله أن يتمها ـ

ولنا رسائل عديدة في مسائل متفرقة من علم الحكمة، والكلام، وغير ذلك."[٧٨]

وفيما يأتي لائحة بأهم مؤلفات الشيخ حسن العطار، التي وقفت عليها، حسب المجالات المعرفية، مرتبة على حروف المعجم.

أولاً: في الأدب

١ ـ **إنشاء العطار** في المراسلات والمخاطبات، وكتابة الصكوك، والشروط مما يحتاج إليه الخاص والعام. وقد طبع عدة طبعات، وهو مؤلف صغير الحجم، كثير الفائدة.[٧٩]

٢ ـ **جمع ديوان إسماعيل الخشاب ورسائله.**[٨٠]

٣ ـ **ديوان ابن سهل الأندلسي.**[٨١] وسماه **طه وادي** بـ" **المسلك السهل في شرح ديوان ابن سهل.**"[٨٢]

٤ ـ **ديوان شعر**[٨٣] مفقود[٨٤]

٥ ـ **شرح كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرّد.**

٦ ـ **مقامة في دخول الفرنساويين**[الفرنسيين] **للديار المصرية**، ترجمت للإنجليزية عام(١٩٩٨م) من قبل بيتر غراند بإسبانيا.[٨٥]

ثانيًا: في النحو:

١ ـ **حاشية العطار على شرح الأجرومية** [٨٦] لخالد الأزهري، منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم: (٤٨٧٦هـ)[٨٧]

٢ ـ **حاشية العطار على شرح الأزهرية.** للشيخ خالد الأزهري في النحو وافق تمام تأليفها يوم السابع من جمادى الأولى يوم الثلاثاء سنة (١٢٢٥هـ) بدمشق الشام.[٨٨] طبع عدة طبعات بمصر.[٨٩]

٣ ـ **حاشية العطار على شرح مصطفى ابن حمزة [ابن إبراهيم أطَهْ لي**(ت١٠٨٥هـ) المسمى **بنتائج الأفكار في شرح إظهار الأسرار، لمحيي الدين محمد بن بير[بن علي بن إسكندر البركلي**(ت٩٨١هـ)]، كتبت عام(١٨٠٥م)، محفوظة في دار الكتب بالقاهرة (٢١٢) قوالًا.[٩٠]

٤ ـ **حاشية العطار على لاميات[لامية] الأفعال لابن مالك**، محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة (٨٧٥٦).[٩١]

٥ ـ **حاشية المغني في النحو**[٩٢]

٦ ـ **رسالة في البسملة والحمدلة.**[٩٣]

٧ ـ **شرح كتاب الكامل للمبرّد.**[٩٤]

٨ ـ **الفرق بين الجمع واسم الجامع [الجمع]، واسم الجنس الجماعي والفردي**[الجمعي والإفرادي] محفوظة في دار الكتب بالقاهرة(١٢٩٤) قواعد

٩ ـ **الفوائد الجلية في اللغة العربية.**[٩٥]

١٠ ـ **منظومة العطار في أم المتصلة والمنقطعة.**[٩٦]

١١ـ **منظومة العطار في علم النحو** ـ في مجموع من مهمات الفنون ـ طبع سنة (١٢٨٠هـ)[٩٧] ترجمت للفرنسية عام (١٨٩٨م) بالجزائر[٩٨].

ثالثًا: في البلاغة:

١ ـ **حاشية العطّار على تعريب الرسالة**

الفارسية في البيان **لعصام الدين الاسفراييني**، المسمى **برسالة عصام الدين**.[٩٩]

٢ ـ **حاشية العطار على السمرقندية** في البلاغة.[١٠٠] طبع بالدهينة سنة (١٢٨٨هـ).[١٠١]

٣ـ **حاشية العطار على شرح عصام الدين الإسفراييني ابن عربشة على رسالة الوضعية العضدية لعضد الدين الإيجي.** محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة ١٣١ عام الوضع.[١٠٢]

٤ ـ **شرح المنظومة الوضعية**[١٠٣]

رابعًا: في العلوم الشرعية:

١ ـ **حاشية العطار على جمع الجوامع** نحو مجلدين[١٠٤] [١٠٥] في **أصول الفقه لتاج الدين السبكي**[١٠٦]

٢ ـ **حاشية العطارعلى متن النخبة في أصول الحديث.**[١٠٧]

٣ـ **رسالة العلامة في الاجتهاد**، كتبت عام (١٨٣٢م)، محفوظة بدار الكتب بالقاهر(٣٢٣) مجاميع تيمور.[١٠٨]

٤ ـ **مخطوط في التوحيد**، ألفه في منتصف شهر شعبان سنة (١٢٢٠هـ).

خامسًا: في العلوم الفلسفية (المنطق وآداب البحث):

١ ـ **تفسير مقالات أرسطو لأبي فرج عبد الله ابن الطيب**، كتبت عام (١٨٢٧م)، محفوظة في دار الكتب بالقاهرة ١ ـ M فلسفة.[١٠٩]

٢ ـ **حاشية العطار الصّغرى على شرح السّجاعي على المقالات**، طبعت عام ١٩١١م المطبعة الخيرية بالقاهرة.[١١٠]

٣ ـ **حاشية العطار على التهذيب للخبيصي، شرح التهذيب**، وبهامشها الشرح المذكور **وحاشية ابن سعد** (منطق) طبع ببولاق سنة(١٢٩٦)[١١١].

٤ ـ **حاشية العطارعلى رسالة المرعشي المسماة بالرسالة الوالدية في آداب البحث.**[١١٢]

٥ ـ **حاشية العطارعلى شرح إيساغوجي لأثير الدين الأبهري**[(ت٦٣٢هـ)] في **المنطق**.[١١٣] طبع سنة (١٣١١هـ).[١١٤]

٦ ـ **حاشية العطار على شرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة لأثير الدين الأبهري.**[١١٥]

٧ ـ **حاشية العطارعلى شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على متن إيساغوجي.** وقد شرع العطار في تأليف هذه الحاشية عند قراءته لشرح شيخ الإسلام على متن إيساغوجي في الأزهر عند عودته إلى مصر في عام (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) من رحلته إلى تركيا وبلاد الشام، والتي استمرت عشر سنوات، ولكنه لم يستطع إنهاءها إلا في عامي (١٢٣٦هـ/١٨٢١م)، وقد أشار العطار إلى ذلك في آخر الحاشية فقال: "وقد كنت شرعت في هذه الحاشية عند قراءتي للشرح بالجامع الأزهر عام قدومي من السفر لبلاد الروم، وقد استكملت في هذه السياحة عشرة أعوام وكان قدومي بمصر عام(١٢٢٨هـ) فكتبت فيها حتى انتهيت لباب التناقض، ثم عاقت عوائق عن إكمالها، فبقيت هكذا في زوايا النسيان حتى يسر الله لإقراء الشرح مرة ثانية (...) حتى تيسر إتمامها بعد صلاة العشاء ليلة مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي الاثنين الثاني عشر من شهر

ربيع الأول سنة (١٢٣٦هـ).[١١٦]

٨ ـ **حاشية العطارعلى شرح عبيد الله الخبيصي على تهذيب المنطق الشافي للتفتزاني،** طبعت عـــام(١٩٢٧م) المطبعة الأزهـرية **بالقاهرة**.[١١٧]

٩ ـ **حاشية العطار على شرح محب الله البهاري على سلم الأخضري،** كتب عام(١٨١٩)، محفوظة في دار الكتب **بالقاهرة** (٤) منطق.[١١٨]

١٠ ـ **حاشية العطار على شرح ملا حنفي في آداب البحث**. ألفها في عـام (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م)[١١٩] [١٢٠].

١١ـ **حاشيـة العـطـار علـى كـتـاب نيل الـسـعـادات فـي عـلـم الـمـقـولات للشريف الـبـلـيـدي**[(ت١١٧٦هـ)][١٢١] ألفها في عام (١٢٤٢هـ /١٨٢٧م.)، وقد وصفها بأنها حاشية "وافية بالمراد غنيمة لكل استعداد" وأنها "جمعت بحمد الله ما لا يوجد في غيرها ".[١٢٢]

١٢ـ حاشية العطار على مقولات الشيخ السُّجاعي[١٢٣] المسمى بالجواهر المنتظمات في عقود المقولات، طبع بمصر سنة (١٢٨٢هـ)[١٢٤] [١٢٥] [١٢٦].

١٣ ـ **قلائد الـدرر في المقالات العشر،** كتبت عـام(١٨٠٤م)، محفوظة في **دار الكتب بالقاهرة**(٣٤٠) الحكمة والفلسفة.[١٢٧]

١٤ ـ **منظومة في المقولات.** وقد أشار إليها **العطار في حاشيته على شرح مقولات السُّجاعي،** فقال: " وقد قلت في منظومتي أن المقولات لدى الجمهور: عشر حوت سائر العلوم."[١٢٨]

سادسًا: في الرياضيات والفلك

١ ـ **رسائل في الرمل**[١٢٩] [١٣٠].

٢ ـ **رسائل في الزايرجة**[١٣١] [١٣٢] [١٣٣].

٣ ـ **رسالة في كيفية العمل بالإسطرلاب**[١٣٤]، **والربعين المقنطر**[١٣٥]، **والمجيّب، والبسائط،** وهي آلات **رصد فلكية**. ذكر هذه الرسالة **علي باشا مبارك** في ترجمته للمؤلف في **الخطط التوفيقية**.[١٣٦]

سابعًا: في الطب:

١ ـ **ثلاث مقالات طبية في الكي والفصد والبط.**[١٣٧]

٢ ـ **حواشي العطار على شرح المنظومة الطبّية لبحرق الحضرمي.**[١٣٨]

٣ ـ **راحة الأبدان في نُزهة الأذهـان،** وهو شـرح للرسالة المسماة **"نزهة الأذهـان في إصـلاح الأبـدان" لـداود الأنطاكي.** طبع بدار الكتب العلمية ببيروت.

٤ ـ **رسائل في الطب**[١٣٩].

٥ ـ **شرح منظومة التشريح.**[١٤٠]

٦ ـ **شرح نزهة الشيخ داود في الطب.**[١٤١]

٧ ـ **منظومة العطار في علم التشريح،** كتبت عام(١٨٠٨م)، محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة (٥٠٨) أباظة.[١٤٢]

٨ ـ **منظومة في الطب وشرحها**[١٤٣].

٩ ـ **نبذة في علم الجراحة والطب.**[١٤٤]

ثامنًا: في التاريخ:

١ ـ **تاريخ لطيف** مطبوع، ذكر فيه من تولى مصر من ابتداء الفتح إلى زمنه باختصار[١٤٥].

٢ ـ **رسالة في تحقيق الخلافة الإسلامية، ومناقب الخلافة العثمانية**، محفوظة في دار الكتب بالقاهرة ٣٨٠ مكتبة زكية.[١٤٦]

٣ ـ **مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس**، وهو **للجبرتي** بالأصالة، وفيه بعض الشعر والنثر **للعطار** بالمشاركة.[١٤٧]

٤ ـ **مقامة في دخول الفرنساويين** [الفرنسيين] **للديار المصرية**، ترجمت للإنجليزية عام(١٩٩٨م) من قبل بيتر غراند بإسبانيا.[١٤٨]

تاسعًا: في الرحلات:

١ـ **تحفة غريب الوطن.**[١٤٩]

عاشرًا: في الهندسة:

١ ـ **حاشية شرح أشكال التأسيس في علم الهندسة.**[١٥٠]

حادي عشر: في علم الكلام:

١ـ **رسالة تتعلق بموضوع في علم الكلام** توجد منها نسخة خطية **بدار الكتب المصرية** رقم: (٣٨٥٤ج).[١٥١]

٢ ـ **رسالة (أخرى) في علم الكلام**، توجد منها نسخة خطية **بدار الكتب المصرية**، رقم: (٢٥٨١٦ ب)[١٥٢].

٣ ـ **هاتان مسألتان من المسائل الأربعين التي صنفها الإمام فخر الدين الرازي في علم الكلام**، محفوظة في **دار الكتب بالقاهرة**(١٢٢) كلام مجاميع تيمور.[١٥٣]

ثاني عشر: كتب ألفت للرد عن الأسئلة التي توصل بها الشيخ:

١ ـ **جواب العطار عن سؤال** جاء عليه من أستاذه **الشيخ الثعيلب**، كتب عام (١٨١٤م)، محفوظة في **دار الكتب بالقاهرة** (١١٧٢) كلام.[١٥٤]

٢ ـ **جواب العطار عن سؤال** جاء عليه من الشيخ **الفضالي**.[١٥٥]

٣ ـ **هذا جواب الشيخ عن سؤال الفقير مصطفى البديري**، كتبت عام (١٨١٣م)، **محفوظة في دار الكتب بالقاهرة**.[١٥٦]

وقد ذكر العطار في القصيدة التي امتدح بها حاضرة دمشق بعضًا من مؤلفاته، وفي ذلك يقول:

وعندي من التأليفِ شيءٌ وضعتُهُ
على شرح قانون الحفيدِ أخي السِّبْطِ
ثلاث مقالاتٍ كبارٍ وضعْتُها
لتعريفِ حالِ الْكَيِّ والْفصْدِ والْبطِّ
وجُزْءٌ على شَرْحِ المُبَرِّدِ كاملٌ
أُبيِّنُ فِيهِ غَامِضَ النَّصِّ بالْقَطِّ
وأَلَّفْتُ في عِلْمِ الْجراحَةِ نُبْذَةً
لِتَعرِيفِ أَكْلِ الْفُولِ بالقطع والخَطِّ[١٥٧]

المبحث الثامن: وفاته

بعد مسيرة حافلة من البذل والعطاء، ترجّل مترجَمنا عن صهوة الحياة بعدما أسلم روحه إلى بارئها بعد أن أدى مهمته على الوجه الأكمل.

وقد أجمع كل من ترجم للشيخ العطار أن وفاته كانت سنة خمسين ومائتين وألف للهجرة (١٢٥٠هـ)[١٥٨]، ولا خلاف بينهم في ذلك بحسب ما أفادتنا به المصادر التي اطلعنا عليها، اللهم إذا استثنينا رأي عبد الرزاق البيطار الذي اعتبر أن

ومضات سنية من حياة شيخ المجددين الشيخ حسن العطار(ت: ١٢٥٠هـ)

تاريخ وفاته يرجع إلى خمس وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٥هـ)، وفي ذلك يقول: "ثم إنه لم يزل يترقى مقامه وقدره (...) إلى أن خطفته المنية، إلى الدار العلية، وذلك في حدود سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين."[١٥٩] ولعل الرجل وَهِم في ذلك، ونرجح أنه التبس عليه الأمر بين التاريخين الهجري والميلادي على اعتبار أن مترجَمنا توفي عام خمسة وثلاثين وثمانمائة وألف (١٨٣٥م) كما سنبين لاحقًا. وهذا أمر واضح جلي لا يحتاج رده إلى دليل ولا برهان كما قال الشاعر:

ولـيْـسَ يَـصِـحُّ فـي الأذْهَـــانِ شـيْءٌ

إذا احْـتـــاجَ الـنّـهـارُ إلـى دَلِـيـلِ

لكن المؤرخين اختلفوا حول التاريخ الميلادي لوفاة الشيخ، وانقسموا فريقين:

فريق يرى أن تاريخ وفاة حسن العطار يرجع إلى عام أربعة وثلاثين وثمانمائة وألف (١٨٣٤م)، وهذا ما ذهب إليه صاحب معجم المؤلفين (ت١٤٠٨هـــ)[١٦٠]. وهو التاريخ نفسه الذي أشار إليه محمد عبد المنعم خفاجي (ت١٤٢٧هـ)؛ إذ يقول: " وقد لبى نداء ربه، سنة (١٢٥٠هـ)/ (١٨٣٤م)، وحمل إلى مثواه الأخير في جنازة مهيبة، فسلام على العطار في الأولين، والآخرين، وسلام عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين."[١٦١] ولا يخامرنا شك في أنه من المرجح أن يكون قد اعتمد في رأيه هذا على قول عمر رضا كحالة المشار إليه أعلاه باعتبار سبقه الزمني.

أما الفريق الثاني - وهو رأي الجمهور - ، فيذهب إلى أن تاريخ وفاة مترجَمنا يعود إلى عام خمسة وثلاثين وثمانمائة وألف للميلاد(١٨٣٥م). وقد ربطوا هذا التاريخ بالتاريخ الهجري السالف ذكره. وهذا ما أشار إليه محقق كتاب "راحة الأبدان في نزهة الأذهان" في مقدمته، والذي اعتبر أن تاريخ وفاته (١٢٥٠هـ/١٨٣٥هـ) [١٦٢] وهو الذي نرجحه.

وقد عثرنا على أقوال بعض المترجمين ممن كانوا أكثر دقة في تحديد تاريخ وفاته بإشارتهم إلى اليوم والشهر والسنة بقولهم: " توفاه الله في ٢٢ مارس ١٨٣٥."[١٦٣]

وقد رثـاه خلق كثير منهم تلميذه، الشاعر شهاب الدين الـذي يقول: " وكنت قد رثيت العلامة الشيخ العطار - قدس سره - بقصيدة ضاعت مسودتها، وليس في مخيلتي سوى أبيات قليلة مطلعها قولي:

سَـلْـهُ أمْـنًـا فَـهْـو مُـعطي الأمـان

رُبّ أمْـرٍ حـالَ دُونَ الْأَمَـانِـي

بَـيـنَـمـا الإنْـسَـانُ يـرْجـو بَـعـيـدًا

إذْ تَـدانَـى مـنْـهُ داعِـي الـتّـدَانِـي

لـمْ تَـزَلْ آمَـالُـنـا فـي ازْدِيـــــادٍ

مَـع أنّ الـعُـمْـرَ فِـي نُـقْـصَـانِ

والْـمَـنَـايَـا حُـكْـمُـهـا فِـي الْـبَـرَايـا

بِالْبَلايَـا دَائِـمُ الْـجَـرَيـانِ

يَـا خـلِـيـلـيّ خَـلِّنِـي وشُـجُـونـي

إنّ مَـا بِـي مـنْ شُـجُـونٍ كَـفَـانِـي

كُـــلُّ شَـــيْءٍ هـالـكٌ جَـلَّ رَبِّـي

فَتَدَبَّرْ كُلُّ مْـنْ عَلَيْها فَاني[١٦٤] [١٦٥]

ونقول: حتى وإن غيب الموت مترجَمنا منذ ما يزيد عن القرنين ـ وهذه حقيقة كل كائن ـ إلا أن فضله لا يزال يغمر مصر وأهلها، بفضل ما خلفه من أعمال ومنجزات وإصلاحات، ناهيكم عن مؤلفاته التي نيفت على الستين مصنَّفًا مدة حياته التي ناهزت السبعين سنة فسلام عليه، ورحمه الله رحمة واسعة، وجعله في جنة خلد عند مليك مقتدر مع الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الحواشي

١ ـ انظر ترجمته في:

- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. القاهرة. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ص: ١٩
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية. لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة. ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م. ج١. ص: ٥٨٧.
- أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين. لعلي عبد الفتاح. مكتبة ابن كثير. دار ابن حزم. بيروت ـ لبنان. ط١. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ج٢. ص: ٩٦٣.
- الآداب العربية للأب لويس شيخو. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. ١٩١٠. ج١. ص: ٤٧ وما بعدها.
- الأزهر في ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط٣. ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م. ج٢. ص: ٤٩
- حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. دار المعارف . جمهورية مصر العربية. ط٢. ص ٢٠.
- مقال الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة (١١٨٠ ـ ١٢٥٠ هـ / ١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م). لسامي بدراوي. مجلة المجلة. ع٩٩. ١مارس١٩٦٥م.

٢ ـ انظر: فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. لأبي الفيض عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي. دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكتبة الأسدي. مكة المكرمة. العزيزية. ط٢. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. مج١. ص: ٣٩٥.

- موجز دائرة المعارف الإسلامية. مركز الشارقة للإبداع الفكري. ط١. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ج٢٣. ص: ٧٣٣٧.

٣ ـ انظر: الأزهر في ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط٣. ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م. ج٢. ص: ٤٩

٤ ـ انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة. ليوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ج٢. ص:١٣٣٥.

وانظر: الأعلام للزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط١٥. أيار / مايو ٢٠٠٢م. ج٢. ص: ٢٢٠.

٥ ـ انظر: أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين. ج٢. ص: ٩٦٣.

وانظر: الأعلام. للزركلي. ج٢. ص: ٢٢٠.

٦ ـ انظر: معجم المؤلفين. ج١. ص: ٥٨٧

٧ ـ انظر: حسن العطار. لحمد عبد الغني حسن. ص: ٢٠

٨ ـ جاء في كتاب زهر الآس في بيوتات أهل فاس:" قبيلة أولاد العطار الأندلسيين (...) لهم دار محبسة على الذكور منهم قاطبة (...) وهذه الدار تسمى دار العطار الكبرى بدرب الدرجن المجاورة لدار الشرفاء الطاهريين ودار حبس أولاد بريشة هناك (...) ولا زال البعض من هذه القبيلة بثغر تطوان".

انظر: زهر الآس في بيوتات أهل فاس. لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت١٣٥٠هـ) ويليه: تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس. لمحمد بن عبد

الكبير بن هاشم الكتاني (ت١٣٦٢هـ). ت: علي ابن المنتصر الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ط١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. ص: ٤٢٨ - ٤٢٩.

٩ - العائلة والثروة البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية. لحسام محمد عبد المعطي. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. ص: ٣٦٨.

١٠ - انظر: المرجع نفسه. ص: ٣٥٢.

١١ - انظر: معجم المؤلفين. ج١. ص: ٥٨٧

١٢ - انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٥٤.

١٣ - انظر: المغاربة في مصر في العصر العثماني. (١٥١٧م - ١٧٩٨م). لعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. تونس. ١٩٨٢م. ص:١١.

١٤ - انظر: المرجع نفسه. ص: ٢٦

١٥ - انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٢٠.

وانظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ١٩.

١٦ - انظر: فيض الملك الوهاب المتعالي. مج١. ص: ٣٩٦. وانظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ١٩. وانظر: معجم المؤلفين. ج١. ص: ٥٨٧.

١٧ - انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ٤٨٩

١٨ - انظر: مقال: أحفاد حسن العطار شيخ الأزهر ١٦ [السادس عشر] يفتحون خزانة ذكريات جدهم. لمحمد سيد أحمد. جريدة صوت الأزهر[جريدة إلكترونية]. الخميس ٤ فبراير ٢٠١٦م.

١٩ - انظر: المرجع نفسه.(بتصرف).

٢٠ - انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار.ج١. ص:٤٩١.

٢١ - انظر: عجائب الآثار. للجبرتي. ج٢. ص: ٣٤٧.

وانظر: حلية البشر. للبيطار. ج٣. ص: ١٣٨٤ وما بعدها (بتصرف).

وانظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغدادي. مؤسسة التاريخ العربي. استانبول.

١٩٥١م. ج٢. ص: ٣٤٩.

٢٢ - انظر: شيوخ الأزهر. لأشرف فوزي صالح. الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة. ج٢. ص: ٥ -٧.

وانظر: الأزهر في ألف عام. لعبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط٣. ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م. ج١. ص: ٢٥ - ٢٨.

٢٣ - انظر: المصدر نفسه. ص: ٢٨.

٢٤ - انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار. لعبد الرحمن الجبرتي. ت: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٩٨م. ج٢. ص: ٣٩١ - ٣٩٢.

وانظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار. ١٣٨٠هـ/١٩٦١م. ج١. ص: ١٧٦ - ١٧٧

٢٥ - انظر: عجائب الآثار. ج٢. ص: ٣٩٢

وانظر: حلية البشر. لعبد الرزاق البيطار. ج٢. ص: ٣٧ - ٣٨.

٢٦ - انظر: الأزهر في ألف عام. ج٢. ص: ٣١ - ٣٣.

وانظر: المرجع نفسه. ج١. ص: ٢٣٤ - ٢٣٥.

وانظر: شيوخ الأزهر. ج٢. ص: ١١ وما بعدها.

٢٧ - انظر: الأزهر في ألف عام. ج٢. ص: ٣٥ - ٣٧.

وانظر: عجائب الآثار. للجبرتي. ج٤. ص: ٤٥٦.

وانظر: شيوخ الأزهر. ج٢. ص: ٢١ - ٢٤.

٢٨ - انظر: هدية العارفين. للبغدادي. ج١. ص: ٤٨٩.

٢٩ - انظر: الأعلام. للزركلي. ج٤. ص: ١٠٧

٣٠ ـ انظر: معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات. ليوسف عبد الرحمن المرعشلي. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. ج٢. ص: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٣١ ـ انظر: حلية البشر. للبيطار. ج١. ص: ٤٣٣.

٣٢ ـ انظر: فهرس الفهارس والأثبات. لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. ت: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. ط٢. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ج١. ص: ٣٨٤.

٣٣ ـ زبيد: (...) اسم واد به مدينة يقال لها الحُصَيب، ثم غلب عليها اسم الوادي، فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون، وبإزائها ساحل غلافقة، وساحل المندب (...).

انظر: معجم البلدان. لياقوت الحموي. ت: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ج٣. ص: ١٤٨.

٣٤ ـ انظر: الأعلام. للزركلي. ج٧. ص: ٧٠ (بتصرف).

٣٥ ـ انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد ابن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف(١٣٦٠هـ). ت: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ج١. رقم الترجمة: (١٤٥٠). ص: ٥١٨. (بتصرف).

وانظر: حلية البشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ١٧٨ ـ ١٧٩.

٣٦ ـ انظر: عجائب الآثار. للجبرتي. ج٤. ص: ١٧٢.

وانظر: حلية البشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ٢٨٠ ـ ٢٨١

٣٧ ـ انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت١٣٦٠هـ). ت: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ج١. رقم الترجمة (١٤٥٧). ص: ٥٢٠ (بتصرف).

٣٨ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد ابن قاسم مخلوف(ت ١٣٦٠هـ). ت: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ج١. رقم الترجمة: (١٤٥٨). ص: ٥٢٠ ـ ٥٢٢. (بتصرف).

وانظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. ت: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط٢. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ج١. ص: ١٣٣ ـ ١٣٩

وانظر: معجم المعاجم والمشيخات والفهرس والمسلسلات والأثبات. ليوسف عبد الرحمن المرعشلي. مكتبة الرشد. ط١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ج٢. ص: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٣٩ ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. لسامي بدراوي. مجلة المجلة. ع٩٩. ١مارس ١٩٦٥م. مصر. ص: ٣٢.

٤٠ ـ انظر: المرجع نفسه. ص: نفسها.

٤١ ـ انظر: معجم المعاجم. للمرعشلي.. ج٢. ص: ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

٤٢ ـ انظر: هدية الساري إلى أسانيد الشيخ إسماعيل الأنصاري(ت١٤١٧هـ). لعبد العزيز بن فيصل الراجحي. مكتبة الرشد الرياض. ص: ٢٥٨ ـ ٢٦٠.

وانظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م. ص: ٢٥ ـ ٢٦.

وانظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. لمحمد بن عبد الله بن حَميد النّجدي(ت١٢٩٥هـ). ت: بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ج١. ص: ٣٩.

٤٣ ـ انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. ت:إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط٢. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ج١. ص: ١٣١ ـ ١٣٢

٤٤ ـ انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم

والمشيخات والمسلسلات. لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. ت: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط٢. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ج١. ص: ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

٤٥ ـ انظر: العز والصولة في معالم نظام الدولة. لعبد الرحمن بن زيدان. المطبعة الملكية بالرباط. ١٣٨٢هـ/ ١٩٦١م. ج٢. ص : ١٦٨.

٤٦ ـ انظر: الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ. لعبد العزيز بنعبد. دار نشر المعرفة. الرباط. ط١. ٢٠٠١م. ص: ٥٧

٤٧ ـ انظر: قبس من عطاء المخطوط المغربي. لمحمد المنوني. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٩م. ص: ١٢٧٥.

٤٨ ـ انظر: إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة. ت: محمد حجي . دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ج١. ص: ١٦٤.

٤٩ ـ انظر: معجم المعاجم للمرعشلي. ج٢. ص: ٢٢٧ وما بعدها.

٥٠ ـ انظر: عصر محمد علي. لعبد الرحمن الرافعي. دار المعارف. ط٥. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. ص: ٤٢٧.

وانظر: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. لجُرجي زيدان. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جمهورية مصر العربية. ٢٠١٢م. ج٢. ص: ٣١ ـ ٣٥.

وانظر: الأزهر تاريخه وتطوره. لمحمد البهي. وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر. ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. ص: ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

وانظر: الأعلام. للزركلي. ج٣. ص: ٢٩.

٥١ ـ انظر: عصر محمد علي. لعبد الرحمن الرافعي. ص: ٤٦٢.

٥٢ ـ انظر: حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي. لإغناطيوس كراتشكوفسكي. ترجمة: كلثوم نصر عودة فاسيليفا. مراجعة وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغني حسن. المركز القومي للترجمة القاهرة. العدد١٧٧٢. ٢٠١٣م. ص: ١٧٩ ـ ١٨٢.

٥٣ ـ انظر: حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي. لكراتشكوفسكي. ص: ٢١ وما بعدها.

وانظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ٤٦ ـ ٥١

وانظر: أعلام من الشرق والغرب. لمحمد عبد الغني حسن. دار الفكر العربي. مطبعة الاعتماد. ١٩٤٩م. ص: ٣٠ وما بعدها.

٥٤ ـ انظر: الأزهر في ألف عام. ج٢. ص: ٦٥ وما بعدها.

٥٥ ـ انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ٤٦٣ ـ وما بعدها.

وانظر: الأعلام. للزركلي. ج٢. ص: ١٧٨.

٥٦ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص: ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

وانظر: أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر. لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. ط١. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ص: ١٣٨ ـ ١٣٩.

٥٧ ـ انظر: أعيان البيان من القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم. لحسن السندوبي. المطبعة الجمالية. مصر. ط١. ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. ص : ١٧.

وانظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة. ص: ٧٠٢.

لنا عودة مع ترجمة مستفيضة لحسن قويد الخليلي في الدراسة فانظره.

٥٨ ـ انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة. لوليد الزبير وآخرون. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص: ٧٦٧.

٥٩ ـ بسكون النون، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، ولام، وهو اسم لمدينة القسطنطينية وجاء في هامش الصفحة نفسها:" اصطنبول: وهكذا قال أبو الفداء عند بيانه للخليج القسطنطيني حتى تصل إلى

القسطنطينية وهي اصطنبول".

انظر: معجم البلدان. لياقوت الحموي. ت: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ج١. ص: ٢٥٠.

وانظر: هامش الصفحة ونفسها.

٦٠ ـ انظر: فهرس الفهارس. للكتاني. ج٢. ص: ٧٢٢ ـ ٧٢٤.

٦١ ـ لم أهتد إلى ترجمته. وكل ما استطعت التوصل إليه حول هذه العلم ورود ذكره في كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، والذي جاء فيه: " ولما توفي محمد علي وتولى عباس باشا حكومة مصر واشتدت البغضاء بينه وبين " المورهليين": باقي بك، وسامي باشا، وكامل باشا، وسائر العائلة الخديوية، واضطروا للهجرة من مصر"

انظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. لزينب بنت علي فوّاز العاملية اللبنانية. ت: محمد أمين ضنّاوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ج١. ص: ٤٠٧.

٦٢ ـ لم أهتد إلى ترجمته.

٦٣ ـ لم أهتد إلى ترجمته.

٦٤ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٣٨.

٦٥ـ انظر: الأزهر في ألف عام. ص: ٥٠

٦٦ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. لسامي بدراوي. مجلة المجلة. مصر. ع٩٩. مارس ١٩٦٥. ص: ٣٣.

٦٧ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. ص: ٣٣

٦٨ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. لسامي بدراوي. مجلة المجلة. مصر. ع٩٩. ١ مارس١٩٦٥. ص: ٣٣.

٦٩ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٢١.

٧٠ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الإسلامي الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ٢٥ ـ ٢٦.

٧١ ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. لسامي بدراوي. مجلة المجلة. مصر. ع٩٩. ١ مارس١٩٦٥م. ص: ٣٢.

وانظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٤٣.

٧٢ ـ انظر: مقال الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. ص: ٣٣.

٧٣ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٥٩.

٧٤ ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. ص: ٣٥

٧٥ ـ انظر: أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين. لعلي عبد الفتاح. مكتبة ابن كثير. دار ابن حزم بيروت. لبنان. ط١. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ج٢. ص: ٩٦٣.

٧٦ ـ انظر: الأزهر في ألف عام. لمحمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. ص: ٥٠.

وانظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ١٩.

٧٧ ـ انظر: مقال الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. ص: ٣٥.

٧٨ ـ انظر: حلية البشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ٤٩١ ـ ٤٩٢.

٧٩ ـ انظر أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ٢٤.

٨٠ ـ الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. لطه وادي. ص: ١٤٥.

٨١ ـ ذكره جرجي زيدان إلى جانب ستة كتب أخرى،

انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٦.

٨٢ ـ انظر الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. لطه وادي. ص: ١٤٥.

٨٣ ـ انظر: معجم المؤلفين. لكحالة. ج١. ص: ٥٨٨.

وانظر: شيوخ الأزهر. لأشرف فززي صالح. ج٢. ص: ٤٠.

٨٤ ـ انظر الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. لطه وادي. ص: ١٤٤

٨٥ ـ كتبت عام (١٨٠٠) محفوظة في دار الكتب بالقاهرة، (٧٥٧٤) أدب.

انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٥

٨٦ ـ انظر: الأزهر في ألف عام. ج٢. ص: ٥٢.

٨٧ ـ انظر: شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. ص: ٧٢.

٨٨ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

٨٩ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث، ص ٢٥.

٩٠ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٣.

٩١ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٤.

٩٢ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

٩٣ ـ ذكرها المرحوم أحمد تيمر في " فهرس الخزانة التيمورية".

انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٥.

٩٤ ـ انظر: شيوخ الأزهر. لأشرف فوزي صالح. ج٢. ص: ٤٠.

٩٥ ـ انظر: معجم المؤلفين. ج١. ص: ٥٨٨.

٩٦ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٥.

٩٧ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

وانظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٦

٩٨ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٥.

٩٩ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٤.

١٠٠ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

وانظر: معجم المؤلفين. لكحالة. ج١. ص: ٥٨٨.

١٠١ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

١٠٢ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. لحسن بن محمد الشافعي ابن العطار. ص:١٤.

١٠٣ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

١٠٤ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

١٠٥ ـ ذكره أحمد تيمور باشا، وأشار إلى أنه ثلاثة أجزاء، طبع بمصر.

انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

١٠٦ ـ انظر: معجم المؤلفين. لكحالة. ج١. ص: ٥٨٨.

١٠٧ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٤.

١٠٨ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان للعطار. ص: ١٤.

١٠٩ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٤.

١١٠ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٥.

١١١ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

١١٢ ـ انظر الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق. ٢٠٠٦

١١٣ ـ انظر: معجم المؤلفين. لكحالة. ج١. ص: ٥٨٨.

١١٤ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

١١٥ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٥.

١١٦ ـ انظر: الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق.

١١٧ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٥.

١١٨ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٤

وانظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

١١٩ ـ انظر: الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق.٢٠٠٦

١٢٠ ـ محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة (٣٦٤٨٤)

انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٤.

١٢١ ـ انظر: شيوخ الأزهر. لأشرف فوزي صالح. ج٢. ص: ٤٠.

١٢٢ ـ انظر: الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق.

١٢٣ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

١٢٤ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي الحديث. ص: ٢٥.

١٢٥ ـ الحاشية للعطار، أما الجواهر المنتظمات، فهي: شرح لعقود المقولات العشر، وكلاهما أي، المتن والشرح للشيخ أحمد السجاعي (ت١١٩٧هـ)، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم: (٢٤٠٩).

انظر: شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. ص: ٧١.

١٢٦ ـ وتسمى الحاشية الكبرى، طبعت عام ١٩١١، المطبعة الخيرية بالقاهرة.

انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. لحسن العطار. ت. وتع: أيمن ياسين عطعط. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ص: ١٥.

١٢٧ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٣.

١٢٨ ـ انظر: الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق.

١٢٩ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦

١٣٠ ـ للتوسع في الموضوع انظر: الدر المثقوب في أسرار الغيوب. لمحمود عبد الباسط الطوخي. المكتبة المحمودية التجارية الأزهرية ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م. باب: رسالة في أحكام الرمل. ص: ١٨٠ وما بعدها.

١٣١ ـ انظر: فيض الملك الوهاب مج١. ص: ٣٩٦.

١٣٢ ـ الزايرجة: علم يهتم يعتمد على عمليات رياضية، وهو من نوع الجبر. برع في هذا العلم، أبو العباس السِّبتي دفين مراكش، وكانت له زايرجة تسمى؛ زايرجة العالم.

١٣٣ ـ للتوسع في الموضوع، انظر: الدر المثقوب في أسرار الغيوب. لمحمود عبد الباسط الطوخي. المكتبة المحمودية.

(باب): فتق الرتقة في الزايرجة لسهل بن عبد الله الإشبيلي. ص: ٧١ وما بعدها.

وانظر: الزايرجة الهندسية في كشف الأسرار الخفية. لعبد الفتاح السيد الطوخي. دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع. ١٩٩١.

١٣٤ ـ الأُسْطُرْلاب: جهاز استخدم منذ القدم لتحديد الاحداثيات ومواقع الاجرام السماوية في القبة الفلكية.

انظر: المعجم الفلكي الإلكتروني لتبسيط المصطلحات الفلكية على الشابكة.

QATAR – FALAK.COM

وانظر: كيفية العمل بالإسطرلاب وذكر آلاته وأجزائه، لابن الصفار. ت: مياس بياكروزا. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد. ع٣. ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م. مج١. ص: ٤٧ وما بعدها.

وانظر: القاموس الفلكي الحديث. لسائر بصمه جي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص: ٤٧.

١٣٥ ـ (مصطلح فلكي عربي المقصود به الدائرة الموازية للأفق ALMUCANTAR)

انظر: المعجم الفلكي الإلكتروني لتبسيط المصطلحات الفلكية على الشابكة.

QATAR – FALAK.COM

ومضات سنية من حياة شيخ المجددين الشيخ حسن العطار(ت: ١٢٥٠هـ)

١٣٦ ـ انظر: شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. ص: ٧٢.

١٣٧ ـ انظر: شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. ص: ٧٣.

١٣٨ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٥.

١٣٩ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

١٤٠ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

١٤١ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

١٤٢ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٣.

١٤٣ ـ انظر: معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. ج١. ص: ٥٨٨.

١٤٤ ـ انظر: الأزهر في ألف عام. ج٢. ص: ٥٢.

١٤٥ ـ انظر: فيض الملك الوهاب. مج١. ص: ٣٩٦.

١٤٦ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٤.

١٤٧ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٦.

١٤٨ ـ كتبت عام (١٨٠٠) محفوظة في دار الكتب بالقاهرة، (٧٥٧٤) أدب.

انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٥

١٤٩ ـ انظر: معجم المؤلفين. ج١. ص: ٥٨٨.

١٥٠ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٨٤.

١٥١ ـ شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. ص: ٧١.

١٥٢ ـ انظر: شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. ص: ٧١.

١٥٣ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٤.

١٥٤ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٣.

١٥٥ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. ص: ١٥.

١٥٦ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان. للعطار. ص: ١٣.

١٥٧ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. القاهرة. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ص: ٢٠.

١٥٨ ـ انظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث. لأحمد تيمور باشا. ص: ٢٤.

وانظر: فيض الملك الوهاب المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. ص:٣٩٧

وانظر: الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها. لعلي مبارك. ج٤. ص: ٣٨

أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع. لخليل مردم بك (ت١٣٧٩هـ). لجنة التراث العربي وانظر: بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧١. ص: ١٥٧.

وانظر: شيوخ الأزهر. لأشرف فوزي صالح. ج٢. ص: ٤٠

وانظر: النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر. لمحيي الدين الطُعْمي. ص: ٣٠

وانظر: الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. لطه وادي. ص: ١٤٠

١٥٩ ـ انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار. ج١. ص: ٤٩٢.

١٦٠ ـ انظر: معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. ج١، ص: ٥٨٧.

١٦١ ـ انظر: الأزهر في ألف عام. لمحمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط٣. ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م. ج٢. ص: ٥٢.

١٦٢ ـ انظر: راحة الأبدان في نزهة الأذهان للعطار. ت: أيمن ياسين عطعط. المقدمة. ص: ١١.

وانظر: الأعلام. للزركلي. ج٢. ص: ٢٢٠.

وانظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٢٢.

وانظر: عنوان مقال الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة. لسامي بدراوي. العنوان. ص:٣٠

١٦٣ ـ انظر: مقال: الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر المجدد. لعبد الرحيم علي. موقع بوابة الحركات الإسلامية.

www. Islamist- movements.com مارس ٢٠١٥م. على الشابكة: السبت٢١

١٦٤ ـ انظر: حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. ص: ٥٣.

١٦٥ ـ الصواب: (فان) بحذف الياء؛ لأنه خبر (لكل)، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة. وهو اسم فاعل من الفعل الثلاثي (فنى) الثلاثي (فني). وقد اقتبس الشاعر هذا البيت من قوله تعالى: " كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ ويَبْقَى وجْهُ ربِّكَ ذُو الجلالِ والاكْرامِ". سورة الرحمن الآيتان: ٢٤ ـ ٢٥.

قائمة المصـادر والمراجع

- إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة. ت: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الآداب العربية للأب لويس شيخو. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. ١٩١٠م.
- الأزهر تاريخه وتطوره. لمحمد البهي. وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر. ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- الأزهر في ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط٣. ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.
- الأعلام للزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط١٥. أيار / مايو ٢٠٠٢م
- أعلام الفكر أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. القاهرة. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين. لعلي عبد الفتاح. مكتبة ابن كثير. دار ابن حزم. بروت ـ لبنان. ط١. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- أعلام من الشرق والغرب. لمحمد عبد الغني حسن. دار الفكر العربي. مطبعة الاعتماد. ١٩٤٩م.
- أعيان البيان من القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم. لحسن السندوبي. المطبعة الجمالية. مصر. ط١. ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.
- أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع. لخليل مردم بك. لجنة التراث العربي بيروت. لبنان. ط١. ١٩٧١
- أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر. لأحمد تيمور باشا. دار الآفاق العربية. ط١. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. لجُرجي زيدان. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جمهورية مصر العربية. ٢٠١٢م.
- حسن العطار. لمحمد عبد الغني حسن. دار المعارف . جمهورية مصر العربية. ط٢. د.ت.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. لعبد الرزاق البيطار. ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي. لإغناطيوس كراتشكوفسكي. ترجمة: كلثوم نصر عودة فاسيليفا. مراجعة وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغني حسن. المركز القومي للترجمة القاهرة. ٢٠١٣م.
- الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها. لعلي مبارك.د. ط. د.ت.
- الدر المثقوب في في أسرار الغيوب. لمحمود عبد الباسط الطوخي. المكتبة المحمودية التجارية

- الأزهرية ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. لزينب بنت علي فوّاز العاملية اللبنانية. ت: محمد أمين ضنّاوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- راحة الأبدان في نزهة الأذهان. لحسن العطار. ت. وتع: أيمن ياسين عطعط. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١.
- الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ. لعبد العزيز بنعبد. دار نشر المعرفة. الرباط. ط١. ٢٠٠١م.
- زهر الآس في بيوتات أهل فاس. لعبد الكبير بن هاشم الكتاني ويليه: تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس. لمحمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني. ت: علي بن المنتصر الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ط١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- الزايرجة الهندسية في كشف الأسرار الخفية. لعبد الفتاح السيد الطوخي. دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع. ١٩٩١.
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. لمحمد بن عبد الله بن حَميد النّجدي. ت: بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط١. ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد ابن قاسم مخلوفت: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الشعر والشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. لطه وادي. د.ت.
- شيوخ الأزهر. لأشرف فوزي صالح. الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة. د.ت.
- شيوخ الأزهر في مصر. لعمرو إسماعيل محمد. المنهل. د. ت.
- العائلة والثروة البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية. لحسام محمد عبد المعطي. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. ص: ٣٦٨.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار. لعبد الرحمن الجبرتي. ت: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. مطبعة . دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٩٨م.
- العز والصولة في معالم نظام الدولة. لعبد الرحمن ابن زيدان. المطبعة الملكية بالرباط. ١٣٨٢هـ/ ١٩٦١م.
- عصر محمد علي. لعبد الرحمن الرافعي. دار المعارف. ط٥. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد. لعبد الله العزباوي. دار الشروق.٢٠٠٦م.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. ت: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط٢. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي. لأبي الفيض عبد الستار ابن عبد الوهاب البكري الصديقي. دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكتبة الأسدي. مكة المكرمة. العزيزية. ط٢. ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- القاموس الفلكي الحديث. لسائر بصمه جي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. د. ت.
- قبس من عطاء المخطوط المغربي. لمحمد المنوني. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٩م
- معجم البلدان. لياقوت الحموي. ت: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربي. لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة. ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة. ليوسف إليان سركيس, مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.
- المعجم الفلكي الإلكتروني لتبسيط المصطلحات الفلكية على الشابكة.

QATAR – FALAK .COM

- معجم المعاجم والمشيخات والفهرس والمسلسلات والأثبات. ليوسف عبد الرحمن. المرعشلي. مكتبة

الرشد. ط١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- المغاربة في مصر في العصر العثماني. (١٥١٧م ـ ١٧٩٨م). لعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. المجلة التاريخية المغربية، وديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. تونس. ١٩٨٢م.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية. مركز الشارقة للإبداع الفكري. ط١. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة. لوليد الزبير وآخرون. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر. لمحيي الدين الطُّعْمي. د.ت.
- هدية الساري إلى أسانيد الشيخ إسماعيل الأنصاري. لعبد العزيز بن فيصل الراجحي. مكتبة الرشد الرياض.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغدادي. مؤسسة التاريخ العربي. استانبول. ١٩٥١م.

المقالات:

- أحفاد حسن العطار شيخ الأزهر ١٦ [السادس عشر] يفتحون خزانة ذكريات جدهم. لمحمد سيد أحمد. جريدة صوت الأزهر[جريدة إلكترونية]. الخميس ٤ فبراير ٢٠١٦م.
- الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة (١١٨٠ ـ ١٢٥٠ هـ / ١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م). لسامي بدراوي. مجلة المجلة. ع٩٩. ١مارس١٩٦٥م
- الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر المجدد. لعبد الرحيم علي. موقع بوابة الحركات الإسلامية على الشابكة: مارس ٢٠١٥ السبت٢١

www. Islamist- movements.com

- كيفية العمل بالإسطرلاب وذكر آلاته وأجزائه, لابن الصفار. ت: مياس بياكروزا. مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد. ع٣. ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م. مج١.

ابنُ الصَّابوني الإشبيلي
(حياتُهُ وما تبَقَّى من شعره وموشحاته)
"جمع وتوثيق ودراسة"

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد
جامعة أم درمان الإسلامية- السودان

مقدمة:

نشط الباحثون في حقل الدراسات الأندلسية والمغربية منذ منتصف القرن الماضي على جمع أشعار من أسقطهم الدهر من كفه أو طوته يده في غيهب مطبق، فكان أن ظهر غيرما ديوان، ولا شك أن مثل هذا الصنيع يفيد الدرس النقدي بما يقدمه من عون للباحثين لإصدار أحكام نقدية دقيقة مبنية على استقراء كامل بدلًا عن الأحكام النقدية الفجة القائمة على الظن والترجيم، ولعل هذا ما دفعنا للسير في هذا المهيع الذي اختطه لنا أساتذتنا المحققون.

جاء اختيارنا لابن الصابوني الإشبيلي لمجموعة من الأسباب، أهمها: مكانته الأدبية المرموقة في الأدب الأندلسي عامة وعصر الموحدين بصورة خاصة، وثانيها تسليط الضوء على مرحلةٍ حرجة من التاريخ الأندلسي، مرحلةٍ غلبت عليها الفوضى والاضطراب مما اضطر الأدباء للخروج من الجحيم الأندلسي وقتئذٍ، وثالثها انصراف الباحثين - بحسب علمي- عن التعريف به والوقوف بين يدي أدبه (شعره وتوشيحه) .

مهما يكن من الأمر فقد جاءت هذه الدراسة على قسمين، في القسم الأول: عرفنا بالشاعر وبموضوعات شعره وتوشيحه، وبينا خصائصهما الفنية، وفي الثاني: جمعنا شعره وتوشيحه بقدر ما تيسر لنا من مراجع ومظان. والحق أن مهمة البحث والتنقير عسيرة خاصة لمن يعيش في مثل ظروف بلادنا.

القسم الأول

ابن الصابوني

الرجل والفنان

اسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم الصدفي[١]، يكنى أبا بكر، ويلقب بالحمار، ويعرف بابن الصابوني، ولد بإشبيلية فنسب إليها، ولم يحدد مترجموه تاريخ ميلاده، لكنه في الغالب بعد سنة ٥٧٠هـ[٢].

وثمة إشارتان مقتضبتان عن أبيه، يقول ابن سعيد "إنه كان من الشهود مشهورًا بالثقة والعدالة "[٣]، ويقول المقري مستنتجًا من ابن سعيد أنه "كان فقيهًا"[٤]، وسواء صح قول ابن سعيد أو صدق استنتاج المقري فأغلب الظن أن أسرته قد دفعت به -كعادة الأسر الأندلسية- إلى الكُتَّاب وحلقات العلم لحفظ القرآن الكريم وتلقف علوم العربية، فقد ذكر غير واحد من مترجميه أنه تتلمذ علي يد كبار نحاة الأندلس، أبي علي الشَّلَوْبِين[٥]، وأبي الحسن الدبَّاج[٦]، كما أخذ الفقه عن رأس المالكية وقتئذ ابن زَرْقُون[٧]، ويبدو أن ابن الصابوني كان تلميذًا يشغب على أساتذته، كما كان لجوجًا، كثير الجدال حتى اضطر أستاذه الشلوبين إلى نعته بالحمار في لحظة غضب منه[٨].

ويبدو أن نبع الشعر قد جرى على لسانه مبكرًا فأشعره إلى جوار لجاجه بكثير من الزهو والخيلاء، ويبدو أن شهرته قد تجاوزت حدود مدينته.

وتطل على حيز إشبيلية دولة أبي العُلَى مأمون بني عبد المؤمن[٩]، ولا ندري على وجه اليقين متى التحق به، لكنه في الغالب كان في زمرة المبايعين له- بوصفه أكبر شعراء إشبيلية- سنة ٦٢٤هـ، وأكبر الظن أنه ظل يتفيؤ ظله الظليل حتى غادر أبو العلى إشبيلية موليًا وجهه شطر مراكش.

وبعد سقوط دولة أبي العلى حدثت فوضى عارمة في بلاد الأندلس وإشبيلية خاصة، فكان أن وثب إلى سدة الحكم المعتضد الباجي[١٠] الذي بايعه الإشبيليون- وما أكثر بيعاتهم-وكان صاحبنا ابن الصابوني أحد مادحيه، بل أحد مرتادي مجلسه، وله معه قصص ومشاهد مشهورة كما يقول ابن سعيد[١١]، ويظل في كنف الباجي حتى اغتياله سنة ٦٣١هـ. ويبدو أن أفق إشبيلية قد بدأ يضيق به، فكان أن ولى وجهه صوب مُرسية ومدح واليها عزيز بن عبد الملك [١٢] سنة ٦٣٢هـ كما يقول ابن الأبار[١٣].

ومهما يكن من أمر فقد ضاقت الأرض بصاحبنا فمعظم ممدوحيه قضوا قتلًا أو اغتيالًا، فضلًا عن سوء الأحوال عامة في بلاد الأندلس، مما اضطره للبحث عن ملاذ يأمن فيه نفسه ويقدر موهبته الشعرية، ولما كانت شمس الموحدين تغرب في عين حمئة بالمغرب والأندلس، كانت تشرق شمس أخرى في إفريقيا، في تونس، أعني دولة الحفصيين.

ويرسل ابن الصابوني قصيدة يمدح بها الأمير أبا زكريا الحفصي[١٤] مع أحد الطلبة تمهيدًا لمقدمه وتهيئة لحضوره. ويتجاوز البحر حتى إذا وصل الأمير أكرم وفادته، يقول ابن سعيد"ولقى مولانا الأمير المقدس على مَلْيَانة[١٥]، وجنى بإطنابه جني لسانه، فيقال إنه - قدس الله روحه

- عرفه فاستدعي حتى لثم بنانه، وأنشده قصيدة مطلعها:

اللهُ بـارِكَ فـي حِـلٍّ ومُـرتـحَـلِ

يا مُعْلِيًا مِلَّةَ الإسـلام في الملل[١٦]

فسرتُ والسَّعدُ يدعوني ويُرشدني

إنَّ الـسَّـعـادةَ فـي مَـلْـيَـانـةٍ فَـجُـلِ

فأنعم عليه بخمسمائة دينار، تصرف فيها بأنواع التهتك والاستهتار"[١٧]، ويبدو أنه لم يبق طويلًا بتونس فكان أن يمم وجهه شطر مصر، ونقدر -تقدير الظن- أن صديقه الطبيب ابن عتبة الإشبيلي[١٨] -الذي سبقه إلى إفريقية ثم إلى مصر وتبوأ مكانة بمارستانها - هو من أوعز له باللجوء إلى مصر والنزول بابن يَغْمُور[١٩] الملقب بكهف المغاربة.

ويتنقل صاحبنا ما بين القاهرة والإسكندرية، ويمدح كثيرًا من جلساء سلطانها، وكان من ممدوحيه ابن يغمور السالف الذكر الذي أجازه بخمسين درهمًا عددًا[٢٠]. ولنا أن نتعجب كيف استقام لابن يغمور أن يجيزه بهذا الثمن البخس وهو معروف بالكرم والمعرفة لدرجة أنه لقب بكهف المغاربة. أكبر الظن أن لابن يغمور رأيًا في شخصية ابن الصابوني بوصفه إنسانًا لا شاعرًا، فربما أجازه بهذا المبلغ الزهيد حتى يكفه عن العجب الذي يملأ شخصيته، وكأنه يريد أن يرده عما هو سادر فيه.

ومهما يكن الأمر فقد شعر ابن الصابوني بقدر غير قليل من الذلة والمهانة، فضلًا عن ازدراء لمكانته الشعرية، وهو شعور لم يألفه من قبل، وكيف يألفه، وهو ابن الفقيه مقامًا، وشاعر الأندلس بلا منازع مكانةً. لم يستطع جسده تحمل هذين العبئين فمات كمدًا كما يقول ابن سعيد[٢١].

ويختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته، وفي المكان الذي فاضت فيه روحه، فابن الأبار جعله سنة ٦٣٤هـ[٢٢]، وتبعه ابن شاكر الكتبي، [٢٣]، بينما يجزم ابن سعيد-وهو أعرف الناس به- أنه توفي سنة ٦٣٦هـ؛ أي العام الذي توفى فيه صديقه ابن عتبة الطبيب على حد قوله[٢٤]. أما مكان وفاته فيقول ابن سعيد إنه مات بالإسكندرية[٢٥]، ويقول ابن الأبار إنه توفي في طريقه من الإسكندرية إلى مصر[٢٦]، بينما جعل الصفدي وفاته ببرقة وهو عائد إلى الغرب (الأندلس) [٢٧]. والغالب أنه مات صرورة، إذ لم يذكر أحد من مترجميه أنه تزوج أو أن له عقبًا.

شخصيته:

الواضح من مجمل الأخبار التي وصلت إلينا-ومعظمها من معاصره ابن سعيد- أن ابن الصابوني رُزق-بتأثير من أبيه- الإعجاب بذاته وتحقيره للآخرين، مع عقل طائش، وقلة وفاء، وسلاطة لسان، فكان"قلَّما يدوم أحدٌ على صحبته، ولا يرغب مُعاشر في استئناف عُشرته، لا يزال يكْلِم من كَلَمه، ويظلم بلسانه من لم يظلمه أو ظَلَمه"[٢٨]، فضلًا عن تهتك واستهتار، ونلمس في شعره شكوى وتبرمًا، وشعورًا بحسد أقرانه له:

مـــــازال حُـسَّـادي بسترِ جنابِكم

حتَّى سَعَـوْا فـي رفعـةٍ فَتَقلَّصَا[٢٩]

ويصفه المقري بأنه شديد الانحراف[٣٠]، ويؤكد ذلك ما نجده في شعره من غلاميات

وولوع بوصف العذار، فضلًا عن هواه بفتى اسمه علي[٣١]، والحق أنَّا لاندري على وجه اليقين، هل كانت غلامياته مجاراة لروح العصر، أم يكمن من خلفها شيء آخر. والحق أن شخصيته بسماتها وقسماتها تجعله منبوذًا في مجتمعي الرجال والنساء، ولعلها تقوي ما ذهبنًا إليه من قبل أعني موته صَرُوَرة.

آثاره:

خلَّف ابن الصابوني كتابًا أسماه "معرفة الفرق بين الضاد والظاء"، وهو ينهض دليلًا ماديًا على سعة معارفه وغزارة علمه، يقول محققه العلامة حاتم الضامن-رحمه الله-"ومن اللافت للنظر هذه الشواهد من الأشعار والأرجاز التي انفرد بذكرها ولم نقف عليها في سائر كتب الضاد والظاء"[٣٢]

مكانته:

حظي صاحبنا بمكانة عظيمة عند المؤرخين، أندلسيين كانوا أو مشرقيين، فقد أشاد كل من ترجم له بشاعريته الفذة، وأجمعوا على أنه شاعر الأندلس في عصره بلا منازع، يقول ابن الأبار"شاعر عصره المجيد، الذي ذهبت البدائع بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها بـه"[٣٣]، ويقول ابن سعيد"شاعر إشبيلية الذي لم تكن الإشارة بها إلا إليه، ولا الإحالة في غيرها من البلدان - متى جرى ذكر شعراء الأندلس- في عصره إلا عليه"[٣٤]، كما أشاد به مؤرخو مصر، يقول الأدفوي: "النحوي الأديب، الشاعر المفلق، جاء نابغة في الشعر ومدح الملوك"[٣٥]، وتتجاوز شهرته الآفاق لتبلغ بلاد المشرق فكان أن أشاد بشعره وتوشيحه الصفدي[٣٦]، كما أثنى عليه ابن شاكر الكتبي[٣٧].

موضوعات شعره:

إن الشعر الذي بين أيدينا قليل لدرجة تجعل حكمنا على ابن الصابوني أشبه مايكون بالحكم العام، فمعظم الذي وصلنا بعض أمداح ووصف، ونتعجب كيف سقطت من يد الزمان أمداحه، ومترجموه يقولون إنه استفرغ معظم جهده الشعري في المدح، كما لم يصلنا شيء عن وصف الطبيعة – وإشبيلة أجمل مدن الأندلس- على الرغم من أن الطبيعة دست أنفها في معظم التجارب الشعرية عند الأندلسين.

أما مدائحه- على قلة التي بين أيدينا- فالواضح أنه كان يطيلها، وأنه كان يبدؤها بالشكوى من الزمان وحدثانه، ومن البعد والمرارة، ويظل يذكر صروف الدهر ونوائبه حتى إذا انتهى إلى ممدوحه قرت بلابله وحققت أحلامه، ففي صاديته التي مدح بها الأمير الحفصي يقول:

لـقد برَّحَـتْنِـي النـائباتُ بِعَيْثِهَا

فمِنْ ألمٍ تـُدنـي ومن أملٍ تُقصي[٣٨]

سأقـتصُّ للملك الـهمـام شكيَّتي

فيبسِطُ لي من صَرْفها يدَ مُقْتَصِّ

أبـي زكريـاء الـمُهَذَّبِ مـن أبي

مُـحَـمَّـدِ النامي لمجدِ أبـي حفْصِ

وفي بائيته التي مدح بها عزيز بن عبد الملك يقول إنه ظل يجوب الأرض ويتجرع الصاب ويتأرجح بين الفلك والعيس والماء والجبل حتى إذا وصل عزيزا أجاب سُؤله وطبَّب جرحه. ونلاحظ أنه يحرص في مدائحه على ذكر اسم الممدوح وكأنه يخلد ذكره، ومنه:

ابنُ الصَّابوني الإشبيلي (حياتُه وما تبَقَّى من شعره وموشحاته) "جمع وتوثيق ودراسة"

إن أغريتْ بك أبكارُ الخطوبِ فَلُذْ

منها بمجدِ أبي بكر بنِ خطَّاب[٣٩]

وقوله:

أبـي زكريـــاء المُهَذَّبِ مـن أبي

مُحَمَّدِ النامي لمجدِ أبـي حفْصِ[٤٠]

وإلى جوار المدح تفنن في الوصف، وله أوصاف سار بذكرها الركبان، ومعظمها لقطات سريعة تجمع بين الإطراف والتكثيف، كوصفه للعذار، أو وصفه لمرآة بعثها لحبيب له، أو وصفه لمن تحلى بحلة حمراء، والواضح أنها لقيت استحسانًا من مترجميه لدرجة أن ظلت تتكرر عند كل ترجمة له، وله رائية في الغزل تفيض رقة وعذوبة[٤١]، بل تكاد ألفاظها تطير رشاقة وخفة. كما له قصيدة يشرح فيها معنى الإقالة عند الفقهاء.

أما فيما يخص خصائصه الفنية فقد تميزت لغته بالسلاسة والوضوح- فباستثناء صاديته في مدح الأمير الحفصي-، بل قلما تضطر للمعجم بحثًا عن معنى للفظ، كما تنوعت أساليبه في تبليغ خطابه الشعري، فتاره يمتح من القرآن الكريم[٤٢]، وأحيانا يوظف الشخصيات التاريخية[٤٣]، كما أفاد من جغرافيا المكان[٤٤]، وأشكال وهيئات الحروف[٤٥].

وغلب على شعره الزخرف البديعي، وحقًا أنه كان أحد مقاييس الجمال والذوق في عصره - كما يقول فوزي عيسى [٤٦]- إلا أنه كان يفيض من الكف زيادة وعددًا، انظر مثلًا قوله:

لـيـس لـي مـن صَـفْـحِ حـاجـر

مـا سـوى سَـفْـحِ الـمـحـاجِـرْ[٤٧]

قـد أحَـالَـتْ مـنـه أعـصـا

رٌ وعَـفَّـتـهُ أعـاصِـرْ

عـامِـرٌ بـالـوحـشِ بـعـد الـ

أُنْـسِ مـن غِـزلانِ عَـامِـرْ

فالأبيات تكتظ بالجناس بنوعيه التام (عامر من العمران - وعامر القبيلة) والناقص (صفح وسفح - حاجر والمحاجر - أعصار وأعاصر) . وثمة ظاهرة لغوية تميز بها، هي، التلاعب اللفظي - إن جاز لنا التعبير -، فأحيانًا يبني بيتًا كاملًا على مادة لغوية واحدة، مثل قوله:

لـولا اعتناءُ عزيزٍ ماعزَزتُ على

دهري وقد بزَّ لـمَّا عزَّ أسْـلابي[٤٨]

وقوله:

نابتْ صُـروفٌ نَبَا بي عندها وطني

قرعْتُ نابي لـها من رحلِيَ النَّابي[٤٩]

فالبيتان يدوران حول مادتين لغويتين، الأولى عزَّ (عزيز-عززت-عز) والثانية ناب (ناب-نابي)

أما فيما يخص موسيقاه فقد جاء بحر البسيط في مقدمتها بسبعة نصوص يليه الكامل والطويل بخمسة نصوص لكل منهما، ثم نصان على زنة المنسرح، ونص واحد لكل من السريع والهزج ومجزوء الرمل، بينما أكثر في قوافيه من حروف اللام والراء والباء، وله قصيدتان على روي الصاد، فعلى الرغم من تحامي الشعراء النظم فيها تعد صاديته - رغم صعوبة بعض ألفاظها- التي مدح بها الأمير الحفصي من عيون الشعر عند الأندلسيين، فقد نظمت على غِرارها

معارضة قصائد عدة، لعل أشهرها صاديتي ابن الأبار وحازم القرطاجني[٥٠].

كما حرص صاحبنا على الموسيقى الداخلية استكمالًا لإيقاع شعره، ويأتي في مقدمتها الجناس بشقيه، ورد الأعجاز إلى الصدور، كما اهتم بالتصريع لاسيما في مقدمات مدائحه.

تنوعت صوره الفنية مابين الاستعارة والكناية والتشبيه، أما استعاراته فغلبت عليها الاستعارة المكنية، ومنها:

أقسِّمُ فرقَ الليلِ عن سُنَّةِ الضحى

وأهبطُ خَصْرَ القاعِ من كَفَلِ الدَّعْصِ[٥١]

ونلاحظ أنه يمتلك خيالًا ملفقًا إذ جعل للقاع خصرًا وللرمل عجيزة يهبط منها. أما كناياته فمعظمها جاهزة ومكرورة مثل: التكنية عن الندم (بقرعت نابي) [٥٢]، أو التكنية عن التهتك (بخلع العذار) [٥٣]، وعن الفرقة والشتات بشق العصا[٥٤]. كما أفاد من المبالغة في رسم صوره وتبليغ معانيه، كالمبالغة في الرقة:

يباشِرُ الوشي من أعطافه بَشَرا

يكادُ يجرحُه قولي يباشِرُهُ[٥٥]

أو في تصوير شدة شوقه واستبداده به لدرجة جعلت جسمه من شدة نحوله يستحيل سلكًا ينظم فيه درر الحبيب (دمعه) :

أسبلَ دمعي لصدره دُررا

جسمي لفرطِ الضَّنى لها سِلْكُ[٥٦]

كما خلع على صوره طابعًا من الطرافة، مثل حيَّة الشعر التي تلدغ تارة وتواثب تارة أخرى:

فَحَيَّةُ الشِّعرِ ماتنفَكُّ تلدغني

من دونه وهي من دوني تُساورُهُ[٥٧]

وإلى جوار الطرافة وجدنا صور جديدة، كصورة السيوف التي سكنت مفاصل الشجعان وقد فغر الضرب فاه كما تفغر الأفواه بالجدل والنقاش:

والبِيضُ تَسْكُنُ أوصالَ الكُماةِ وقد

شَحَا لها الضَّرْبُ كالأفواه للجَدلِ[٥٨]

فضلًا عن التلفيق والتوليف، مثل توليفه بين عوالم متناقضة لا انسجام بينها، كالمزج بين عالمي القتال والطبيعة في قوله:

وللشفارِ شُروعٌ في الدُّروعِ كما

تواترَ الطَّيرُ في الغُدران للنَّهْلِ[٥٩]

ويفيد في تشبيهاته من الحروف شكلًا ووظيفة لتبليغ معانيه، كأن يشبه الفم بحرف الميم، والواو بالصدغ، والصاد بالشارب[٦٠]، كما يفيد من حرف الإعراب في التعبير عن تقلب أحواله وتغيرها:

تقلَّبتْ حركاتُ الدهر بي غِيَرًا

حتَّى كأنِّيَ منها حَرْفُ إعْرابِ[٦١]

أما **موشحاته** فلم يصلنا منها غير ثلاث، ويبدو أن مكانته في عالم التوشيح تتأخر عن مكانته في دنيا الشعر، وأكبر الظن أنه استفرغ زمنًا طويلًا حتى حلَّق في دنيا الموشحات برياش عريض، يقول ابن سعيد "سمعت أبا بكر الصابوني ينشد الدبَّاج موشحاته غير مرة فما سمعته يقول له: لله درك إلا في قوله قسما بالهوى"[٦٢].

تدور موشحاته التي بين أيدينا حول موضوع واحد، هو، الغزل بالمذكر، ونجده يحاول فيها اصطناع الهجر واللوعة والاشتياق، يقول ابن

ابنُ الصَّابوني الإشبيلي (حياتُه وما تبقَّى من شعره وموشحاته) "جمع وتوثيق ودراسة"

الصابوني:

قســمي بالهوى لذي حِجْرِ

ما لليلِ المشوقِ من فجرِ[٦٣]

حبــذا الفجــرُ ليــس يطَّردُ

مــا لليلــي فيما أظــنّ غدُ

صــحَّ يــاليلُ أنَّــك الأبدُ

والموشحة رائعة، بل أكثر من رائعة، انظر كيف جعلك تشعر باستطالة الليل وتمدده، مستعينًا بأدلة تؤكد صدق مقولته (ليس من فجر- وماله من غد- والليل هو الأبد) ، وأن ليس من صبح يريح كاهله المنهك، فليل المحب بلا آخر.

وتلح عليه معاني الهجر والوحدة، فها هو يُبلي شبابه كله في هوى من لم يبادله حبه، حتى إذا بلغ منه اليأس مبلغا تمنى الموت ليريح ذاته:

أبلـيتُ فــي حُـبِّـك بُــرْدَ الـشبـابْ

ولــم يــزلْ بــردُك مني قـشـيـبْ[٦٤]

إن كـان لا يقضي لـنا بـاقـتـرابْ

ليـت المـنـايـا عـاجـلـت عـن قـريـبْ

وينوع أدواته الأسلوبية في التعبير عن معانيه الغزلية، ومنها، الإفادة من القرآن الكريم في قوله:

قـسـمـي بـالـهـوى لــذي حِـجْـرِ

مـا لـلـيـلِ الـمـشـوقِ مـن فـجـرِ[٦٥]

أو الإتكاء على المبالغة التي تفيد من كم الخبرية:

كم تيَّمت عيناه وكم سبا مرآه من الأمْ[٦٦]

ولم يخلُ توشيحه أيضًا من الصنعة البديعية، على شاكلة قوله"في عذاريك عذرُ من شغفا"[٦٧]، فضلًا عن غرابة اللفظ، فموشحته "بحرُ الهوى بي حَاطْ"[٦٨] التي بنى أقفالها على حرف الطاء فيها تكلف شديد، وتصنع واضح، فضلًا عن ألفاظها التي لا تنسجم مع معجم الموشحات الفني، ويكفيها رداءة أنه جمع فيها بين الإرهاط والأحطاط، ودمياط وسقراط وما كان أغناه عن ذلك.

أما إيقاع توشيحه فالجلي أنه لم يتخلص فيه من براثن العروض الخليلي فموشحاته تجري في الغالب على أوزانه، فموشحته:

مـا حـالُ صَـبٍّ ذي ضنىً واكتئابْ

أنـحـلـَهُ يـــا ويـلـتـاهُ الـطـبيبْ[٦٩]

تجري على زنة السريع"مستفعلن مستفعلن فعلن"، كذلك جاءت موشحته "قسمي بالهوى لذي حجر[٧٠] "على زنة الخفيف "فاعلاتن متفعلن فاعلن"

كما حرص على تجويد مطالعه حتى يضمن لها ذيوعًا وسيرورة وقد حقق أربه، فموشحتاه "قسما بالهوى لذي حجر"و"ماحال صب ذي ضنى" أخذت بألباب الوشاحين لدرجة جعلت لسان الدين بن الخطيب بجلالة قدره يعمد إلى معارضتهما والنسج على نولهما[٧١].

جاءت موشحاته جميعها تامة (ستة أقفال وخمسة أبيات) ، وكانت خرجاتها عامية، بل بها بعض خصائص عامية الأندلس، مثل "المتكلم المفرد في المضارع يكون فعله بالنون بدلًا عن الهمزة"[٧٢]، كقوله نتوب عوضًا عن أتوب: إن كــنتُ أذنبتُ تراني نــتُوبْ[٧٣].

أما منهجي في هذا العمل فقد:

- رتبت نصوصه حسب حروف الهجاء بالنظر إلى حرف الروي مقدمًا الروي المضموم فالمكسور فالمفتوح فالمقيد.
- خرجت الأشعار تخريجًا دقيقًا بقدر ما أسعفتني المصادر.
- استخرجت أوزانها والبحور التي نظمت عليها.
- ضبطت النصوص ضبطًا كاملًا وشرحت مارأيته في حاجة إلى الشرح.
- ذكرت الروايات التي وردت في كل نص من النصوص.
- قدمت المصدر الأقدم على غيره من المصادر.

لعل هذا كل ما استطعت بلوغه بعد جهد ولأي، آمـلًا أن أكون قد وفقت فيما قمت به من عمل راجيا به التقرب إلى الله العظيم، فإن وفقت فمن الله النُجح والتوفيق، وإن أخفقت فمن نفسي والشيطان، فالحمد لله الذي جعل الكمال لله والعصمة لأنبيائه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القسم الثاني

مجموع شعره وموشحاته

أولًا: شعره

الهمزة

(١)

من الكامل

١- ألأن سَرَى لـك بـارِقٌ لا يـهدأ
لـم تَـألُ وجـدًا إذْ بـدا يـتلألأُ

٢- أقْنَا دُمُوعَك صِبغُه من طولِ ما
راعـيْتَه بل سكبُ دَمْـعِك أقـنأُ

٣- أتـراه قد أبدى يـدًا مـخـضُوبـةً
جَـعلتْ لأرضِـك بالتَّحيةِ تـؤمأُ

٤- بـدْرُ الـظَّلامِ ومِسْكَـــةٌ داريَّـــةٌ
مـن تلك أضـوعُ مـاخـبرتَ وأضـوأُ

٥- وتـمرُّ تـخـطُو والشَّبابُ يَهزُّها
فـيـرومُ يـحْكِيها القَضِيبُ فيَخْطَأُ

٦- لـمَّا غَـدَتْ فِرَقاً بأندلسَ العَصَا
فبِكَـفِّ كـلِّ مُـنافِـقٍ مُـتوكَّـأُ

٧- جَمَّـعْـتَها وتـفـرَّقَتْ أشْـيـاعُـهُمْ
نُـعماك لاتنسى وعُـمْـرُك يُـنْـسَـأُ

التخريج:

اختصار القدح المعلى :٧١-٧٢

(٢)

من الكامل

١- قـد كُنْتُ آمـلُ أنْ يُـقَدَّرَ قَبْلَه
يـومِـي فـيُـخْـتَـمُ بـالـجـهـاز حِـبَـائـي

٢- أعْزِزْ بأن عَكَسَ الرَّدى أُمْنِيَّتي
فـخَـتَـمْـتُ فـيـه مـدائـحـي بـرثـائـي

التخريج

تحفة القادم:٢٣٣

المعاني:

١- الجهاز: جهاز الميت أي مايحتاج له، الحباء: العطاء بلا مَنٍّ ولاجزاء.

ابن الصَّابوني الإشبيلي (حياتُه وما تبقَّى من شعره وموشحاته) "جمع وتوثيق ودراسة"

الباء

(٣)

وقال يمدح عزيز بن عبد الملك:

من البسيط

١-أهـلاً بطيْفِ خَـيَـالٍ منك مُنسابِ
أدَال عَتْبك عندي حين إعتابي

٢- لا دَرَّ دَرُّ لـيـالي البُعـدِ من زمــنٍ
يطولُ فيه اجـتـراعُ الصَّبِّ للصّابِ

٣- نابتْ صُروفٌ نَبَا بي عندها وطني
قرعْتُ نابي لـها من رحلِيَ النَّابي

٤- جوَّابة الأرضِ لا ألْوِي على سَكَنٍ
تمضي الرِّكابُ وتجري بي لتَجْوابي

٥- في الفُلكِ أو في ظُهورِ العِيْسِ مُنتقلاً
في مذهلِ اللُّبِّ بين الموجِ واللابِ

٦- لا اسـتَكِـنُّ بكـانُـون لـقِـرِّتــهِ
ولـسـتُ آبَـى من التهجيرِ فـي آبِ

٧- فــكـن بــإدلاجِ تأويـبـي على ثـقـةٍ
من أوبـتـي-شـجـوِ أعـداء-لأحـبـابِ

٨- ويـا مـُعَنَّى بريبِ الَّهرِ يرهبُهُ
لاتبتئِسْ بعدُ من إرهــاقِ إرهـابِ

٩- إن أُغريتْ بك أبكارُ الخطوبِ فَلُذْ
منها بمجدِ أبـي بكر بـنِ خـطَّـابِ

١٠- بالسَّيدِ الأوحدِ النَّدْبِ الذي كَمُلتْ
بـه الـعُـلا بـيـن أخــلاقٍ وأحـسـابِ

١١- يلقى به سائلاً جُودٍ ومعرفةٍ
طَبًا بـتـلــقـيحِ أحـوالٍ وألـبـابِ

١٢- بحرٌ من العلمِ يَسْقِي من يُلِمُّ به
ويُـرسِـلُ الـسُّـحْـبَ للنائي بتَسْكابِ

١٣- وعندمـا راعتِ الــدُّنيا إيــالَتـه
*** .....**

١٤- نام الأنامُ سُكونًا بـالـمُـنَى وهَفَتْ
بالـمالِ هيبةُ غَـمـرِ الـجـود وهَّـابِ

ومنه:

١٥- لولا اعتناءُ عزيزٍ ماعَزَزتُ على
دهـري وقـد بـزَّ لـمَّا عـزَّ أسْــلابي

١٦- تقلَّبتْ حركاتُ الدهر بي غِيَرًا
حـــتَّى كـأنِّيَ منها حَرْفُ إعْـرابِ

التخريج:

الحلة السيراء:٢/٣٠٩-٣١٠.

المعاني:

١- الإعـتـاب: رجـوع المعتوب عليه إلـى ما يرضي العاتب.

٢- الصب: الشجر المر.

٥- اللاب: الأرض التي ألبست حجارة سوداء.

٦-كانون وآب من الشهور السريانية، الأول في قلب الشتاء والآخر في الصيف.

١١- طبا : عالما.

*بياض في الأصل

١٥- أسلابي: ما عليه من ملابس.

(٤)

من الطويل

١- **لقد حجَبَتْ زُجُّ الجواجبِ سَلْوَتي**

فهل لحظُ وَصْفٍ سُمِّيَتْ بالحواجِبِ

٢- **واواتُ أصداغٍ أقـاربُ نسبـةٍ**

لنـوناتها تـُدعى بوصف عقاربِ

٣- **وميمُ فمٍ من تحت صادٍ لشاربٍ**

سُلافًا حـواها حـتمُ صـادٍ لـشـاربِ

التخريج:

تحفة القادم :٢٣٣، فوات الوفيات:٢٨٥/٣، عقود الجمان (مخطوط) : اللوحة٢٦٢.

الروايات:

١- في فوات الوفيات: ومن لحظ هذا بدلًا عن فهل لحظ وصف.

٣- وختم بدلًا عن حتم.

التعليقات:

صاد الأولى حرف الصاد والشارب (الأولى) معروف، أما صاد الثانية فهي العطش والشارب (الثانية) أما تعني النديم المصاحب له في الشرب، أو ربما تكون بمعنى مشروب (اسم فاعل بمعنى مفعول).

(٥)

من البسيط

١- **ألقَتْ إلى الهرب الأعداءُ أنْفُسَها**

وما عَبَيْتَ لها جيشًا سوى الرَّهبِ

٢- **خيرُ الكتائبِ مالم يُغْنِ غايبُه**

وأفضلُ الفتحِ مـا وافى بلا تَعَبِ

التخريج:

تحفة القادم :٢٣٢

المعاني:

١- عبيت: أصلها عبأت بالهمزة وقد تترك، عبيتهم تعبية أي رتبتهم في مواضعهم.

التاء

(٦)

يقول مادحًا مأمون بني عبد المؤمن:

من الكامل

١- **اسْـتَـوْلِ سبَّاقًا على غاياتِـها**

نُـجْـحُ الأمـورِ يـبِـيْـنُ فـي بدآتِـها

التخريج

اختصار القدح المعلى :٧٢، نفح الطيب: ٥١٩/٣.

الدال

(٧)

وله أيضًا: من الطويل

١- **لمن عاصباتٌ فوق نجدٍ تَوقدُ**

تـقـومُ بـهـا أيـدي الـرِّيـاحِ وتـقـعُدُ

التخريج

اختصار القدح المعلى:٧٢.

(٨)

من الطويل

ومن شعره وقد بعث لمحبوبه بمرآة:

١- **بـعـثْتُ بـمـرآةٍ إلـيكَ بـديـعـةٍ**

فأطْلِعْ بسامي أُفقها قمَرَ السَّعْدِ

٢- لتنظُر فيها حُسْنَ وجهك مُنصفًا
وتعذرُنِي فيما أُكِنُّ من الوجدِ
٣- فأرسِلْ بذاكَ الخدِّ لحظَكَ برُهةً
لتجنيَ منه ماجناهُ من الوردِ
٤- مثالُك فيها منك أقربُ مَلْمَسًا
وأكثرُ إحسانًا وأقربُ للعهدِ

التخريج

الأبيات ١-٣ في اختصار القدح المعلى :٧٢، المقتطف :١١٥، والمغرب:٢٦٨/١، واختصار القدح:٧١، ورايات المبرزين:٧٤، والبيتان١-٢ في البدر السافر:٧٣٦/٢، الأبيات ١-٤ في نفح الطيب:٥١٨/٣ (أنفرد المقري بالبيت الثالث).

الروايات

٢- في البدر السافر: وتنظر بدلًا عن لتنظر، وفي المقتطف: أجن بدلًا عن أكن، وفي المغرب: أقاسي بدلًا عن أكن.

٤- في نفح الطيب: وأبقى على العهدِ بدلًا عن وأقربُ للعهدِ.

الراء

(٩)

من البسيط

وقال مادحًا ابن يغمور بمصر:

١- ما بي موارِدُ حُبِّي بل مصادرُه
اللحظُ أولُهُ والخدُّ آخرُهُ
٢- أرسلتُ دَمْعِيَ مرتادا فطَلَّ دمي
روضٌ من الحُسنِ مَطْلُولٌ أزاهرُهُ
٣- رعيتُ في حُسْنِه لحظي فأعقبني
جدبًا لجسميَ ما يرويه هامِرُهُ
٤- وبي وإن لم أكُنْ بالذكرِ أشْهره
بالوصف فيه لفقدِ المثل شاهِرُهُ
٥- ظبيٌ متى مارنا من لحظه وعطا
يشهدْ بذلك لِيتَاهُ وناظرُهُ
٦- أوْجدْتُه في النفادِ العذرَ فاتسعَتْ
له بتسميتي ظَبْيًا معاذرُهُ
٧- يباشِرُ الوشيُ من أعطافه بَشَرا
يكادُ يجرحُه قولي يباشِرُهُ
٨- هو الرِّياضُ ولكِنْ ربَّما كمنَتْ
مكانَ جنته فيه غدائرُهُ
٩- فَحَيِّهُ الشّعرِ ماتنفَكُّ تلدغني
من دونه وهي من دوني تُساورُهُ

التخريج:

الأبيات:١-٩ البدر السافر :٧٣٦/٢-٧٣٧، الأبيات:١، ٢، ٧، ٨ الوافي بالوفيات:٩٦/٢، الأبيات: ١، ٧، ٨ مسالك الأمصار : ٣٦٠/١٧.

الروايات:

١-في الوافي بالوفيات ومسالك الأبصار: اللحد بدلًا عن الخد.

٢- في الوافي بالوفيات: طرفي بدلًا عن دمعي.

٧- في مسالك الأبصار: يخرجه بدلًا عن يجرحه.

٨- في مسالك الأبصار:الحديقة بدلًا عن

الرياض، وفي مسالك الأبصار: مكنت بدلًا عن كمنت، وفي الوافي بالوفيات: حياته بدلًا عن جنته، وفي مسالك الأبصار: حيَّاتها بدلًا عن جنته، وفي الوافي والمسالك: منه بدلًا عن فيه.

المعاني:

عطا الغزال: تطاول للشجر لينال منه.

الليتان:صفحتا العنق.

(١٠)

وقال واصفًا العذار:

من مخلع البسيط

١- رأيتُ في خدِّه عِذارا
خَلعْتُ في حبه عِذاري

٢- قد كتب الحُسنُ فيه سطرا
ويولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ

التخريج

تحفة القادم :٢٣٣، فوات الوفيات:٢٨٥/٣، عقود الجمان (مخطوط) : اللوحة٢٦٢.

(١١)

من مجزوء الرمل:

١- ليس لي من صَفْحِ حاجر
ما سوى سَفْحِ المحاجِرْ

٢- قد أحَالَتْ منه أعصا
رٌ وعَفَّتهُ أعاصِرْ

٣- عامِرٌ بالوحشِ بعد الـ
أُنْسِ من غِزلانِ عَامِرْ

٤- أشدُو بالإعلام صبًا
جَفْنُه بالماءِ مائِرْ

٥- قلبُهُ بالوجد ذاكٍ
إن شدا بالعهدِ ذاكِرْ

٦- أنا بالحَوْباء ساخٍ
في هَواهُ وهو ساحِرْ

٧- أين ساهٍ في كَراه
من مُديمِ البَثِّ ساهِرْ

٨- شَفَّ جسمي منه ظَبْيٌ
فاتِرُ الألحاظِ فاتِرْ

٩- فَضَحَ الغِزلانَ عاطٍ
منه والبُستانُ عاطِرْ

١٠- ليس يَبْلى فيه حُبِّي
فيه إذ تُبْلى السَّرَائِرْ

التخريج

اختصار القدح :٧٢.

المعاني:

٦- الحوباء:النفس.

الصاد

(١٢)

ومن شعره قوله بإشبيلية مادحًا الأمير الحفصي قبل وفادته عليه بتونس:

من الطويل

١-شَخَصْتُلعزمِالبَيْنِفاخْتَرمَتْشَخْصي
زِيادةُ وَجْدٍ تنهكُ الجسمَ بالنَّقْصِ

ومنها:

٢- وقــد كُنتُ سُلطانًا عليها مُـحَكَّما
فما نلْتُ للرُّقبى سوى خُلسِ اللِّصِّ

٣- كــأنَّ الليالي لـم تكُنْ قَطُّ أرخَصَتْ
بنيلِ الـمُنى مــن ذلك البَشَرِ الرَّخصِ

ومنها:

٤- لــقد برَّحَــتْنِـي النــائباتُ بِعَيْثِهَا
فــمِنْ ألـمٍ تـُدنـي ومن أملٍ تُقصي

٥- سأقــتصُّ للملك الهمام شِكيَّتي
فــيبسِطُ لي مـــــن صَرْفها يدَ مُقْتَصِّ

٦- أبـــــي زكريــاء الـمُهَذَّبِ مـــن أبي
مُـحَمَّدٍ النامي لـمــجدِ أبـــي حفْصِ

٧- أميرٌ يُطيعُ اللهَ مـــن قــــد أطاعه
ويعصي حُــدودَ الله مــَنْ أمْرَهُ يعصي

٨- فكم تَحرصُ الدُّنيا لتحظى بودِّه
فيصرفُ وجهَ الزُّهدِ عن رغْبَةِ الحرصِ

٩- يُشَيِّدُ أركــانَ الـمعــالي بـراحـةٍ
بناءُ العُلا مـــن سعيها مُحكمُ الــرَّصِّ

١٠- وتضطرُ أوصـافُ الـمـحامدِ عنده
إلى خَرَسِ الوصَّافِ أو كذِبِ الخِرْصِ

١١- فيستغرِقُ الرَّاجي الأياديَ من يَدٍ
ويستجمعُ الرَّامي العــوالمَ في شخْصِ

١٢- وإن كان هذا الشّقُّ منبتَ شعبتي
لأرضى بذاك الشّقِّ حظي أو شِقْصِي

١٣- وتؤنسني ذكــرايَ تـونسَ آمـلا
على بعدِ مَهوى أرضِ تُونس من حِمْصِ*

١٤- ستذكرني آفــاقُ أنــدلسٍ بــما
جَلوتُ بها من راقِ حَـسَـنِ النَّـصِّ

١٥- فقد بخَسَتْ بالغمط حَقِّي كأنَّها
رأتْ أن عينَ الشّمسِ تــلحقُ بالبَخْصِ

١٦- وأهــوي إلى ذاك الــجنابِ ركائبي
بكُلِّ نَحُوصٍ عندها السَّهلُ كــالنُّحْصِ

١٧- أقسِّمُ فرقَ الليلِ عن سُنَّةِ الضحى
وأهبطُ خَصْرَ القاعِ من كَفَلِ الدَّعْصِ

١٨- إلى أن أرى وجها إذا شمتُ بَرْقَه
رأيتُ جبينَ البدر مُكتملَ القُـرْصِ

التخريج

الأبيات:١-١٨ في تحفة القادم :٢٣٠-٢٣١، البيتان:١٧-١٨في فوات الوفيات:٢٨٥/٣، البيت ١٣ في اختصار القدح:، البيتان:١٧-١٨، عقود الجمان (مخطوط) : اللوحة٢٦٢.

الروايات

١٣- في اختصار القدح المعلى: ويؤنسني بدلًا عن تؤنسني، ودائمًا بدلًا عن أملًا.

١٨- وفي فوات الوفيات: برقًا بدلًا عن وجهًا، ووجهه بدلًا عن برقه.

المعاني:

الرقبى : الفرصة

الخرص : الخرز

الشقص: الحظ أو القليل

البخص: بخَصَ العين فقأها

نحوص: الأتان الوحشية

النحص: أعلى الجبل وسفحه

الدعص : الرمل

*حمص: يقصد إشبيلية

(١٣)

وقال مستعطفًا الوزير ابن صاحب الرد بالمودات القديمة:

من الكامل

١- أتُراكَ تَرْضى أنْ أعيشَ مُنَغَّصَا

إن لم تُنِلْ أمَلاً فَهَبْ لي مَخْلصَا

٢- مازال حُسَّادي بسترِ جَنابِكم

حتَّى سَعَوْا في رفْعةٍ فَتَقلَّصَا

٣- نظروا إلى وجهِ الجميل يَروقُ لي

فسعَوْا إلى أن صارَ نحويَ أبْرَصَا

التخريج

اختصار القدح : ٧١.

القاف

(١٤)

وقوله في غلام بحلة حمراء:

من المنسرح

١- أقْبَلَ في حُلَّةٍ مُوَرَّدَةٍ

كالبدرِ في حُلَّةٍ من الشَّفَقِ

٢- تَحسَبَهُ كلَّما أراقَ دمًا

يَمْسَحُ في ثوبه ظُبَا الحَدَقِ

التخريج

اختصار القدح المعلى:٧٢، رايات المبرزبن: ٧٤، المغرب:٢٦٨/١، البدر السافر:٧٣٦/٢، نفح الطيب:٥١٨/٣.

الروايات

٢- في رايات المبرزين:راق دمي، وفي نفح الطيب: أراق دمي.

الكاف

(١٥)

من المنسرح

١- يسقِي الرَّحيقَ المختومَ من فمه

ختامُهُ من عِذارِه مِسْكُ

٢- أسبلَ دمعي لصدره دُررا

جسمي لفرطِ الضَّنى لها سِلْكُ

التخريج

تحفة القادم :٢٣٣، فوات الوفيات:٢٨٥/٣، عقود الجمان (مخطوط) : اللوحة٢٦٢.

الروايات

١- في فوات الوفيات:يده بدلًا عن فمه.

٢- في عقود الجمان: أسيّلُ بدلًا عن أسبل، وفي فوات الوفيات: من صده بدلًا عن لصدره، وفي عقود الجمان:لصده بدلًا عن لصدره.

اللام

(١٦)

من الطويل

١- وعذَّبني خَدٌّ به المسكُ باقِلُ

كأنّيَ في وصفيه للعجزِ باقِلُ

٢ - أمَـا وعِـذارٍ فـوق خـدِّك إنــه
لأنكأُ فـعْلَيْ مُقلتيك لفــاعِـلُ

٣- ومـا خيَّـلتْ نفسي إلـيَّ بأنه
ستفعلُ أفـعـالَ الـسُّـيـوفِ الحمائِلُ

التخريج

تحفة القادم :٢٣٣، البيتان ٢-٣ فوات الوفيات:٣/٢٨٥، المقتضب :٢١٣، البيت الثالث في عنوان المرقصات :٧٢، البيتان ٢-٣ في عقود الجمان (مخطوط) : اللوحة٢٦٢.

الروايات

٢- في فوات الوفيات وعقود الجمان: خديك بدلًا عن خدك، وفي المقتضب وفي عقود الجمان:لإنكاء بدلًا عن لأنكأ.

(١٧)

وقال وقد كلفه أحد الفقهاء النظم في ربط أصل من الفقه في الإقالة* والاستقالة.

من البسيط

١- إمَّـا أردتَ صحيحَ الـبيعِ تعلمُهُ
من جنسِ فــاسدِهِ فاسْتَفْتِني وَسَــلِ

٢- إنْ وافَقَ الثَّمنُ المثمونَ فاجْتَمَعَا
في الجنسِ كانا على قِسمَيْنِ في العملِ

٣- فإنْ يكُـنْ رَبَوِيًّا لـم يَــجُزْ أبــدا
إذا تــفــاضَــلَ مُــنْــسَأً إلـى أجــلِ

٤- وإن يكُنْ ضِدَّ هذا فلتَكُنْ أبدا
مــن أن يُبــاعَ بـتأخيرٍ علـى وَجَـلِ

٥- وبِــعْهُ نـقدًا بـفَضْلٍ أو مُماثلةٍ
واسْلُكْ سبيلي فــهذا أوضَـحُ السُّبُلِ

٦- وإن هما افْتَرَقا في الجنس واخْتلفا
لم يخْلُوا أن يكـونـا سـاعـةَ البَدَلِ

٧- إمَّا طعامينِ أو عَيْنَينِ قــد حضرا
أو غـيرَ ذلــك هــذا الـرأيُ لـم يَفَلِ

٨- فإنْ يَكُنْ ذاك عينا لم يكُنْ أبدا
فـيـه النَّــسـءُ بـوجهٍ فـاعتقِلْ هَــمَلِ

٩- ومِثْلُه كُــلُّ مطعومٍ سمِعْتَ بـه
فَلْتَسْرِ فـي أثَري تـأمَنْ من الـزَّلـلِ

١٠- ومـاعدا ذَيْنِ كـان البيعُ أجمَعُهُ
فيه يـجـوزُ فــلا تَرْكَنْ إلـى الــعِلَلِ

١١- إلا إذا كــان ماتُعطي إلى أجلٍ
من جنسِ ما بعْتَ فاحْذَرْ ذاك وامْتَثِلِ

١٢- أو كان أكلا ولم يقْبِضْه منك فلا
تزِدْهُ أكـلا نَسِيئًا خُـذْ بـذا وقـلِ

١٣- وإن يكنْ ذاك مـطعومًا ويقبضُهُ
فــلا تــرُدَّ طـعــامــا مُنْسِئًا تَـحُـلِ

١٤- وإن يكنْ ربويًا في الطعام فـلا
تــزِدْهُ من جنسهِ حُيِّيتَ من رَجُـلِ

١٥- وفي المزيدِ من الـمُبْتَاع تقبِضُهُ
على الإقـالـةِ أصـلٌ غيرُ ذي دَخَـلِ

١٦- مـن الـمبيعاتِ معهـودٌ يُعَيِّنُها
وضدُّها فــاستمعْ قـولًا بلا خَطَلِ

١٧ - وما تَعَـيَّنَ مـنـه قد يُبَـاعُ إلى
حـينٍ ونَقْـد وعَقْدُ البيعِ لم يَزَلِ

١٨- فإن يَكُنْ ثمنُ الـــمُبْتاعِ مُنْتَقَدًا

لا زلـتَ تُنْقَدُ ما أحْبَبْتَ في جَـذَلِ

١٩- فاحْسِبْهُ بيعًا كباقي البيعِ يُفسِدُهُ

ما يُفسِدُ البيعَ من وَهْنٍ ومن خَلَلِ

٢٠ - وإن يكنْ غيرَ منقُودٍ فيُنْظَرُ في

زيـــادةِ المشتري فـــي كُـــلِّ مُحْتَمَلِ

التخريج

الذيل والتكملة: مج ٤/٦٤-٦٥.

الإقالة في اصطلاح الفقهاء هي: رفع العقد وإلغاء حكمه وآثاره بتراضي الطرفين[٧٤].

المعاني:

منسأ: النسأ هو التأخير

يفل:يثلم

همل :جمع هامل وهي الأبل الضالة، وأراد بها هنا الناجية فاعتقل همل؛ أي أنج بهذا الرأي

دخل: العيب والغش والفساد.

(١٨)

من البسيط

١- والبِيضُ تَـسْكُنُ أوصالَ الكُمـاةِ وقد

شَحَـا لها الضَّرْبُ كـالأفواه للجَدَلِ

٢- إذا المَقاتِلُ عن قصدِ الرَّدى كَمِهَتْ

سَوَّى لها الطَّعْنُ مثل الأعينِ النُّجلِ

٣- وللشفارِ شُروعٌ في الدُّروعِ كَما

تواتَـرَ الطَّيـرُ فـي الغُـدران للـنَّهَلِ

التخريج

تحفة القادم :٢٣٠.

المعاني:

أوصال: المفاصل

الكماة :مفردها كمي وهو الشجاع

شحا :فتح فاه

كمهت:عميت.

(١٩)

وقال مادحًا الأمير أبازكرياء الحفصي وقد التقاه بمليانة:

من البسيط

١- اللهُ بـاركَ فـي حِـلٍّ ومُرتحَـلٍ

يـا مُعْلِيًا مِلَّـةَ الإسـلام فـي المِلَلِ

٢- فسرتُ والسَّعدُ يدعوني ويُرشدني

إنَّ الـسَّـعـادةَ فـي مَـلْـيَـانـةٍ فَـجُلِ

التخريج

اختصار القدح المعلى:٦٩، والبيت الثاني في المغرب :٢/٢٦٨، الروض المعطار :٥٤٧.

الروايات

١- في الروض المعطار :جارك بدلًا عن بارك.

٢- في الروض المعطار: وينشدني بدلًا عن ويرشدني، وفَمِلِ بدلًا عن فجل.

الميم

(٢٠)

وقال بمجلس المعتضد الباجي وقد أُحضر

هنالك عنوانٌ من سكة الذهب والفضة التي كتب عليها اسمه:

من السريع

١- قد فَخرَ الدِّينارُ والدرهمُ
بما على ذين لكم مِيسَمُ

٢- كلاهما يفصِحُ عن شكركم
وكُلُّ جُزءٍ منه فَرْدِ فَمُ

٣- كأنَّها الأنجمُ والبعدُ قد
حقَّق لي بأنها الأنجُمُ

التخريج

اختصار القدح:٧٠، ونفح الطيب:٣/٥١٩.

الروايات

٢- في نفح الطيب: مجدكم بدلًا عن شكركم.

٣- في نفح الطيب: الأرجُمُ بدلًا عن الأنجم (الثانية).

النون

(٢١)

وقال في فتى يهواه اسمه علي:

من الهزج

١- أبا حَسَنٍ أبا حَسَنِ
بُعادُك قد نَفَى وسَنِي

٢- وما أنسى تذكُّره
فهل أنسى فيذكرني

التخريج

نفح الطيب:٤/١٦٠.

(٢٢)

وقال في الباجي المعتضد بعد عودته سالمًا من النصارى:

من الكامل

١- عَظُمَ امْتِنَانكمُ على الإيمان
وعدا عديدُكُم على الصُّلبانِ

التخريج

اختصار القدح المعلى:٧٢.

ثانيًا : موشحاته

(٢٣)

ما حالُ صَبٍّ ذي ضنىً واكتئابْ
أنحلَهُ (١) يا ويلتاهُ الطبيبْ
عامَلَه محبُوبُه باجتنابْ
ثم اقْتدَى (٢) فيه الكرى بالحبيبْ (٣)
جفا جُفوني النَّومُ لكنني
لم أبْكِهِ (٤) إلا لفقدِ الخيالْ
وذا الوصالُ (٥) اليوم قد عزَّني (٦)
منه كما شاء وشاءَ (٧) الوِصالْ
وليس بالمُبصر (٨) من صدَّني
بدعوةِ (٩) الحقِّ ولا بالمثالْ (١٠)
وليس لي مُلْقٍ (١١) إليه خطابْ
إلا لسان الريح عند (١٢) الهبوبْ
ولا مردٌ لي بِرَدِّ الجوابْ
إلا الصَّبا عاطرةً والجنوبْ
من لي به كالبدرِ في حسنهِ
لو لم يكنْ كالبدر في بُعْدِهِ

لـم يـعتبِ الـــرَّوضُ على غصنهِ
حتى رأى مـا اهـتـزَّ [١٣] مـن قَـدِّهِ
صفحتُ [١٤] في قتلي عن [١٥] جفنهِ
وشـــاهـدي يـنـطـــقُ [١٦] فـي خَـدِّهِ
أجرى دمي عمدا [١٧] ولما استرابْ
من مصلتِ [١٨] العزم لثاري طلوبْ
أجراه [١٩] من عارضه في صحابْ [٢٠]
حِلٌّ وبِـلٌ [٢١] لك نـفسُ الـكئيبْ
لهفي عـلى دهـــرٍ جـراهُ البعاد
عـزَّ عـلى طالبه مطلبُـه
لـــولا تـــرجي مـثله أن يـُعاد
مـــا عشت إلا ريثـما أطلُبه
إذ نحن في شملِ الهوى والـوداد
لا يذنبُ الـدَّهـرُ ولانعتبُـــه
بينـــاه يهمي مستـهـل الـرَّبابْ
قَطْرُ الأماني فـي بقاعِ القلوبْ
جـاءت أمـورٌ لـم تكن في حسابْ
الـلـه للظـالـم منـا حسيـبْ
لـمـثـل حـالـي يـشـفـقُ الـعـاذل
يـانـفـسِ يـامـرحـمـةَ الـعُـذَّلِ
صبـري على حكم الـهـوى راحـل
ولـــوعـــةٌ حـلَّـتْ ولـــم تـرحـلِ
جُـــدْ بـالـرضـى يـأيـهـا الـبـاخِـل
لـولا اضـطـرارُ الـحـب لـم تـسـألِ

أبـلـيـتُ فـي حُـبِّـك بُـرْدَ الـشـبـابْ
ولـــم يـــزلْ بـــردُك مـنـي قشيبْ
إن كـان لايُـقـضـي لـنـا بـاقـترابْ
ليـت المـنـايـا عـاجـلـت عـن قـريبْ
يـا غـايـتـي مـا الـذنـبُ إلا إليـك
غـلـطـتُ لـيـس الـذنـب إلا إلـيْ
رضـيـتُ والـعـتـبُ جـمـيـعـا لـديك
سـخـطـتُ والـعـتـبـى جـمـيـعـا لـديْ
أليـس ذا بـالـلـه عـارا [٢٢] عليك
أن تنقِمَ الـحُسادُ طُـــرًّا عـلـيْ
حبيب عبد الله كم [٢٣] ذا العتابْ
إن كـنـتُ أذنبتُ تراني نـتُوبْ [٢٤]
قد أذنب أمسِ العبدُ [٢٥] واليومَ تابْ
والتوبَ تمحِي يا حبيبُ [٢٦] الذنوبْ

التخريج

وردت كاملة في عدة الجليس:٢٩-٣٠، وورد القفل الأول (المطلع) والدور الذي يليه في:أزهار الرياض٢/٢١٢، ومقدمة ابن خلدون:٢/٤٣٠، ونفح الطيب :٧/، والمسلك السهل: ١١٢، بينما أخل صاحب العذارى المائسات بالدورين الثالث والرابع والقفلين الرابع والخامس، كما أورد صاحب العذارى المائسات السمط (وليس بالمبصر ...) قبل السمط (وذا الوصال....) : ٢٧-٢٨.

الروايات

١- في أزهار الرياض، ومقدمة ابن خلدون ونفح الطيب والمسلك السهل والعذارى المائسات: (أمرضه) بدلًا عن (أنحله).

٢- في العذارى المائسات: (اقتضى)) بدلًا عن (اقتدى).

٣- في العذارى المائسات: (النحيب) بدلًا عن (بالحبيب).

٤- في العذارى المائسات: (أرثه) بدلًا عن (أبكه).

٥- في مقدمة ابن خلدون ونفح الطيب والمسلك السهل والعذارى المائسات: (ذو الوصال) بدلا عن (ذا الوصال).

٦- في مقدمة ابن خلدون ونفح الطيب والمسلك السهل: (غرَّني) بدلا عن (عزني)، وفي العذارى المائسات (عازني).

٧- في مقدمة ابن خلدون: (وساء) بدلا عن (وشاء).

٨- في مقدمة ابن خلدون ونفح الطيب وأزهار الرياض والمسلك السهل: (فلست باللائم) بدلا عن (وليس بالـمُبصر).

٩- في مقدمة ابن خلدون ونفح الطيب وأزهار الرياض والمسلك السهل: (بصورة) بدلا عن (بدعوة).

١٠- في مقدمة ابن خلدون ونفح الطيب وأزهار الرياض والمسلك السهل: (بالمحال) بدلا عن (المثال).

١١- في العذارى المائسات: (مهد) بدلًا عن (ملق).

١٢- في العذارى المائسات: (إلا السوافي عاطرات) بدلا عن (إلا لـسـان الـريح عند)

١٣- في العذارى المائسات: (ما اهتز) بدلًا عن (الزهر).

١٤- في العذارى المائسات: (صفحت) بدلًا عن (طمعت).

١٥- في العذارى المائسات: (عن) بدلًا عن (على).

١٦- في العذارى المائسات: (ينظر) بدلًا عن (ينطق).

١٧- في العذارى المائسات : (دمعا) بدلًا عن (عمدا).

١٨- في العذارى المائسات: (مقلة) بدلًا عن (مصلت).

١٩- في العذارى المائسات: (أخفاه) بدلًا عن (أجراه).

٢٠- في العذارى المائسات: (حجاب) بدلًا عن (صحاب).

٢١- في العذارى المائسات: (خل ويا مالك) بدلًا عن (حل وبل له).

٢٢- في العذارى المائسات: (عار) بدلًا عن (عارا).

٢٣- في العذارى المائسات: (حبيب عُد إلى متى) بدلًا عن (حبيب عبد الله كم).

٢٤- في العذارى المائسات (أتوب) بدلًا عن (نتوب).

٢٥- في العذارى المائسات: (أذنـب عبدٌ أمس) بدلًا عن (قد أذنب أمسِ العبدُ).

٢٦- في العذارى المائسات: (يمحو يا حبيبي) بدلًا عن (تمحِي يا حبيبُ).

المعاني:

*حِلٌّ وبِلٌّ : أي طَلْقٌ.فالحِل هو الحلال، والبِل هو المباح (حل وبل من الإتباع).

(٢٤)

قسمي [١] بالهوى لذي حِجْرِ
ما لليلِ المشوقِ من فجرِ
حبذا [٢] الفجرُ [٣] ليس يطَّردُ
ما لليلي فيما أظنّ غدُ
صحَّ يا ليلُ أنَّك الأبدُ
أو قُصَّت [٤] قوادمُ النَّسْرِ
أو نجومُ [٥] السماء لا تسرِي
لا تعدني يا ليلة الشجن
بتُّها دون وجهك الحسن
ذا جفون عتت على الوسن
مهتدي الدمع حائرُ الفكرِ
لا تبت مثلها أبا بكرِ
أين منها أضدادها الأُخرُ
إذ سميري من وجهك القمرُ
وتناهى عن طيبك السّحرُ
هي في الدهر ليلةُ القَدْرِ
جاز منها على المنى قدري
يا طُبيريُّ إنَّ أجفانَك
قتلتْ بالفُتور هيمانك
أنا والله أرضى عدوانك
ربي هبْ لي من كان من وزرِ
في دمي ثم هبْ لي أزري
في عذاريك عذرُ من شغفا
كلَّفا كل من سلا كلفا
حسبُ قلبي كما هوى وكفى
وش نُقُلَّك وربَّما تدرِ

يخفى.....*

التخريج

وردت كاملة في عدة الجليس :١٦٠-١٦١، بينما ورد المطلع وحتى القفل الثاني في المقتطف من أزاهر الطرف:٢١٦، وفي أزهار الرياض : ٢١٢/٢، وفي مقدمة ابن خلدون :٤٣٠/٢، وفي نفح الطيب:١٠/٧، وفي المسلك السهل :١١٢.

الروايات

١- في المقتطف وأزهار الرياض ومقدمة ابن خلدون ونفح الطيب والمسلك السهل: (قسما) بدلًا عن (قسمي).

٢- في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض والمسلك السهل: (جمد) بدلًا عن (حبذا) ، وفي المقتطف ونفح الطيب: (خمد) بدلًا عن (حبذا).

٣- في المقتطف ومقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض ونفح الطيب والمسلك السهل: (الصبح) بدلًا عن (الفجر).

٤- في مقدمة ابن خلدون: (قطفت) بدلًا عن (قصت)، وفي أزهار الرياض والمسلك السهل: (فقصت)، وفي المقتطف وأزهار الرياض: (تقضَّت).

٥- في أزهار الرياض ومقدمة ابن خلدون ونفح الطيب: (فنجوم)، وفي المقتطف: (أم نجوم)

*بياض في الأصل

(٢٥)

بحرُ الهوى بي حَاطْ وماله من شَاطْ[١] فاحطُطُ

وللأسى إفراطْ والحبُ ذو إقساطْ لا يقسِطُ

بي شادنٌ أغيدْ يهتزُّ في المِئْزَرْ هزَّ القنا

أعطافُهُ تنفُد من خَصْرِه المُضْمرْ لمَّا انْثَنى

نارُ الحشا أوقَدْ بلحظه الأسْحَرْ لمَّا رنا

كالمُرهفِ القطَّاط[٢] ظُباه في الأرهاط.....*

بين الحشا خطَّاط فياله من سَاط إذ يفرطُ

كم تيَّمت عيناه وكم سبا مرآه من الأممْ

كم زَهَتْ خدَّاه جلَّتْ عن الأشباه من بدرِ تَمْ

فالشّهدُ من ذكراه .....* طيباً وَشَمْ

محاسنُ الأسباطْ تضمُّها أسماطْ[٣] مفسَّطُ

من حُسنهِ الإفراطْ وحَلْيُه الأنماطْ[٤] تُستنبطُ

قد جَلَّ عن نِدِّ جمالُ إبراهيمْ وعن نُدود[٥]

مهفهفُ القَدِّ طاوي الحشا ناعمْ بين البُرُود

يفترُّ عن عقدِ من لؤلؤ باسمْ عذبٍ بَرُود

لله من أسماط رِضَابُه الإرساط[٦] لو يَرْهطُ[٧]

أنفاسهم لو ساط تلت لها أحطاط[٨] إذ يبسطُ

لواعجُ الحبِّ قد أكملت[٩] قلبي من الأسى

وأنت ياحِبِّي تدينُ بالعتب فما عسى

لمغرَمٍ صَبٍّ ولحظك المصبي قد أيأسا

وداخل الفسطاط في الشرب من دمياط مُسَفْسَطُ[١٠]

كم أعيا من بقْراطكم أظما من سُقراط وأرسْطُ[١١]

لما برى الوجدُ فؤاديَ الهائمْ ولم يفِ

وشفَّني البُعْدُ ولم يكن راحمْ لمدنفِ

ظلت به أشدُ وفي الحشا جاحمْ[١٢] لا ينطفِ

ناديتُ في الأسماط نَعْشَق صبي خيَّاط أم أخيطُ

مما يخيط أنماط عتنون بالفراط[١٣] منفَّطُ

التخريج

عدة الجليس :٢١٣-٢١٤

المعاني والتعليقات:

١- شاط: شاطىء

٢- في الأصل :الفطاط (بالفاء) والمعنى لا يستقيم وصوابها القطاط وهو القاطع .

*بياض في الأصل

*بياض في الأصل

٣- الأسماط: جمع سمط وهو الخيط الواحد المنظوم مادام فيه خرز.

٤- الأنماط: جمع نمط، وهي الثياب المصبغة بالألوان.

٥- ندود ليس جمعا لند، بل جمعه أنداد.

٦- يقصد بها - بحسب السياق- الخمر، ولم أجدها على هذه الشاكلة ولعله أراد الرساطون وهو شراب يتخذ من الخمر والعسل.

٧- يرهط:عظم اللقم وشدة الأكل واستعاره هنا للشرب.

٨- أظنه أراد الحطء، وهو شدة الصرع، فحرارة الأنفاس ترسل سوطا (لو ساط) يصرعك.

٩- قرأها المحقق أكملت وصوابها أكمدت.

١٠- مسفسط : من السفسطة عند الفلاسفة، أو ربما أخذها من الأسفنط وهو ضرب من الشراب.

١١- أرسط: أرسطو.

١٢- الجاحم: النار المتقدة.

١٣- هكذا في الأصل وأظنها يُعْنَون بالقِراط، والقراط: المصباح، وهو ينسجم مع الكلمة التي تليها منفط أي به نِفْط (زيت).

الهوامش

(١) مال معظم مترجميه إلى اختصار اسمه بمحمد بن أحمد بن الصابوني، بينما أورد الأدفوي اسمه كاملًا على نحو ما ذكرنا، في مقابل ذلك خالف صاحب المقتضب كل مترجميه فأسماه محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد الصيرفي الصابوني، وأغلب الظن أنه وهم مرتين، الأولى في اسمه، والثانية عندما أسماه الصيرفي بدلًا عن الصدفي. انظر في ترجمته: تحفة القادم: ٢٣٠، اختصار القدح المعلى: ٦٩، المغرب في حلى المغرب: ٢٦٨/١، رايات المبرزين: ٧٤، المقتضب: ٢١٣، الذيل والتكملة: ٦٤/٤، فوات الوفيات: ٢٨٤/٣، الوافي بالوفيات: ٩٦/٢مسالك الأبصار: ٣٦٠/١٧، البدر السافر: ٧٣٦/٢، المقفى الكبير: ١٨١/٥، الأعلام: ٣٢٠/٥.

(٢) الذي يدفعنا لهذا الاعتقاد أسباب منها، أنه تتلمذ علي يدي ابن زرقون المتوفى سنة ٥٨٦هـ وروى عنه، كما تتلمذ على يديّ أبي علي الشلوبين (٥٦٢-٦٤٥هـ) وأبي الحسن الدباج (٥٦٦- ٦٤٦هـ) فالأول رافقه زمنًا طويلًا، كذلك لابد أن يكون أصغر سنًا من الشلوبين والدباج بصورة تتيح له فرصة التلمذة على يديهما، كما أنه كان صديقًا للطبيب ابن عتبة الإشبيلي الذي توفي في العام الذي اخترمت فيه المنية ابن الصابوني٦٣٦هـ وكان يناهز الستين، فمولده إذا كان في حدود سنة ٥٧٦هـ تقريبًا يمكننا إذا أن نقدر- تقدير الظن- أن ابن الصابوني- تقريبًا- ولد بعد سنة ٥٧٠هـ، وهذه سن تتيح له فرصة أن يكون تلميذًا للشلوبين والدباج من جهة وصديقًا لابن عتبة من جهة ثانية.

(٣) اختصار القدح المعلى :٦٩.

(٤) نفح الطيب:٥١٩/٣، أسمى المقري أباه الفقيه أبا العباس أحمد بن الصابوني، لكن- للأسف الشديد-لم نعثر على ترجمة له الرغم من التمحيص والتنقير في كتب التراجم المتنوعة.

(٥) أبو علي عمر بن محمد الشلوبين، كان في العربية بحرًا لا يجارى وحَبْرًا لايبارى، تصدر لإقراء النحو نحوًا من ستين عامًا، وكان خاتمة أئمة النحو.انظر ترجمته في: اختصار القدح المعلى: ١٥٢، الديباج المذهب: ٧٨/٢.

(٦) أبوالحسن علي بن جابر الدبَّاج: تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية نحوًا من خمسين سنة مع الدين والصلاح والهدي الحسن.انظر ترجمته في: اختصار القدح المعلى: ١٥٥، الرايات:٦٢، المغرب:٢٦٠/١، صلة الصلة: ٣٠١.

(٧) ابن زرقون: هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد (٥٠٢-٥٨٦هـ) كان محدثًا مسندًا عالي الرواية، ثقة، فقيهًا مشاورًا، حافظًا، بصيرًا بأحكام القضاء، وقورًا، متين الدين، أنفق عمره في سماع الحديث وتدريس المذهب المالكي، يقول الصفدي: كان مسند الأندلس في وقته" انظر: بغية الملتمس: ١١١/١، التكملة ٦٣/٢، الوافي بالوفيات ٨٦/٣، النجوم الزاهرة ١١٢/٦، شجرة النور الزكية: ٢٢٨/٢.

(٨) انظر القصة في:اختصار القدح المعلى:١٥٢، المقفى الكبير :١٨٢.ويبدو أن هذا اللقب الذي خلعه عليه أستاذه قد لصق به، يقول صديقه ابن عتبة الإشبيلي له مرة:

يـاعَيْـرَ حِـمْـصٍ عيـرتْـكَ الحميرُ

بـأكـلـك الـبـرَّمـكـانَ الـشَّـعـيـرِ

انظر القصة في نفح الطيب:٥١٩/٣ .

(٩) أبو العُلَى إدريس بن أبي يعقوب المنصور بويع بالخلافة سنة ٦٢٤هـ وتوفي سنة ٦٢٩هـ. انظر أخباره في البيان المغرب:٣٩١/٣ وما بعدها.وقد نبه محققو البيان المغرب إلى أن اسمه قد ورد في بعض المصادر أبو العلاء وهو خطأ.

(١٠) المعتضد الباجي :هو أبو مروان أحمد بن محمد الباجي ملك إشبيلية:بايعه أهلها سنة٦٢٩هـ فامتنع إلى أن جاءته بيعة قرمونة في العام التالي فمد يده مبايعًا وبقي أميرهم حتى قُتل سنة ٦٣٣هـ.انظر البيان المغرب: ٤١٧/٣ و٤٥٨.

(١١) اختصار القدح :٧٠.

(١٢) أبو بكر عزيز بن عبد الملك المُرسي (٥٦٩-٦٣٦هـ) كان وجيه أهل بلده، وصدرها المعظم، كان زاهدا ناسكا عابدا فاضلا متقللا من زاد الدنيا حريصا على نشر العلم حتى إذا امتحن برياسة بلده، نكص على عقبيه، وخاض في سفك الدماء، واستحل المحظورات واستصحب هذا الحال حتى قُتل سنة ٦٣٦هـ"انظر ترجمته في التكملة:٤١/٤، المغرب: ٢٥٢/٢، الذيل والتكملة: ١٢٠/٣.

(١٣) الحلة السيراء: ٣٠٩/٢.

(١٤) أبو زكريا الحفصي (٥٩٩-٦٤٧هـ) مؤسس الدولة الحفصية بالمغرب، بُويع مرتان: الأولى سنة ٦٢٥هـ والثانية سنة ٦٣٤هـ، كان فقيهًا أديبًا وكان معدودًا من العلماء ومن الشعراء وله شعر بليغ. انظر: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية: ٥٤، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية: ١٠٧.

(١٥) مليانة: مدينة من أرض المغرب-بدولة الجزائر الآن- بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف، وهي ذات أشجار وأنهار.انظر الروض المعطار: ٥٤٧.

(١٦) النص (١٩) في مجموع شعره.

(١٧) اختصار القدح المعلى:٦٩، وفي الروض المعطار: ٥٤٧، قصة التقاه بالسلطان الحفصي أبي زكريا ملك إفريقية كما ينعته الحميري.

(١٨) ابن عتبة :هو أبو الحجاج يوسف بن عتبة الإشبيلي، كان طبيبا أديبا ووشاحا مطبوعا، هاجر - بعد سيطرة ابن هود على إشبيلية- إلى إفريقية ثم إلى مصر كان من جلساء ابن يغمور، توفي سنة ٦٣٦هـ.انظر ترجمته في: القدح المعلى: ١٦١، المغرب في حلى المغرب: ٢٦٣/١، رايات المبرزين :٧٥.

(١٩) ابن يغمور: هو الأمير جلال الدين موسى بن يغمور بن جلدك (٥٩٩-٦٦٣هـ) كان أحد الأفراد المشهورين والرؤساء المذكورين موصوفا بالكرم والمعرفة معروفا بالرأي"انظر ترجمته في :الطالع السعيد:٦٦٨، النجوم الزاهرة :٢١٨/٧.

(٢٠) لم يذكر ابن سعيد في اختصار القدح المعلى (ص٧٠) اسم ممدوحه الذي أمر له بخمسين درهمًا عددًا، واكتفى بأنه من جلساء السلطان، بينما أسماه المقريزي في المقفى الكبير (١٨٢/٥) بابن يغمور الأمير - ملاذ أهل الأندلس أو كهف المغاربة كما كان يلقب- وحدد مكان إقامته بالمحلة، وهو ما نميل إليه، أما الأدفوي في البدر السافر (٧٣٧/٢) فأسماه بابن يعمر (ولم نعثر على شخص بهذا الاسم) فأغلب الظن أنه تصحيف وقع فيه محقق البدر السافر لاسيما التشابه الكبير بين اسمي يعمر ويغمور.

(٢١) اختصار القدح المعلى:٧٠.

(٢٢) تحفة القادم:٢٣٠.

(٢٣) فوات الوفيات :٢٨٤/٣.

(٢٤) اختصار القدح المعلى:٧٠.

(٢٥) المغرب:٢٦٨/١ ويوافقه الرأي ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات :٢٨٤/٣.

(٢٦) تحفة القادم: ٢٣٠، ويؤيده المقريزي في المقفى الكبير: ١٨٢.

(٢٧) الوافي بالوفيات:٩٦/٢. وممن اضطرب في تحديد وفاته من المحدثين الدكتور سيد حنفي، ففي تحقيقه للمقتطف من أزاهر الطرف ذكر في هامش ص ١١٥ أنه توفي سنة ٦٣٦هـ، بينما ذهب في هامش ص ٢٦١ إلى أنه توفي سنة ٦٣٤هـ.

(٢٨) اختصار القدح المعلى: ٦٩.

(٢٩) انظر النص (١٣) في مجموع شعره.

(٣٠) نفح الطيب: ٥١٨/٣.

(٣١) السابق نفسه: ١٦٠/٤.

(٣٢) معرفة الفرق بين الضاد والظاء (مقدمة المحقق): ٧.

(٣٣) تحفة القادم : ٢٣٠.

(٣٤) اختصار القدح المعلى: ٦٩.

(٣٥) البدر السافر: ٧٣٦/٢.

(٣٦) الوافي بالوفيات: ٩٦/٢.

(٣٧) فوات الوفيات: ٢٨٤/٣.

(٣٨) النص (١٢) .

(٣٩) النص (٣) .

(٤٠) النص (١٢) .

(٤١) النص (٩) .

(٤٢) مثل قوله:

قد كتبَ الحُسنُ فيه سطرا

ويولِجُ اللَّيلَ في النهارِ

(٤٣) كتوظيفه لشخصية باقل الذي يضرب به المثل في العي لبيان عجزه وحيرته في وصف الخد في قوله:

وعذَّبني خَدٌّ به المسكُ باقِلُ

كأنّي في وصفيِّه للعجزِ باقِلُ

(٤٤) مثل قوله مفيدًا من مسك دارين- فُرْضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند – في التعبير عن معانيه:

بدْرُ الظَّلامِ ومِسْكَةٌ دارِيَّةٌ

من تلك أضوعُ ماخبرتَ وأضوأُ

(٤٥) مثل قوله:

واواتُ أصداغٍ أقاربُ نسبةٍ

لنوناتها تُدعى بوصف عقاربِ

(٤٦) الشعر الأندلسي في عصر الموحدين :٢٣٠.

(٤٧) النص (٩) .

(٤٨) النص (٣) .

(٤٩) السابق نفسه.

(٥٠) صادية ابن الأبار مطلعها:

أتجحد قتلي ربة الشنف والخرص

وذاك نجيعي في مخضبها الرخص

انظر ديوانه:٣٢٩.

أما صادية حازم القرطاجني فمطلعها:

منى النفس يدني منكم والنوى تقصي

فكم ذا يطيع الدهر فيكم ويعصي

انظر ديوانه:٦٤.

(٥١) النص (١٢) .

(٥٢) النص (٣) ، البيت الثالث.

(٥٣) النص (١٠) ، البيت الأول.

(٥٤) النص (١) ، البيت السادس.

(٥٥) النص (٩) .

(٥٦) النص (١٥) .

(٥٧) النص (٩) .

(٥٨) النص (١٨) .

(٥٩) السابق نفسه.

(٦٠) انظر النص (٤) .

(٦١) النص (٣) .

(٦٢) انظر: المقتطف من أزاهر الطرف:٢١٦، وفي أزهار الرياض :٢١٢/٢، وفي مقدمة ابن خلدون: ٤٣٠/٢، وفي نفح الطيب:١٠/٧، وفي المسلك السهل :١١٢.

(٦٣) النص (٢٤) .

(٦٤) النص (٢٣) .

(٦٥) النص (٢٤) فهو يقتبس قوله تعالى: "هل في ذلك قسم لذي حجر" سورة الفجر الآية (٥) .

(٦٦) النص (٢٥) .

(٦٧) النص (٢٤) .

(٦٨) النص (٢٥) .

(٦٩) النص (٢٣) .

(٧٠) النص (٢٤) .

(٧١) عارض ابنُ الخطيب موشحة ابن الصابوني"قسمًا بالهوى لذي حجر"بموشحته "رب ليل ظفرت بالبدر"، كما عارض موشحة ابن الصابوني"ماحال صب ذي ضنى "بموشحته"ياليت شعري هل من إياب".انظر ديوانه :٧٨٣/٢، ٢/ ٧٩٤.

(٧٢) الزجل في الأندلس:ح.

(٧٣) النص (٢٣) .

(74) http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=29280

المصـادر والمراجع

- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ابن سعيد الأندلسي، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٥٩م.
- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، ابن الشماع، تح: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، المقري، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- البدر السافر عن أنس المسافر، الأدفوي، تح: قاسم السامرائي وطارق طاطمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط ١، ٢٠١٥م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٩٨٩م.
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تحقيق:بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٣م.
- تحفة القادم، ابن الأبار، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- التكملة، ابن الأبار، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- الحلة السيراء، ابن الأبار، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥م.
- ديوان ابن الأبار، تح: عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م.
- ديوان حازم القرطاجني، تح: عثمان العكاك، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
- ديوان لسان الدين بن الخطيب، تح: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٩م.
- الذيل والتكملة، للمراكشي، تح: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٢م.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد الاندلسي، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

- الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- الزجل في الأندلس، عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣م.
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي سعد عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة ١٩٧٩م.
- صلة الصلة، ابن الزبير، تحقيق:شريف العدوي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، الأدفوي، تح: سعد محمد حسن وطه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- عدة الجليس ومؤانسة الوزير الرئيس، لعلي بن بشرى الغرناطي، عني بتحقيقه:ألن جونز، مطبعة مركز الحسابات بجامعة أوكسفورد، ط ١، ١٩٩٢
- العذارى المائسات في الموشحات والأزجال، فيليب الخازن، مطبعة الأرز، بيروت، ١٩٠٢م.
- عقود الجمان على وفيات الأعيان (مخطوط)، الزركشي، تركيا، مكتبة الفاتح، السليمانية، رقم ٤٤٣٤.
- عنوان المرقصات والمطربات، ابن سعيد الأندلسي، القاهرة، ١٢٨١هـ.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ابن القنفذ القسنطيني، تح: محمد شاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- المُذْهَب في معرفة أعيان المَذْهَب، د.محمد الأحمدي أبو النور، لابن فرحون المالكي، تحقيق:دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، محمد الإفراني، تح: محمد العمري، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٧م.
- معرفة الفرق بين الضاد والظاء، ابن الصابوني، تح: حاتم الضامن، دار نينوى، دمشق، ط ١، ٢٠٠٥م.
- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤.
- المقتضب من تحفة القادم، ابن الأبار، اختيار وتقييد البلفيقي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩م.
- المقتطف من أزاهر الطرف، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق سيد حنفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.
- المقفى الكبير، المقريزي، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ابن تغرى بردي، وزارة الثقافة، القاهرة.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=29280

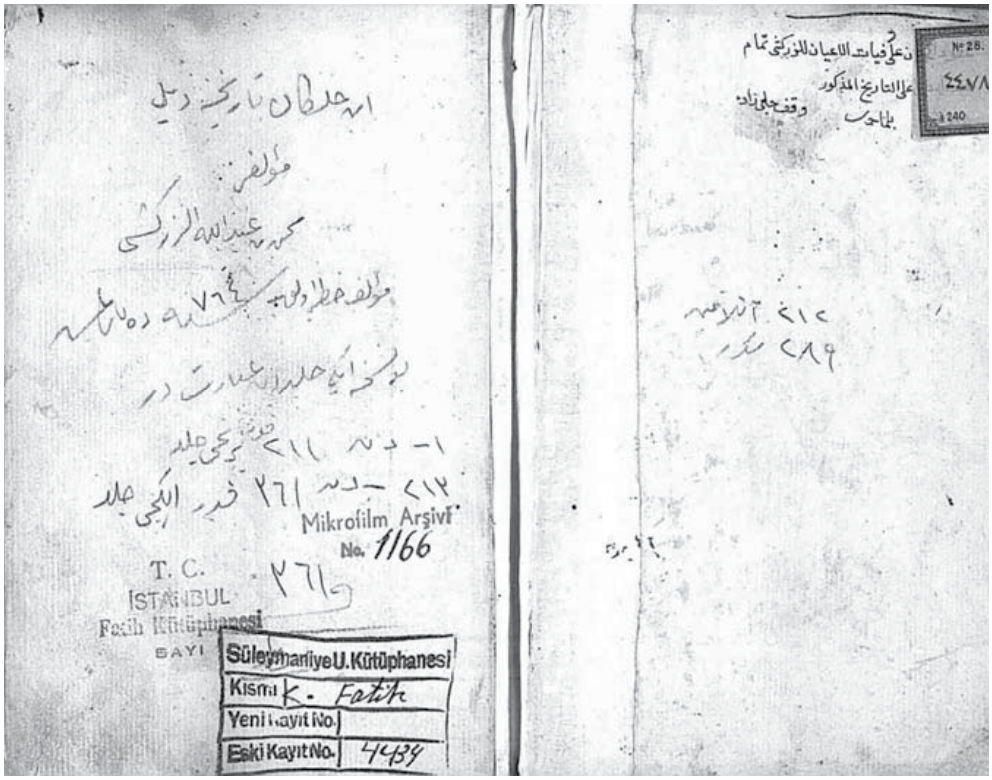
Mikrofilm Arşivi
No. 1166
T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI
Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı K. Fatih
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 4436

غلاف مخطوط عقود الجمان للزركشي

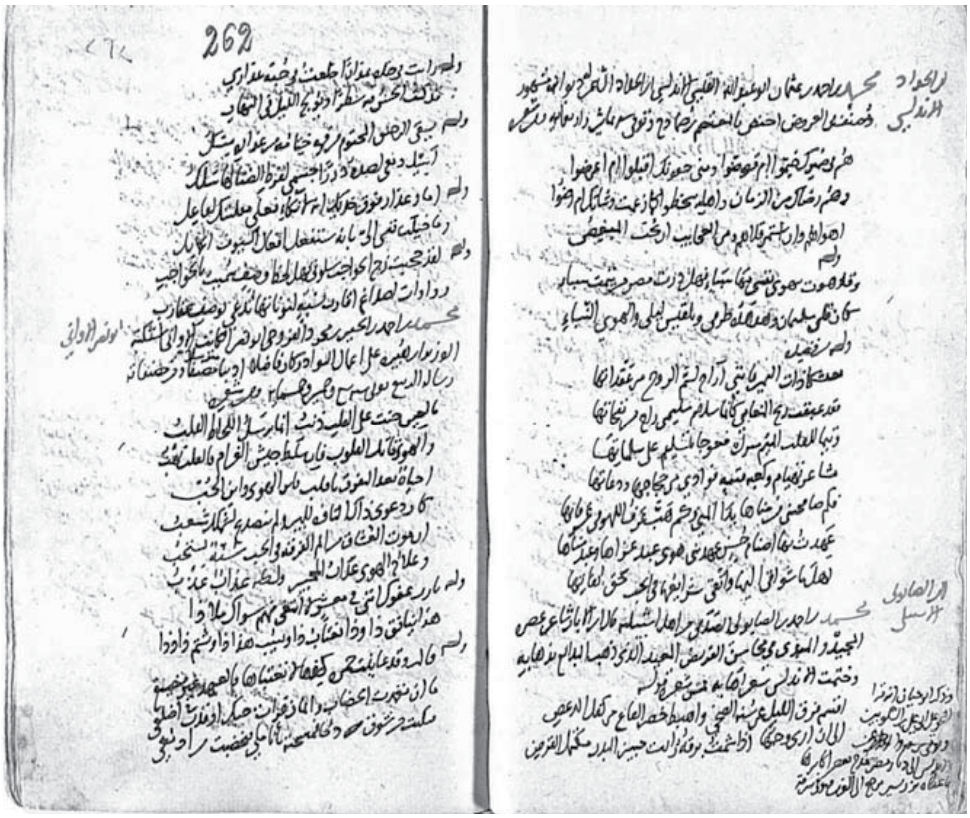

اللوحة ٢٦٢ من مخطوط عقود الجمان للزركشي وبها ترجمة ابن الصابوني وأشعاره

الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة باللّٰه تعالى

لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللّٰه الغبريني

(ت:٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م)

الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت:٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م)

ضبط نصه وقدَّم له

محمد نصير

الجزائر

الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى
لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت.٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م)[١]

لطالما اشتهر الغبريني بكتاب **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** وأنّه فقيه وقاضٍ، ولم يُعرف عنه اهتمامه بالكلام وأصول الدين غير قراءته لبعض التصانيف عن شيوخه في فترة تحصيله، لكن هذا النص الذي انشره هنا لأوّل مرة يوضِّح أنّ اهتمامه يتعدّى ذلك للتأليف وتقرير عقيدة يُلتزم بها، وهي المسمّاة: **الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى.**

هذه العقيدة لم تنل شهرة مثل مرشدة ابن تومرت أو برهانية السلالجي أو عقائد السنوسي، لكنها نشرها يُعدُّ خطوة لإبراز النشاط التأليفي الكلامي بمدينة بجاية والمغرب الأوسط الذي أدّى في نهاية القرن التاسع الهجري / ١٥ م إلى سيطرة معرفية لعقائد السنوسي، ومنه فإنّ نشر النصوص العقائدية التي أُلِفت قبل السنوسي يمثل تتبعا لمسار تطور العقيدة الأشعرية في مجال المغرب الأوسط.

قدمت لهذا النص بقسم الدراسة الذي يضم مبحثين: أولهما التعريف بأبي العباس الغبريني (الأصل والنشأة، وميزة تعليمه، اشتغاله بالتدريس والقضاء ببجاية، مذهبه في الفقه والعقيدة وسلوكه الصوفي ثمّ وفاته)، وثانيهما دراسة للمخطوط (نسبة المخطوط للمؤلف، ضبط عنوان العقيدة ودوافع تأليفها ومحتواها وأهميتها ووصف المخطوط كوديكولوجيا).

الكلمات المفتاحية:

- الغبريني – الأشعرية – بجاية – العقيدة – الفصول الجامعة.

قسم الدراسة :

١ـ التعريف بأبي العباس أحمد الغبريني:

أ ـ زواوي الأصل، بجائي المنشأ :

يذكر المِنْتَوْرِي[٢] (ت.٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م) للغبريني أطول سلسلة نسب نقلاً عن تلميذه شمس

(١) هذا العمل أنجز أثناء إقامتي العلمية بمدريد بمعهد اللغات وثقافات البحر المتوسط والشرق الأدنى التابع للمجلس الوطني للأبحاث بإسبانيا Instituto de Lenguas y Culturas del Mediterraeo y Proximo Oriente ILC del CSIC وذلك في إطار منحة بحثية ممولة من وزارة التعليم العالي الجزائرية في إطار البرنامج اللإستثنائي للتكوين الإقامي الطويل المدى بالخارج.

(٢) فهرسة المنتوري تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ٢٠١١، ص.٣٦٨.

الدين محمد بن جابر الوادي آشي (ت.٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) عن طريق أبي سعيد فرج بن قاسم بن لب الغرناطي (ت.٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) وهو: **أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن عمر بن يوسف الحميري الغبريني**.

أمَّا المصادر الأخرى، التي أوْردت ترجمةً له، فأغلبها تتوقف عند ذكر جدِّه " عبد الله "[١]، ماعدا أحد المراجع الحديثة[٢] التي نقلت له نسبًا عن نسخة مخطوطة من " عنوان الدراية " يصلُ إلى جدِّه "عمر"، لكن الاختلاف يقع في تسمية والده؛ حيث يذكره ابن قنفذ القسنطيني[٣] (ت.٨١٠ هـ / ١٤٠٨م) في كتاب الوفيات بـ " أحمد " وفي أنس الفقير بـ " محمد " (ربما يرجع ذلك إلى أخطاء النساخ) وبهذه التَّسمية قال كل من أحمد الونشريسي[٤] (ت.٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) وابن القاضي المكناسي[٥] (ت. ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)، لكن الرّاجح هو " أحمد " اعتمادًا على تلميذه المباشر شمس الدين الوادي آشي.

أمَّا نِسبته لبني غبرين، فيذكر ابن خلدون[٦] أنّها من الجماعات المشهورة لعهده المُتفرِّعة عن زواوة الواقعة بنواحي بجاية، ويميل إلى أنّها من كتامة، بحسب تصنيفه، ويضيف عادل نويهض[٧] أنَّ مواضعها في أعلى واد سباو؛ أي أنّ جماعة بني غبرين ـ آث غبرين ـ انتشرت في بلاد القبائل الكبرى (بني زواوة) في المنطقة الواقعة ببلدية عزازقة الحالية.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ نويهض يحدد مولده بسنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م، لكنّه لم يُورِد مصدر اعتماده هذا التاريخ، وما وقفت عليه من مصادر لترجمته لم تذكر ذلك.

(١) الوادي آشي (شمس الدين محمد بن جابر التونسي): برنامج الوادي آشي، تحقيق:محمد الحبيب الهيلة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨١، ص.٤٧ ؛ النُباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي) : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشرة لجنة إحياء التراث العربي، ط.٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ص.١٣٢؛ ابن فرحون (أبو إسحاق إبراهيم بن علي المالكي):الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، نشر: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص.١٣٦؛ القرافي (بدر الدين محمد بن يحي بن عمر): توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص.٤٦.

(٢) الحفناوي (أبو القاسم محمد): تعريف الخلف برجال السلف، ج.١ ،مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ١٩٠٦، ص.٢١.

(٣) كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط.٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢، ص.٣٣٨؛ أنس الفقير وعز الحقير، نشر: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥، ص.٦٢.

(٤) كتاب الوفيات، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د.م.ط، د.ت، ص.٨.

(٥) درة الحجال في أسماء الرجال، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ١٩٧١، ص.١٠.

(٦) ديوان المبتدأ والخبر، ج.٦، ضبطه: خليل شحادة وعلق عليه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠، ص.١٦٨ ـ ١٦٩.

(٧) معجم أعلام الجزائر، ط.٢، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٠، ص.٢٤٨.

ب ـ تعليم فقهي بالأساس:

من خلال كتاب عنوان الدراية وبرنامجه الملحق به نستطيع عرض أهم شيوخ الغبريني وهم :

١ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت.٦٦٩ هـ / ١٠٧١ م): من قلعة بني حماد لكن قراءته ببجاية، وكان "حافظًا للخِلاف العالي والمذهب المالكي"، ويقول الغبريني إنّه أدركه ببجاية، وعلى يده كان أوّل تحصيله للفقه بالمسجد الأعظم ببجاية[١]، ويذكر بالتعيين الكتب التي كان يدرِّسها وأخذها عنه، وهي:

- التهذيب (ربما هو التهذيب في اختصار المدونة لأبي سعيد بن أبي القاسم بن خلف البراذعي القيرواني ت.٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م).
- الرِّسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت.٣٨٦ هـ / ٩٩٦ هـ)
- التفريع لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب البصري (ت.٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م).
- التلقين في الفروع للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت.٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م)
- المختصر لابن أبي زيد القيرواني.
- الموطأ لمالك بن أنس[٢] (ت.١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)

٢ – أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف القيسي (ت.٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م):

ولد بتلمسان وتوفي بمدينة الجزائر واشتغل بقضاء الأنكحة ببجاية، وكانت له دروس بعدّة مساجد ببجاية مشهورة، ويصِفه تلميذه الغبريني بـ "خزانة مالك"[٣]، ويذكر في أثناء الترجمة له أنّه قرأ عليه كلاً من الموطّأ والتفريع لابن الجلاب[٤]، ويضيف في القسم المخصّص لمشيخته ذكر سنده في الكتب الآتية:

- المدوّنة لسحنون بن سعيد التنوخي (ت.٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
- المختلطة لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم[٥] (ت.١٩١ هـ / ٨٠٦ م)

(١) عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط.٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص.٦٥، ٦٦.

(٢) نفسه، ص.٣٥٦.

(٣) نفسه، ص.٦٣.

(٤) نفسه، ص.٦٤.

(٥) نفسه، ص.٣٧٥.

- الواضحة لأبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي[1] (ت.٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م)
- الرِّسالة لابن أبي زيد القيرواني.
- كتاب (لم يحدد عنوانه) أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت.٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)
- التبصرة لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي (ت.٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)
- التلقين للقاضي عبد الوهاب المالكي[2].
- كتاب السنن لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[3] (ت.٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) ويعد كل من عبد العزيز بن عمر وعبد الله بن محمد القلعي ممّن اعتمد الغبريني عليهما كثيرًا[4] في الفقه بحيث أنّه قرأ وتفقّه بهما بكل الكتب المذهبية[5].

٣ – أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني (ت.٦٩٩ هـ / ١٢٩٧م):

شغل إمام الجامع الأعظم ببجاية حوالي ثلاثين سنة، إضافة إلى تقلّده خطّة العدالة، وهو ممّن تمحورت حوله الرِّواية والسّماع ببجاية وبلاد المغرب؛ حيث كان " أحد من كثُرت القراءة والرواية عنه ببجاية "[6]، وقد درَس عليه الغبريني النحو والإعراب[7] وأخذ عنه أسانيد الكتب في علوم متعددة، وهي:

- في التصوف الرِّسالة القشيرية[8] لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري (ت. ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م).
- في الأصلين كتاب (لم يحدد عنوانه) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ت.٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني[9] (ت٤٧٨ هـ / ١٠٨٥).

---

(١) السابق، ص.٣٧٩.
(٢) نفسه، ص.٣٨١.
(٣) نفسه، ص.٣٩٧.
(٤) نفسه، ص.٣٥٦.
(٥) نفسه، ص.٦٤.
(٦) نفسه، ص.٨٢.
(٧) نفسه ،ص.٣٥٨.
(٨) نفسه ،ص.٣٩٤.
(٩) نفسه ،ص.٣٩٦.

- في التفسير الكشّاف أبي القاسم محمد بن عمر الزّمخشري[1] (ت.٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)
- في الحديث الموطأ لمالك بن أنس وصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت.٢٥٦هـ / ٨٧٠ م) وصحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت.٢٦١ هـ / ٨٧٤م) وسنن أبي داود لسليمان بن الأشعث الأزدي (ت.٢٧٥ هـ /٨٨٨ م) والجامع المختصر لسنن رسول الله لأبي عيسى الترمذي[2] (ت.٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) والمسند لأحمد بن حنبل[3] (ت.٢٤١ هـ / ٨٥٥ م)
- وفي الفقه كتاب (لم يحدد عنوانه وربّما كتاب المختصر) أبي محمد عبد الله بن الحكم المصري[4] (ت.٢١٤ هـ / ٨٢٩ م)

٤ – أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي (ت.٦٧٤ هـ /١٢٧٦ م):

وهو كذلك ممن كان له رواية واسعة وتميّز بالقراءات؛ حيث يقول عنه الغبريني بشأنها إنّه لم يرَ " أتقن منه ولا أضبط منه في طريق الروايات " وعليه اعتمد في رواية بعض كتب الحديث واستفاد منه مشافهة في القراءات[5]، كما أخذ عنه روايات في عدّة علوم، وهي:

- في الحديث كل من موطأ مالك والمسند لابن حنبل وصحيحي البخاري ومسلم وسنن ابن داود وجامعي الترمذي والنسائي وكتابي التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت.٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) والمختار الجامع بين المنتقى والاستذكار لمحمد بن عبد الحق التلمساني[6] (ت.٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م).
- في التفسير كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت.٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) وأحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري (ت.٥٠٤ هـ / ١٠١٠ م) والتحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي[7] (ت.٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م).

---

(١) السابق، ص.٣٦٤.
(٢) نفسه، ص.٣٦٨ - ٣٧٠.
(٣) نفسه، ص.٤٠٠.
(٤) نفسه، ص.٣٧٧.
(٥) نفسه، ص.٨٦.
(٦) نفسه، ص.٣٦٦ - ٣٧٥.
(٧) نفسه، ص.٣٦٠ - ٣٦٢.

- وفي الفقه كتاب التفريع لابن الجلاّب[1] (ت.٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م).
- وفي التصوف رسالة في فضل مكّة للحسن البصري[2] (ت.١١٠ هـ / ٧٢٨ م).
- في الأصلين كتاب (لم يحدد عنوانه) أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت.٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م)[3].

٥ – أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمرالأنصاري (ت.٦٧٥هـ / ١٢٨٥م):

لم يذكره الغبريني ضمن أي سلسلة في سنده، لكنّه أورد اسمه ضمن الخمسة، بالإضافة شيوخه الأربعة السابقي الذكر، وهم بالنسبة له " من تقع الرِّواية عنهم "، كما يذكر أنّه كان ممن تلقى عنهم علم التصوّف، وأنّه ممن " كثرت الاستفادة عنه والبحث والمباشرة والتكرار في أكثر الأزمنة وإلقاء الصعاب وحلّها بالكتب المجاوبة حتى جرى ذلك مجرى الدّرس "[4]، وكانت هذه المباحثة بينها في مجال الفقه والأصلين خصوصًا.

٦ – أبو عبد الله محمد الحسن بن ميمون التميمي القلعي الشهير بالأديب:

نشأ بمدينة الجزائر واستوطن بجاية، وعليه اعتمد الغبريني في علوم العربية؛ حيث لَزمه حوالي عشرة أعوام، ويعتبره أفضل من لقيه في هذا العلم، وقد أخذ عنه الكتب الآتية:

- في العربية: كتاب الايضاح كاملاً لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت.٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) ونصف كتاب سبويه (ت.١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) . كتاب أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي (ت.٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) وجملة من كتاب الأمالي (لم يحدد مؤلفه) وزهر الآداب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري والمقامات (لم يحدد صاحبها وربما مقامات الهمذاني) وقصائد متخيرات من شعر أبي تمام والمتنبي وحضر قراءة المفصل للزمخشري[5] وكتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن عمر الزجاجي (ت.٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت.٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) ومقصورة أبي بكر بن دريد[6] (ت.٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) .

---

(١) السابق، ص.٣٧٩.
(٢) نفسه، ص.٣٩١ - ٣٩٢.
(٣) نفسه، ص. ٣٩٥.
(٤) نفسه، ص. ٣٥٦.
(٥) نفسه، ص.٦٧ - ٧٠.
(٦) نفسه، ص.٣٨٧ - ٣٩١.

- وفي الفقه روى عنه كتاب (لم يحدد عنوانه) لأبي عبد محمد بن علي المازي[1] (ت.٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) .

٧ – أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي (ت. ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م):

وهو من أصحاب أبي الحسن علي بن أحمد الحرّالي (ت.٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م) ويذكر الغبريني أنّه عرَض عليه في زمن شبابه قصيدة نظَمها في التصوف[2].

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ق. ٧ هـ / ١٣ م):

وهو ممّن اعتمد الغبريني عليهم في التصوف، وبواسطته يرتبط سنده الصوفي بعلي بن أبي طالب (ت.٤٠ هـ / ٦٦١ م) عن طريق أبي مدين شعيب (ت.٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) وأبي يعزى يلنور[3] (ت.٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م).

٩ ـ أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري: (ت. ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م):

وهو من تلاميذ عز الدين بن عبد السّلام (ت.٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)، ويرجِّح طريقة فخر الدين الرازي (ت.٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في أصول الدين، وهي طريقة المتأخرين من الأشاعرة[4]، وعنه قرأ الغبريني كتاب " المعالم " للرّازي[5]، ومن ثم فهو أحد شيوخه في علم الكلام.

١٠ ـ أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المعروف بابن زيتون: (ت. ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م):

التقاه الغبريني بتونس وبجاية[6]، واستفاد منه مذاكرة ومباحثة في الفقه والأصلين[7].

١١ ـ أبو العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت.٦٧٨ هـ / ١٢٧١ م):

استوطن بجاية مدّة ودرّس بها، إضافة إلى ذلك يذكر الغبريني لقاءه به في تونس[8] ولم يذكر الكتب التي أخذها عنه، لكنه يقول أنه لزِمه واستفاد منه في الفقه مباحثة[9].

---

(١) السابق، ص.٣٨٦.

(٢) نفسه، ص.١٠٣ – ١٠٥ و ص.٣٥٩.

(٣) نفسه، ص.١٢٤.

(٤) نفسه، ص.٩٣ ـ ٩٥.

(٥) نفسه، ص.٣٥٨.

(٦) نفسه، ص.٩٧.

(٧) نفسه، ص.٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٨) نفسه، ص.٩٩.

(٩) نفسه، ص.٣٥٧.

١٢ – أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي (ت.٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م):

وهو أحد تلاميذ عزّ الدين بن عبد السلام، وممّن لا يأخذ بطريقة المتأخرين (أبي حامد الغزالي وفخرالدين الرازي وغيرهما) في أصول الدين ويقتصر على طريقة المتقدمين (أبي بكر بن الباقلاني وأبي المعالي الجويني)، وهو من أشياخ أبي العبّاس الغبريني الذين لقيهم بتونس ولم يدخلوا بجاية، على الرغم من أنه لا يوافق شرط كتابه " عنوان الدراية " إلاّ أنّه أورده في كتابه بسبب تتلمذه عليه(١) في الفقه والأصلين(٢).

هؤلاء هم أهم شيوخ الغبريني وتلك هي أهم العلوم والكتب التي تلقّاها منهم، ومن أهم ما يمكن أن نلحظه:

- أنّ مشيخته وتكوينه فقهي بالأساس، بالإضافة إلى بعض العلوم المكمِّلة للفقه مثل علمي الحديث واللغة، ومن الجدير بالذكر أنّ تراجمه تحلّيه بالفقيه وذلك لضلوعه في الفقه وحسن صناعته فيه، ويذكر ابن الطواح(٣) له مجلس مع النحوي واللغوي أبي زكريا اليفرني (ت.٧٠١ هـ / ١٣٠١ م)(٤)، حيث " بحث معه في العربية، وما شام له برقًا، بل كان غربًا، وكان الآخر شرقًا فقطعه الشيخ " لكن في الفقه بحث معه " فقطعه الفقيه أبو العباس " وهذا شاهد على تقدم الغبريني في الفقه مقابل تقدم اليفرني في اللغة.
- على الرغم من أنّه لم تذكر له رحلة خارج بلاد المغرب إلاّ أنّ شيوخه من الأعلام الذين تمحورت حولهم انتقال الروايات والأسانيد في عصره وفي كل من إفريقية وبجاية، مثل أبي عبد الله الكناني(٥) وكل من أبي العبّاس الغماري وأبي القاسم بن زيتون الذين كانا لهما فضل

---

(١) السابق، ص.١٠٩، ١١٠.

(٢) نفسه، ص.٣٥٨.

(٣) سبك المقال، ص.٢٣٩.

(٤) ذكره الغبريني في عنوان الدراية ضمن أصحاب وتلاميذ أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور (ت.٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م). انظر: ص.٣١٨. وذكره أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي ووصفه بالنحوي وتلميذ ابن عصفور وخليفته في فنه. انظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط.٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص.٥٦. انظر عنه كذلك: الونشريسي، الوفيات، ص.٥؛ أحمد بن القاضي المكناسي، درة الحجال، ج.٣، ص.٣٣٤. يعتبر ابن الطواح أحد تلاميذ اليفرني.

(٥) انظر حول محوريته في انتقال العلوم:

Allaoua Amara, La ransmisione du savoir historique en Al-Andalus et Maghreb a la fin du moyen age, The Maghreb Review, V.٢٨, N.٢-٣, ٢٠٠٣, p.p ٢١٥ – ٢٤٤.

انتشار كتاب المعالم لفخر الدين الرازي ببلاد المغرب[1].

- له أسانيد متعدِّدة في الكثير من كتب الحديث، وأحد هذه سنده في صحيح مسلم الذي استمرّ حتى نهاية القرن ١١ هـ / ١٧ م[2]، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ تلميذه الواد آشي يقول عنه أنّه: " لم يكن له علوّ في الحديث "[3].

- في العقيدة ـ التي هي موضوع هذا النص ـ يروي الغبريني كتاب "الإرشاد" لأبي المعالي الجويني والمعالم في أصول الدين لفخر الدين الرّازي، إضافةً إلى ذلك، فإنّ اهتمامه بهذا العِلم يظهر كذلك في تعليقه على الكتب التي يقف عليها مثل كتاب " التذكرة في أصول الدين " لأبي علي المسيلي (توفي أواخر القرن السادس الهجري / ١٣ م) الذي يقول عنه: " كتاب طالعته جليل في فنِّه "[4]، وكذلك " تقييد في أصول الدين " لأبي العبّاس الجدلي الشّريف يعتبره الغبريني: " على مقال محكم الإيراد عرٍ عن الانتقاد "[5]، وعلى الرّغم من أنَّه لم يسرد جميع برنامجه حيث ذكر ماهو ضروري فقط[6]، إلاّ أنّه من خلال استجازته لكل من الإرشاد والمعالم نعرف أنه لا يرفض طريقة المتأخرين الأشاعرة.

- كان لبعض العلوم العقلية حظ في تكوينه ففي الطب والصيدلة قرأ جملة من " كليات القانون " و" أرجوزة في الطب " لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت.٤٢٧ هـ / ١٠٣٧ م) على أبي القاسم ابن أندراس (ت.٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)، كما يروي أنّه كان ملازمًا له ويساعده في نظم بعض الأدوية[7]، وكذلك المنطق؛ حيث ذكر أنّه قرأ في بدء أمره كتاب "معيار العلم" لأبي حامد الغزالي (ت.٥٠٥هـ / ١١١٢ م) عن أبي العباس أحمد بن خالد (توفي في عشرة الستين وستمائة هجرية) عليه بمنزله ببجاية وعلى بعض الطلبة المجتازين، إضافةً إلى كتاب "المعقولات الأوّل" لأبي الحسن الحرَّالي[8].

---

(١) المقري (أحمد بن محمد التلمساني): نفح اللطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج.٥، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ص.٢٢١.

(٢) العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد): إتحاف الأخلاَّء بإجازات المشايخ الأجلاء، تحقيق: محمد النباهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩، ص.٩٧.

(٣) برنامج الوادي آشي، ص.٤٨.

(٤) عنوان الدراية، ص.٣٣.

(٥) نفسه، ص.١٨٤.

(٦) نفسه، ص.٣٦٠.

(٧) نفسه، ص.٧٦.

(٨) فهرسة المنتوري، ص.٣٢٥.

ج ـ الاشتغال بالتدريس بشهادة معاصريه:

أورد الغبريني في ثنايا ترجمته لأبي العبّاس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي أنَّه طَلب منه جمع من الطلبة الجلوس لتدريسهم فلبّى طلبهم[١]، كما أنّ تلميذه شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي يصِفه بالفقيه المدرِّس[٢].

ويصِف عبد الواحد بن الطواح[٣] حلقة الغبريني بجامع بجاية بالعظيمة وكلامه بالرَّائِق والمُسترسل ولسانه ناطق بالمعارف، ويضيف بأنَّ من يحضر هذا الدرس يحتاج " إلى أن يعصب رأسه من قوة كلام الأستاذ ".أمّا عمَّا كان يُدرِّسه الغبريني في مجلسه هذا، فيرويه ابن الطوّاح شعرًا وهو يستجْدِيه للإجتماع به :

فـابـن سـيـنـا بـراهـيـن الأمـانـي ... ومـا قـد حـازه فـحـوى الـدلـيـل.

وكـل مـا جـاء مـقـصـودا بـكـتـب ... فـاسـعـف بـالـمـراد وبـالـقـبـول.

ومـالـي عـاضـد إلاَّ امـتـداحـي ... فـكـم قـد نِـلـت بـالأمـداح سـؤلـي.

وهنا يشير إلى أن حلقته التي صادفها ابن الطوَّاح حين كان يدرِّس أحد كتب ابن سينا[٤] وربما تكون حلقته لتدريس وشرح كتاب النجاة لابن سينا، وهو كتاب في المنطق والطبيعيات والإلهيات، ذلك أنّه يرويه عن شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع[٥]. وعلى الرّغم من ممارسة الغبريني للتدريس في بجاية وحلقته العظيمة ـ حسب ابن الطوَّاح ـ إلاَّ أنَّ كتب البرامج والفهارس والمشيخات لم تذكر له تلاميذ بها، أمَّا في تونس فيصرِّح شمس الدين الوادي آشي بأنّه أخذ عنه مؤلفاته[٦] وهو بدوره يروِيها ويجِيزها لطلبته[٧]، كما يروي عنه تآليف أبي الحسن الحِرَّالي[٨]، ويرِد اسم الغبريني كذلك في سند أبي سالم العياشي[٩] (ت.١٠٩٠ هـ/١٦٧٩ م) في رواية صحيح مسلم؛ حيث يرويه عنه أبا الطيب عليوات التونسي عن أبي عبد الله محمد بن صالح الذي تتلمذ عنه ببجاية، وهذا بالتأكيد لا يرجع لعدم وجودهم، بل لعدم إمتلاكنا لكتب تراجم وطبقات وفهارس وبرامج بجائية لتلك الفترة؛ حيث لم يصلنا منها إلاّ عنوان الدراية وبرنامجه الملحق به للغبريني نفسه، أمّا غيرها فهي لمؤلفين كانوا عابرين

(١) السابق، ص.١٠٠.

(٢) برنامج الوادي آشي، ص.٤٧.

(٣) سبك المقال وفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥، ص.١٩٨.

(٤) نفسه، ص.١٩٩.

(٥) عنوان الدراية، ص.١٤٤.

(٦) برنامج الوادي آشي، ص.ص.٢٧٣، ٢٨٣.

(٧) فهرسة المنتوري، ص.٣٦٨.

(٨) نفسه، ص.٣٢٥.

(٩) المصدر السابق، ص.٩٧.

لبجاية واستقرُّوا لفترة معيّنة بها لمواصلة رحلتهم العلمية أو أنّ البجائيين التقوا بشيوخ أخذوا عنهم الإجازة أو تتلمذوا على شيوخ أثناء رحلتهم في المدن المغاربية الأخرى والأندلس والمشرق.

د ـ قاضي الجماعة ببجاية :

عُرِف بصِفة القاضي واشتهر بها فكل مترجموه لا يذكرون اسمه إلا مقترناً بصفة القضاء، لكن لا يوجد ما يفيد بالتاريخ الذي تقلَّد فيه قضاء بجاية، وهل كانت بجاية هي المكان الوحيد الذي تقلَّد فيه أم أنه تقلّده بأماكن أخرى وانتهى ببجاية، ذلك أنَّ أبا الحسن النباهي[١] يذكر أنه " وُلِّي القضاء بمواضع عدّة، آخرها مدينة بجاية ".إضافة إلى ذلك تَنْعته بعض المصادر بـ " قاضي الجماعة "[٢] في حين تقتصر أخرى بوصفه بالقاضي فقط، وربما يرجع وصفه بـ " قاضي الجماعة " إلى الفترة التي تولَّى فيها قضاء بجاية على عهد كل من السلطان أبي زكرياء بن أبي إسحاق (٦٨٣ هـ ـ ٧٠٠ هـ / ١٢٨٤ م – ١٣٠٠ م) ثم ابنه أبي البقاء خالد بن أبي زكرياء (٧٠٠ هـ ـ ٧٠٩ هـ / ١٣٠٠م ـ١٣٠٩ م) وهي الفترة التي أُعلنت فيها بجاية عاصمة حفصية مستقلة عن تونس، أو قد يكون ذلك إكبارًا له لذيوع صيته[٣]، فهو " كبير بجاية وصاحب شوارها "[٤]. أمّا سلوكه في القضاء يرويه النباهي ـ الذي خصّص كتابه لترجمة من يستحق القضاء والفتيا ـ أنه " كان في حكمه شديد مهيبا... ولمّا ولِّي خطة القضاء ترك حضور الولائم، ودخول الحمّام، وسلك طريق اليأس من مخالطة الناس "[٥]إضافة إلى القضاء، فقد كان يتقلّد السَّفارة مرّات عديدة بين بجاية وتونس، وكان على رأس وفد إلى قسنطينة لتهنئة الأمير أبي زكرياء بن أبي إسحاق بعد تعافيه من مرضه[٦].

هـ ـ مالكي المذهب، أشعري العقيدة، صوفي الطريقة:

لا يخامرنا شك أنَّ مذهبه الفقهي مالكي، وذلك واضح جدًا من برنامجه ومروياته ناهيك عن أنّه مذهب أغلب بلاد المغرب. أمَّا عقيدته فهي أشعرية، والقرائن على ذلك متعدِّدة: ففي برنامجه يروي كتب أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي والمستصفى للغزالي عن أبي العباس أحمد بن محمد

(١) المرقبة العليا، ص.١٣٢.

(٢) ابن فرحون، الديباج ، ص.١٣٦؛ برنامج الوادي آشي، ص.٤٧؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص.٣٣٨

(٣) بريكة مسعود: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (٧ – ٩ هـ / ١٣ – ١٥ م)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، دار ميم للنشر الجزائر، ٢٠١٤، ص.٢٢٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج.٦، ص.٤٦٢.

(٥) المرقبة العليا، ص.١٣٢.

(٦) ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص.١٤٩.

الصدفي[1]، وأبي العباس أحمد بن خالد المالقي[2]، وكُتب أبي بكر بن فورك والإرشاد لأبي المعالي الجويني عن أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني[3]، وكتاب المعالم لفخر الدين الرازي عم أبي العباس الغماري[4]. ومن ثم فإن مذهبه العَقَدي يقبل بطريقة المتأخرين (الغزالي والرازي) متجاوزًا طريقة المتقدمين (أبو الحسن الأشعري والباقلاني والجويني). كما أنَّه يجب التنبيه إلى أنَّ برنامجه في العقيدة لم يَحْوِ كتباً لغير الأشاعرة، وهذا ليس بغريب كذلك، ذلك أنَّ هذا المذهب العقائدي في مرحلة الغبريني (القرن ٠٧ هـ / ١٣ م) قد تجاوز مرحلة فرض وجوده منذ أكثر من قرنين.أمّا سلوكه الصوفي فهو حريص على ربط سنده بكبار الصوفية مثل أبي يعزى يلنور وأبي مدين شعيب نزيل بجاية وأبي عبد الله السجلماسي[5]، ويصرِّح بأنه لقي الكثير من مشائخ الصوفية[6]، وكتابه عنوان الدراية استهلَّه بتراجم لثلاثة من متصوفة بجاية، بالرّغم من أنهم لا ينتمون للمائة السابعة[7].أصبحت بجاية مقصدًا للصوفية بنزول أبي مدين شعيب بها، إمّا للقاءه أو لنيل "بركة المدينة" بعد وفاته، فكان انتقال المتصوفة من كل بلاد المغرب والأندلس إلى بجاية بتياراتهم المختلفة، وهنا يمكننا التساؤل عن المذهب الصوفي الذي كان عليه الغبريني؟ يبدو من خلال عنوان الدراية أنّه من المعجبين بطريق التصوف الفلسفي الذي من أبرز أعلامه البجائيين محي الدين ابن عربي (ت.٦٣٨ هـ / ١٢٩١ م) الذي يتبنى فكرة وحدة الوجود وكل من أبي الحسن الحرالي وأبي زكرياء القرشي السطيفي المنتهِجيْن للتصوف الإشراقي، وكذلك كل من أبي الحسن علي الششتري (ت.٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) وأبي محمد عبد الحق بن سبعين (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) القائِليْن بالوحدة المطلقة.كما يمكن القول إنَّ الغبريني من الذين تبِعوا اتجاه التصوف الإشراقي في شبابه ذلك أنّه لزِم أبا زكرياء السطيفي، وعرَض عليه قصيدةً نَظَمها في التصوف وخالف فيها الغبريني موقف شيخه الذي اعتقد ـ حسبه ـ أنه نظمها " على سبيل الصناعة لا على سبيل الإطلاع والشهود "[8]، لكن ربّما ميولات الغبريني الصوفية قد تغيرت نحو التصوف القائل بالوحدة المطلقة، وهذا استنادًا لما ذكره ابن الطوّاح[9] أنّه رأى له في بجاية قصيدة متداولة بين المتصوفة مدح فيها عبد الحق بن سبعين.ومع ذلك، يبدو أنّ الغبريني ليس من أولئك الملتزمين بالسُّلوك الصوفي، ذلك أنّه ليس

(١) عنوان الدراية، ص.٣٩٥.

(٢) نفسه، ص.٣٥٨.

(٣) نفسه، ص.٣٩٦، ٣٩٧.

(٤) نفسه، ص.٣٥٨.

(٥) نفسه، ص.١٢٤.

(٦) نفسه، ص.٣٦٠.

(٧) وهم كل من أبي مدين شعيب (ت.٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م) وأبي علي حسن المسيلي (نحو ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) وأبي عبد الله العربي (توفي أواخر القرن السادس الهجري / ١٢ م).

(٨) عنوان الدراية، ص.١٠٥.

(٩) سبك المقال، ص.٢٠١.

بالممارس له والمتطلِّع للوصول لمراتبه، فهو قاضي بجاية وكبيرها وصاحب شوارها والخائض في دسائس السياسة التي أودت بحياته. وفي ما يخصّ مؤلفات الغبريني فإنّه لم يذكرها لا في عنوان الدراية ولا في برنامجه، لكن تلميذه الوادي آشي يذكر له مصنفيْن هما:

- الأربعون المسمَّاة بالمورد الأصفى: ولا نعرف في أيِّ عِلم ألّفه.
- كتاب الفصول الجامعة: وهي العقيدة التي أنا بصدد نشرها.كما أنّ له كتابه في التراجم وهو الذي تداوله أصحاب التراجم والمسمى عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية؛ حيث اشتهر به ونقل عنه كثيرون تراجم البجائيين في القرن ٧ هـ / ١٣م، وقد أتبعه ببرنامجه؛ حيث يقول في بدايته: " رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي ممّا استفدته، ووجه تلقي ما تلقيته من العلم ورويته "[١]، ومنه فإنّ المشيخة أرادها ملحقة لكتاب التراجم. وإلى جانب مصنفاته فإنّه عُرف بقرض الشعر، فالمنتوري[٢] يروي عنه تآليفه ومنظوماته، كما يذكر الغبريني لنفسه قصيدة نونية في التصوف نظمها في شبابه ولا نعرف إلاّ مطلعها[٣]، ويورد له النباهي[٤]بيتين شعريان في كتم السِّر وعدم إفشائه، كما توجد له قصيدة شعرية مخطوطة بمكتبة الشيخ أولحبيب الموهوب ببجاية[٥]، موضوعها الوعظ جاء في مطلعها:

هو الموت احذر أن يجيئك بغتةً وأنت على سوءٍ من الفعلِ عاكفا.
وإياك أن تمضي من الدهر ساعة ولا لحظة إلا وقلبك راجفا.

واختتمها قائلًا:

هل يسمع الوعظ قلبٌ غافلٌ ثمل وهل ترى الشمس جهرا غير عمياء.
نام الفؤاد فلم يسمع منا بعدها لقلب نئوم غير نبهان.

ي ـ الغبريني ضحية الصراع على السلطنة:

تعرّض الغبريني لعملية اغتيال سياسي سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م، وسبب مقتله هو الوشاية ودسائس القصور حسب ابن خلدون[٦] ـ وهو الخبير بها ـ وكان ذلك من طرف بطانة السلطان الحفصي أبي البقاء خالد بأنّه ينوي الوصول إلى الحكم في بجاية تحت راية السلطان المنتصر بالله أبي عبد الله بن

(١) عنوان الدراية، ص.٣٥٥.
(٢) فهرسة المنتوري، ص.٣٢٥.
(٣) عنوان الدراية، ص.١٠٤.
(٤) المرقبة العليا، ص.١٣٢.
(٥) فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة، بجاية، الجزائر، إعداد: جمال الدين مشهد، تحرير: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٤، ص.٤١.
(٦) العبر، ج.٦، ص.٤٦٢.

عصيدة (٦٩٤ ـ ٧٠٩ هـ / ١٢٩٥ – ١٣٠٩ م)، وزعموا أن له دورًا في تحريض بني غبرين ضد السلطان أبي إسحاق وقتله سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م لصالح أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة الذي ثار على الحفصيين، وكان الغبريني في ذلك الوقت مكلّفًا بمرافقة شيخ القرابة أبي زكرياء يحيى بن زكرياء للتوسط مع السلطان الحفصي بتونس[١].وما يؤكد تكليف الغبريني بهذه السفارة ومقتله بعدها ما أورده تلميذه الوادي آشي من أنَّه "قدم على تونس من بلده سنة ٧٠٤ هـ /١٣٠٥ م في الرسالة " وفي أثنائها قرأ عليه وأجازه ثمّ يضيف متأسِّفا بأنه " توفي في بقية عامه بعد قفوله على بلده، بعد محنة شديدة ذبيحا ... فيا ليته لم يبلغ السَّول حتى كان الرسول ..."[٢].ويُعلِّق ابن الطوّاح[٣] عن مآل الغبريني قائلًا بأنّه: " لعبت به زخارف الآمال، ولألاء الجاه والحظة والمال، فعضّ على يديه أسفًا لما جرى له " ثمّ يستشهد ببيتين للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني هما:

ولـــو أنَّ أهـــل الـعـلـم صـانـوه صـانـهـم ولـــو عـظـمـوه فـــي الـنـفـوس لـعظـما

ولـكـن أهـانـوه فـهـان ودنَّســـــوا مـحـيَّـاه بـالأطـمـاع حـتـى تـجـهـمـــــا

٢ ـ مخطوط الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى:

أ ـ نسبة المخطوط للمؤلف :

نطمئن إلى نسبة هذا المخطوط إلى الغبريني انطلاقًا من دليلين اثنين:

أولًا: ذِكر عنوان الكتاب في الورقة الأولى من المخطوط ضمن كلام المؤلف[٤] وهو عنوان يتوافق مع ما ذكره تلميذه مما يُثبِت صحَّة نسبة الكتاب إليه، بالإضافة إلى واجهة المخطوط التي بها التّمَلُّكات.

ثانيًا: ويزيدنا اطمئنانًا ما ذكره تلميذه شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي أنه قرأه عليه وأخذه عنه إجازة عامة، وذكر له كتابين أحدهما هو هذا النص[٥]، كما يذكره له كل من القرافي[٦] وابن القاضي المكناسي[٧] هذا الكتاب، وربما يكونان قد نقلا عن الوادي آشي .

ب ـ ضبط عنوان المخطوط :

ذكر الوادي آشي عنوان عقيدة الغبريني كالآتي: **الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول**

---

(١) في هذه الفترة كانت الدولة الحفصية مقسمة إلى شقين الأول عاصمته تونس والثاني عاصمته بجاية وهذا في الفترة الممتدة مابين ٦٨٣ و ٧٠٩ هـ / ١٢٨٤ م ١٣٠٩م.

(٢) برنامج الوادي آشي، ص.٤٨.

(٣) سبك المقال، ص.٢٤٠.

(٤) الفصول الجامعة، ٧٥ب.

(٥) نفسه، ص.٢٣٨.

(٦) توشيح الديباج، ص.٤٧.

(٧) درة الحجال، ج.١، ص.١٠.

المعرفة بالله تعالى[1]، وفي صفحة المخطوط الأولى ـ ماقبل نص العقيدة ـ ورد اسمها كالآتي : **الفصول الجامعة والحدود المانعة في تقريب عقيدة أهل السنة أولي النظر السديد والرأي الصالح الحميد**[2]، وفي مقدمة نص العقيدة يذكر الغبريني عنوانها مرّتان، الأولى ضمن ذكر الدافع لوضع هذه العقيدة قائلاً: " وقد اقتضى النظر الإلهي والباعث الرباني جمع **فصول جامعة وحدود مانعة في أصول المعرفة بالله تعالى** " ثم يقول :" **سميتها الفصول الجامعة والحدود المانعة** " والعنوان الأول مطابق حرفيا مع ما أورده تلميذه الوادي آشي، أمَّا الثاني فأورده الغبريني مختصرًا، ومنه يمكن إثباته بالصيغة التي أجاز بها الغبريني هذا النّص لتلميذه كالآتي:

الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى

ج ـ دوافع تأليف الفصول الجامعة :يتمثّل دافع تأليف الغبريني لهذه العقيدة في تقرير الاعتقاد الذي لا يستطيع المُكلّف الاستغناء عنه من أجل تحقيق العلم بالله تعالى وإتّباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه لأجل تحقيق السّعادتين العاجلة منها والآجلة واللّتين حسبه: "أنّهما مطلوبتان سمعًا وعقلاً" وعليه فإنّ "النّظر الإلهي والباعث الرّباني" اقتضى وضع هذه العقيدة. لكن طبيعة هذا النص تدعو إلى احتمال كتابتها بغرض تعليمي وتلقيني للتلاميذ أو للعامة، انطلاقًا من تقريره للخطوط العريضة للعقيدة التي من الواجب على كل مكلَّفٍ اعتقادها "على أصول السُّنَّة ذوي النظر السَّديد" دون تقديم وشرح وإيراد الأدلَّة النّقلية والعقلية، فهو حصر جملة الاعتقاد الذي هو " فرض العين الذي لا يسع جهله " ولا يجب التقليد فيه حسب الأشاعرة.وفي التّراث العقدي توجد الكثير من العقائد التي صُنِّفت على هذا المنوال، حيث يقوم المؤلِّف أو أحد تلاميذه بشرحها مثل العقيدة البرهانية لأبي عمرو السلالجي (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) الذي وضع عقيدة مختصرة تقريرية حازت شهرة عن طريق شروحها الكثيرة، وكذلك عقائد أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت.٨٩٥ هـ / ١٤٩٠ هـ) الذي وضع عدَّة عقائد وقام هو بنفسه بشرحها وتبعه في ذلك تلامذته.

د ـ محتوى الفصول الجامعة:

هذا النَّص مقسَّم إلى خمسة فصول عن طريق ذكر كلمة "فصل" في بداية الفقرة دون عنونتها، ويبدو عند قرائتها أنَّ هناك خللاً في تقسيم الفصول، ربّما يرجع للنَّاسخ أو للتلميذ المتلقي لها إملاءًا، ذلك أنه يبتدأ بالتّنبيه على أنَّ هذه العقيدة جامعة لمعاني التوحيد على أصول السُّنة وأنَّ النظر يكون إمَّا في ذات الله أو في صفاته ممَّا يعني عدم التقليد في العقائد مثلما يذهب إليه أغلب الأشاعرة، لكن نفس المعنى يعيده في الفقرة الموالية التي تبدأ بكلمة " فصل "، ومنه تكون بداية هذا الفصل في بداية الفقرة؛ أي ابتداءً من " القول في حصر القول في هذه العقيدة الجامعة ... ".في الفصل الثاني تكلَّم عن الاعتقاد بوجود الله وذاته، وفي الفصل الثالث تنزيه الذات الإلهيّة، ثمَّ في الفصل الرابع عدِّد صِفات ذات الله تعالى السّبعة التي يقرُّها عموم الأشاعرة، وأنَّ ماعدا ذلك فيتِمُّ تأويله من أهل العلم. أمَّا الفصل

(١) برنامج الوادي آشي، ص.٢٨٣.

(٢) الفصول الجامعة، ٧٥ أ.

الخامس فقد أدرج تحته عدّة مواضيع وربما يكون هو ذاته عدَّة فصول (أربعة فصول أخرى على الأقل)، ففي البداية أكَّد أنَّ صنع الله للعالم وماتبعه وأنّه مسبوق، ثم انتقل إلى التصديق بمعجزات الرُّسل والأنبياء وعصمتهم وأنَّ محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم آخرهم وبه نسخت كل الشرائع التي قبله، وتبِع ذلك الإيمان بكرامات الأولياء، ثمَّ انتقل إلى الإيمان بسؤال القبر وعذابه والمعاد والشفاعة، ثمَّ تطرَّق إلى موضوع وجوب نصب الإمامة، ثمَّ رجع إلى موضوع المعاد بالكلام عن وجود الجنة والنار ورؤية الله يوم القيامة ـ عكس المعتزلة ـ وفي الأخير أورد أركان الإسلام والإيمان.بهذا الشكل جاءت هذه العقيدة شاملة معظم الأبواب التي عادةً ما تتطرَّق لها المتون الأشعرية السّابقة لها واللاّحقة مع التّقديم والتّأخير في الموضوعات.

هـ ـ أهمِّية المخطوط: تكمن أهمية نص "الفصول الجامعة والحدود المانعة" في أنّ صاحبه الذي عُرف فقط بكتابه "عنوان الدراية" في فن التراجم والبرامج إلى جانب منصبه كقاضي، لكن اهتماماته العلمية الأخرى مجهولة في ظل تراجمه الشّحيحة، وعدم ذكره هو نفسه لمؤلفاتِه، وكذلك فهو يضيف نص جديد لمؤلفات البجائيين الذين لا نعرف الكثير عن النصوص الكاملة لمؤلفاتهم إلاّ القليل منها مقارنة بالعناوين التي تُذكر لهم ضمن تراجمهم. كُتب هذا النص في فترةٍ كانت السيطرة المعرفية العقائدية لصالح كلٍ من المرشدة لأبي عبد الله محمد بن تومرت (٥٢٤هـ / ١١٢٩م) والعقيدة البرهانية للسلالجي؛ حيث لم يكن لعقائد أخرى القدرة على منافسة الزّخم السِّياسي الذي رافق المرشدة، ولا ما مميّز صاحب البرهانية من تعدّد تلاميذته وتميزهم حتى ظهور عقائد السنوسي خلال القرن التاسع الهجري / ١٥ م[1]؛ لذلك يمكن القول بأنّ عدم شهرة عقيدة الغبريني يعود في رأيي إلى تلاميذته الذين لم يشتهروا بالأخذ عنه. لكن قيمة النص تكْمن في عدم النَّظر إليه بمعزلة عن النصوص الأخرى التي أُلِفت في الفترة التي أصبحت الأشعرية لصيقة بكل من ينتمي لبلاد المغرب مثل المذهب المالكي فقهًا، ومنه فإنَّ هذا النص وإلى جانب نصوص أخرى تقدِّم لنا تطور التصنيف في المجال العقدي حتى ظهور عقائد السنوسي التي أصبحت لها السيطرة شبه المطلقة في هذا المجال المعرفي، ومن ثم لا يمكن رصد قيمة النص إلا بوضع قائمة للمؤلّفات الكلامية والعقائدية مرتّبة زمنيًا بكل من قلعة بني حماد ثم بجاية وقسنطينة منتهين بتلمسان، دون إهمال الحواضر المغاربية الأخرى التي شكّلت عنصر التفاعل معها مثل: القيروان وتونس وفاس ومراكش وغيرها، ومن خلال هذه القائمة يمكن أن نقف على التّراكم المعرفي في العقيدة الأشعرية الذي أنتج في الأخير التلمسانيين أحمد بن زكري وأبا عبد الله السنوسي، وهو العمل الذي يبقى مفقود حاليًا وأعمل على إنجازه.

ي ـ وصف المخطوط: هذا النص المخطوط موجود بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط ضمن مجموع رقم: ١٢٣٣٨ ضمن مجموع من ٧٥ ب إلى ٧٨ ب، مقياس ١٧,٥ x ١٢,٥ ومسطرته ٢٠ سطرًا، وهي نسخة يتيمة ـ لحد الآن ـ قد بدأت تنال منها الخروم حسب المفهرسيْن الذيْن يصفان الخط بـ:

(١) في الفترة الممتدة بين القرنين السادس والتاسع الهجريين يوجد الكثير من العقائد الأشعرية التي ألفت ولم تشتهر بالتداول ببلاد المغرب بسبب السيطرة المطلقة لكل من المرشدة والبرهانية. انظر: خالد زهري: المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية، المجلد الأول، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ٢٠١٧، ص.١٣١ وما بعدها.

"مغربي، مجوهر، جميل جدًا، مع استعمال الخط العريض للعناوين ورؤوس الفقر دون ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ"، إضافةً إلى ذلك ذكرَا أنّه ورد في الورقة ٣٥ ضمن المجموع الذي يحتويه هذا النص تملُّك باسم محمد بن قاسم الزجالي[١]، لكن في الورقة ٧٥ أ ـ في بداية نص هذه العقيدة ـ وفي أعلى يسار الصفحة نجد أنَّ تملُّك هذا المخطوط انتقل بين شخصين على الأقل، وقد وردت العبارة كالآتي: "الحمد لله تملكه بالشرط الصحيح علي بن أبي الف [...] الشامي الخزرجي لطف الله به وبم[...]" ثمَّ تليها ثلاثة أسطر مشطوبة، السطر الأول منها مشطوب بشكل كامل ولا نميّز منه سوى الكلمة الأولى " ثمَّ " أمَّا السطران الآخران فهما مشطوبان بخط واحد فقط فوق الكتابة، حيث نميَّز " محمد بن قاسم [...] وفقه الله [...] " وفي أسفل هذه السُّطور نجد ما يأتي: " ثم لعبد الله محمد ابن قاسم الزجالي وفقه الله " وربما تكون السطور المشطوبة هي خطأ قام بإعادة كتابة الإسم أسفله. ويذكر المفهرسان أنّ النّص به تعقيبة مائلة واستعمال خط عريض للعناوين رؤوس الفقر[٢]، لكن ما لاحظته في هذا النّص عدم وجود التعقيبة وربما هي موجودة في النصوص الأخرى للمجموع، أمّا الخط العريض فلم يستعمل إلاَّ في بداية النّص بقوله: " قال الفقيه الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني رحمه الله "، أمَّا بداية الفقرات، فعلى الرغم من أن كلمة "فصل" وردت خمس مرات في النص إلاَّ أنها لم تكتب إلاَّ مرَّة واحدة بخط عريض في الصفحة ٧٧ أ.وفيما يخص المجموع، فهو يحتوي في مُجمله على اثني عشر نصّا متعدِّد الموضوعات، و"الفصول الجامعة" هو النص العقدي الوحيد فيه، وهذه النصوص حسب العلوم التي تنتمي إليها هي:

١ ـ **في أصول الفقه ومصطلحاته:** نصّان لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي (ت.٤٧٤ هـ / ١٠٨٢ م) وهما نصَّان محققان:

- إحكام الفصول في أحكام الفصول.
- كتاب الحدود.

٢ – **في علمي العَرُوض والقافية**:

أربعة نصوص هي:

- القصيدة الخزرجية في العروض والقافية لضياء الدين أبو محمد عبد الله الخزرجي الأندلسي (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)، وتشتهر هذه القصيدة بتسمية "الرّامزة" كذلك وهي مشهورة ولها شروح عديدة.
- الإشارة الجليّة في حل رموز الخزرجية لأبي القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي الزموري (ت.٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) وهي محقّقه.
- أرجوزة في البحور الشعرية لأبي البقاء صالح بن يزيد الرّندي (ت.٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)

(١) خالد زهري و عبد المجيد بوكاري: فهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية بالخزانة الحسنية، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنبين، ج.٢، منشورات الخزانة الحسنية، الرباط، ٢٠١١، ص.٨٢٨.

(٢) نفسه.

وله عدَّة نصوص مشهورة.

- شواهد البحور الشعرية لمؤلف مجهول.

٣ – في النحو:

- مسوِّغات الابتداء بالنكرة لأحمد بن محمد بن علي الأصبحي العِنَاني[١] الأندلسي الدمشقي (ت.٧٦٧هـ / ١٣٦٦م) وهي محققة[٢].

٤ ـ في مدح الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم:

- حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبيّ المختار لحازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني (ت.٦٨٤هـ / ١٣٨٦م) وهي منشورة ضمن ديوانه[٣] ووردت في مصادر عديدة[٤].

٥ – في علم الحديث والرجال:

- شرف الطالب في أسنى المطالب وذيله بكتاب الوفيات لأبي العبّاس أحمد بن حسن بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني (ت.٨١٠هـ / ١٤٠٧م) وهما مطبوعان كلُ على حِدى.

٦ – في علم الفراسة:

- مقالة في علم الفراسة لأرسطو طاليس.

٧ – في علم الفلك:

- اليسارة في تقويم الكواكب السيارة لأحمد بن محمد بن البناء المراكشي (ت.٧٢١هـ / ١٣٢١م).

ويبدو أنّ هذا المجموع غير متناسق موضوعيًا، وربّما لا يمثل في حد ذاتِه مجموعًا واحدًا ذلك أن النُصوص مكتوبة بأقلام وخطوط مختلفة، إضافةً إلى أنّ التملكات غير موجودة في بداية المجموع وإنّما وردت الورقة ٧٥ أ، ذلك أنّه من عادة المجاميع المخطوطة المغاربية احتوائها على موضوعات مرتبة بداية بالفقه المالكي ثم أصوله ونص في العقيدة الأشعرية وعلوم الحديث ونصوص صوفية، وهذه المجاميع جامعة لأهم العلوم المُحصّلة.

---

(١) اختلف في نسبته لكن أغلب كتب التراجم تلقبه بالعُنّابي. انظر: بن الجزري (شمس الدين أبي الخير الدمشقي): غاية النهاية في طبقات القرّاء، نشر: ج.برجستراسر، ج.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ص.١١٥ و١١٧.

(٢) حميد الدين (نصِّار بن محمد): التذكرة في تسويغ الابتداء بالنكرة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٥٣، ص.ص.٤٠٣ – ٤٦٧.

(٣) القرطاجني (حازم بن محمد): الديوان، تحقيق: عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت،١٩٦٤، ص.ص.٨٩ -٩٦.

(٤) منها: العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد): رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط.٢، دار سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥، ص.ص.٥٢٤ – ٥٣٠؛ المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): أزهار الرياض في أخبار عياض، تح.مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢، ص.ص.١٧٨ – ١٨٤.

صفحة عنوان المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

الفصول الجامعة والحدود المانعة في أصول المعرفة بالله تعالى لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت: ٧٠٤ هـ/ ١٣٠٥ م)

نص العقيدة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

صلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلِّم تسليمًا

قال الفقيه القاضي أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني رحمه الله: الحمد الله الذي جعلَ السَّعادتين منُوطتيْن بمعرفته ومرتبطتيْن بعدها باتّباع ما أمر واجتناب ما نهى عنه في شِرعته وصلواته وسلامه على سيّدنا محمد نبيّه وخيرته من خليقته وعلى آله وأصحابه وأنصاره وعترته.

أمّا بعد:

[في أنَّ السَّعادة سعادتان عاجلة وآجلة]

فليعلم أهل العالم أنَّ السَّعادة سعادتان عاجلةٌ وآجلة، وأنَّهما سمعًا وعقلاً مطلوبتان، وإنّه لا تصحُّ واحدةٌ منهما فكيف بمجموعِهما، إلاَّ بالعِلم بالله أوَّلاً، وبمعرفة الأوامر والنواهي واستعمال مقتضاهُما ثانيا. والعِلم بالله تعالى هو الأصل الذي عليه البناءُ، والأساس المُوصِل للمُنى والذي به يُستضلُّ.

وقد اقتضى النَّظرُ الإلهي والباعِثُ الرَّبَّانيُّ جَمْعَ **فصولَ جامعةٍ، وحدود مانعةٍ، في أصول المعرفة بالله تعالى** وما تَسْتتبِعه، فينتفعُ بحفظها اللَّبِيب ويظهر ذو البصيرة بها وهو المجتهد المُصِيب، وسمّيتُها **بالفُصول الجامعة والحُدود المانِعة**، نفع الله بها وجعل السَّعادتين منوطتيْن بسببهما، إنَّه وليُّ ذلك والمُنعِمُ بصلاح الحال هنا وهنالك.

[حصر الاعتقاد في هذه العقيدة]

القولُ في حَصْر القَوْلِ في هذه العقيدة، الجامعة لمعاني التَّوحيد المُمهِّدة على أصول أهل[1] السُّنَّةِ [لـ][2] ذوي النَّظر السَّدِيد والرأي الحميد.

[في النظر]

اعلم أنَّ النَّظر إمّا في ذاتِ الله أو في صِفاته، والنّظر في صفاته، إمَّا في صِفات تنْزِيهِه، وهو ما يسْتحيل عليه، أو في صِفات تمجِيده وهو ما [يج][3]بُ له، أو في صِفات أفعاله وهي الجائزة عليه.

فصل [في أنَّ تحصيل هذه العقيدة فرض عين]

اعلم هدانا الله وإياك أنَّه يجب على المكلفين اعتقاد جملة **[٧٥ ب]** ما نُورِده في هذه العقيدة، وتحصيله على سبيل فرْض العيْن، الذي لا يسع جهله ولا يسوغ لأحدٍ عن أحدٍ حملُه. ونحن نُورِد ذلك

(١) كلمة " أهل " سقطت وألحقها الناسخ في الهامش.

(٢) حرف اللام ساقط في النص المخطوط .

(٣) مكان هذين الحرفين به خرم.

من فاتحته إلى خاتمته، مستعينين بالله على الوجه الذي رأيْنا أنَّه أحرى بالصَّواب، وأعلق بألباب أولي الألباب.

فصل [في أنَّ الله تعالى موجود ووجوده عين ذاته]

اعلم أنَّ الله تعالى هو الموجود، الواجب وُجوده بذاتِه. وأنَّ وُجوده عيْن ذاتِه، وأنَّ وُجوده ووجوبه ليسَا زائديْن على ذاتِه، وأنَّه الواجب من جميع جهاته، وأنَّه هو الواحد في ذاتِه وصِفاته بكل الاعتبار وباعتبار، وخارج عن كل اعتبار، وأنَّه هو القديم الأزلي الأبدي، الباقي بِبقاء الكوْن الذي كان، ولم يكن معه شيئ، وهو الآن على ما عليْه كان.

فصل [في ذاته ومغايرتها لسائر الذوات]

وإنَّ ذاتَه سبحانه مغايِرة بذاتِها لسائر الذَّوات، وإنَّها غير مُنقسِمة ولا مُركّبة بوجه من وجوه التركيبات، لا بتركيب الأجسام من الجواهر، ولا من المواد والصُّور، ولا بتركيب الحدود من الأجناس والفصول، ولا بغير ذلك من أنواع التَّراكيب.وأنَّه غنيّ عن كل شيء، وأنّه ليس به حاجة إلى شيء، لا في ذاته ولا في صِفاته. وأنّه لا يُماثِله شيء، ولا يُشابِهه شيء، ولا يُشاكله شيء. وأنّه ليس بجوهر ولا بعرض، ولا جِسم ولا جِسماني. وأنَّه لا شريك له، وأنّه ليس بمُتحيّزٍ ولا حال في متحيِّز، وأنّه لا يتَّحِد بشيء ولا يتَّحِد به شيء، وأنّه لا يحِلُّ في شيء ولا يحِلُّ فيه من الحوادث شيء، وإنه ليس بعِلّة ولا معلول، وأنّه مُنزَّه عن الزَّمان والمكان، وعن الآلام واللّذَّات، وعن الأضرار والانتفاعات وعن كافة لواحِق الأ[جـ]سام من الألوان والطعوم والروائح [٧٦أ] والممارسات، تعالى عن كل ذلك، ليس كمِثله شيء وهو السّميع البصير.

فصل [في صفات الله تعالى]

[الحياة]

وأنَّه تعالى حيٌّ، بحياة هي صِفة له.

[العلم] عالِم بعِلم قديم مُحِيط بكل المعلومات الجُزئيات والكلِّيات، الموجودات والمعدومات، لا يتجدّد عليه شيء، ولا يخرج عن عِلمه أمرٌ.

[القدرة] وأنَّ تعالى قديرٌ بقدرة بها وقوع جميع المقْدورات، لا يخرج عن قدرته مقدور، وأنَّ لا قدرة بالحقيقة إلاَّ له، وأنَّ لا قدرة لمخلوق على شيء من الخلْق، وإنّه هو القدير على كل شيء.

[الإرادة] وإنَّه تعالى مريدٌ بإرادةٍ قديمة، هي المخصّصة لسائر الواقعات، وإنّه لا يخرج عن إرادته مرادٌ، ولا يقع في مُلكه إلاَّ ما أراد، وإنّه لا تّجدُّدَ في إرادته، وإنَّه قد أراد الأشياء أوَّلا وقدّرها وفرغ منها، فلا يخرج عن ما عَلمه وقدّره منها شيء، وإنّه خالق الخير والشّر، والهُدى والضلال، ومُرِيد

وقوع ما هو الواقع منها، جلَّ جلاله وتكمَّل جماله.

[السمع] وإنَّه تعالى سميع بسمعٍ ليس كالأسماع، محيط بكل المسموعات.

[البصر] بصير ببصر ليس كالأبصار، مُدرِك لكل المُبصرات.

[الكلام] وأنّه تعالى متكلِّم بكلام واحد غير متكثِّر، وإنّه قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت، وإنّه معنى قائم بذاته لذاته، وأنَّه كلَّم من خصَّه بكلامه من الأنبياء من غير تكييف ولا تحديد، وإنّ قوله حق، وكلامه صدق، وإنَّ القول الواصل إلينا هو كلامِه تعالى، وإنّه منزِّل الكُتب على أنبيائه، التّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والفرقانُ والألواحُ والصُحفُ.

[في أنَّ غير هذه الصفات متأوَّل]

وإنّه تعالى موصوف بالصِّفات العُلى، ومُطلقةً عليه الأسماء الحسنى، وأنَّ صِفاته التي هو موصوف بها قديمة أزلية، أبديّة واجبة قائمة بذاتِه زائدة عليها، وإنّ ما عدا هذه الصِّـ[فات] التي [وصفنا]ها، **[٧٦ ب]** والنُّعُوت التي عدَدناها، ممّا صحَّ إطلاقه عليه، فإنّه راجعٌ إليها إمَّا بحكم الظّاهر أو التأويل، وإنّه لا صفة له زائدة على هذه إلاّ ما هو راجح[1] إليها. وإنَّه لا يجوز أن يُطلق عليه من الأسماء، ولا يُنسب إليه من الأفعال، إلاَّ ما أطلق على نفسه أو نسبه إليها إمَّا في كتابه العزيز أو على لسان نبيِّه صلَّى الله عليه وسلّم، وإنَّ كل ما ورد إطلاقه عليه ممَّا يقتضي الزّمان أو المكان، أو التّكييف أو التّشبيه أو التّمرير، أو الجارحة أو النُّزول أو الصُعود أو القُرب أو البُعد أو العِمَد[2] أو الاستواء، أو المعي أو المشي أو الهرولة أو الاتحاد، فإنَّه متأوَّلٌ مردود إلى الوجوه التي يصِحُّ ردُّه إليها، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه ولا تعطيل يتأوَّلُه أهل العلم بالتَّأويل، بصرفه عن ظاهره وتحقيق معناه بما هو المقطوع به في جناب الله تعالى، ويُؤمن به من لا علم له على ما هو عليه، ويرُد عِلمه إلى علِيمه، ويُفوَّض أمره إلى خالقه، إلى أن يأتيه فيه عِلم أو تظهر له فيه صورة فهمٍ، وإلاّ فهو مأجورٌ وفي تقصيره معذور، وإنّ التّصديق بوجود ذاته، واجب وإنَّ إدراك كُنه حقيقتها مستحيل.

فصل [في أنَّ جميع ما في العالم من صنعه، وأنّه مسبوق بعدمه]

وإنّه تعالى مُحدث العالم ومُنْشِئُه ومُخْترعه بعد أنْ لم يكن شيئًا، وأنّه مسبوق بعدمه، وأنّه لم يكن في الأوّل سوى الله تعالى وصِفاته العُلى، وإنه لم يكن معه شيء وأن جميع ما في العالم صُنْعُه وفعْله، وإنّه لا تتحرك فيه ذرّة إلاَّ بإذنه و [من] أمره.

---

(١) هكذا وردت، وتقديرها " راجع.

(٢) هكذا وردت الكلمة، وتقديرها " العلو ".

[في أنَّه منزَّه عن العِلَّة]وإنّه فاعل بالاختيار والإرادة، وإنّه لا يفعل بالعلّة، وإنّه منزَّه عن ذلك.

[في أنَّ العالم ليس أبديًا]وأنَّ العالم متناهٍ في ذاتِه و و[قتـ]ه، لابُدَّ من انقضائه وتلاشِيه، وذهابه لأنّه **[٧٧ أ]** لمَّا لم يكن أزليًا، استحال أنْ يكون أبديًّا.

[في أنَّه باعث الرُّسل والأنبياء والشرائع] وأنّه باعث الرُّسل والأنبياء عليهم السَّلام إلى الأمم، فمنهم مخصوص البعث، ومنهم عامها وأنّه شرَّع لهم الشّرائع ومهَّد لهم الأديان، وإنّه لم يكن للأشياء وُرود قبل وُرود الشّرع حكم، وإنَّه لا حُسن إلا ما حسّنه الشرع ولا قُبح إلا ما قبَّحه الشرع.

[في عدم رعايته للمصالح] وأنَّه لا يجِب على الله تعالى شيء، إلاّ ما أوجبه على نفسه، بحكم خبره الذي لا يتبدَّل، وعلمه الذي لا يتحوَّل، وإنَّه لا تجب عليه رعاية المصالح، وأنَّه لا يفعل شيئا لغرض.

[في تأييده لأنبيائه بالمعجزات] وإنه أيّد الرُّسل بالمعجزات، وأجرى على يدهم البراهين الواضحات السّاطعات، إيضاحًا للحق وهداية للخلق.

[في أنَّ محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم خاتم الأنبياء وناسخ الشرائع]

وإنَّه ختم بمحمَّدٍ نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم سيِّد ولد آدم، فلا نبيَّ بعده، ونسخ شرائعهم بشريعته، فلا شريعة سوى شريعته، ولا طريقة هدًى سوى طريقته، وإنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم عام البعث بُعِث إلى الأحمر والأسود، والحر والعبد، والذكر والأنثى.

[في عصمة الأنبياء] وأنّ الأنبياء عليهم السَّلام معصومون من الصغائر والكبائر، وإنّه لا يجوز عليهم المعصية، وجميع ما ورد في أحوال الأنبياء عليهم السَّلام ممّا يقضي اقتراف ذنب أو يوهمه فإنَّه متأوَّل مردود إلى ما يدفع ذلك عنهم وبُعدهم عنه، لِما عُلِم من سنَّة الله فيهم وعصمته لهم صلوات الله عليهم.

[في أنَّ كرامات الأولياء حق] وإنَّ كرامة الأولياء حق، وإنّها من بركات اتّباع النُبوّة، والمُنكر لها محجوب عن رحمة الله، ومصروف البصيرة عن مشاهدة نور الله تعالى.

[فصل في سؤال القبر وعذابه والمعاد والشفاعة]

وإنَّ سُؤال القبر وفنائه وعذابه حق، وأنّ المِعاد والحشْر في الدَّار الآخرة حق، وأنَّ الحوْض حقٌّ، وأنَّ الميزان حق، وإنظار الصُّحف حق، وأنّ **[٧٧ ب]** الصِّراط حق، وأنَّ إنطاق الجوارح حق، وأن الكبائر لا تُحْبِط الأعمال، وأنّ العُصاة إنْ تابوا التّوبة الحقيقية جُزِم لهم بالمغفرة، وإنْ هم لم يتوبوا فهم في المشيئة، إنْ شاء عذَّبهم وإنْ شاء غفر لهم وعفا عنهم، وإنَّ طائفة من عُصاة المؤمنين تدخل النّار بمعاصيها ثمَّ تخرج منها إمَّا بعد استيفاء القِصاص أو بالشّفاعة، وإنّه يشفع الأنبياء والعلماء والشُّهداء والفُضلاء، ويشفع أرحم الراحمين حتّى لا يبقى في النَّار أحد من المؤمنين.

[فصل في وجوب نصب الإمامة]

وإنَّ نصْب الإمامة واجب على المسلمين يُحرَّم تركه، وأنَّه لا يجوز الخروج على الأئمَّة ولا مخالفة الجماعة، وإنّه يجاهَد مع كل بر أو فاجر من ولاَّة المسلمين.

[رجع إلى المِعاد]

[في أنَّ وجود الجَنَّة والنار حق] وأنّ الجَنَّة حق وأن النّار حق، وإنّهما موجودتان ومخلوقتان، محيط بهما عِلم الله تعالى، وإنّ الجَنّة هي التي أُهبِطَ منها آدم صلوات الله عليه.

[في أنَّ نعيم الجنَّة خالد، وعذاب النار لا نفاذ له للكفار]

وأنَّ الفصل بين العِباد يقع يوم العَرض، وهو يوم مقداره خمسون ألف سنة، ويقع التفريق بفريق في الجَنَّة وفريق في السّعير، وأنّ نعيم الجَنّة دائم لا انقضاء له، وعذاب النّار لا نفاذ له في حق الكفار. جعلنا الله من أهل السّعادة والرَّشاد، وحجبنا عن سوء العمل وفساد الاعتقاد إنه كريم جواد.

[في رؤية الله يوم القيامة] وإنَّ الله تعالى يُرَى في الدَّار الآخرة على ما يجب له ويستحيل عليه، من غير تكييف ولا تحديد، ولا جسامة ولا جهةٍ ولا وقت، تعالى عن كلِّ ذلك.

[فصل في الإسلام وأركانه]

وإنّ الإسلام مطلوب العمل والاعتقاد، وهو شهادة ألاّ إله إلا الله وأنّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم رمضان وحجُّ البيت [٧٨ أ] من استطاع إليه سبيلا.

[فصل في الإيمان وأركانه]

وأنّ الإيمان مطلوب العقد به، هو الإيمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بما قدَّره خيره وشرِّه، وإنَّ الإيمان الذي هو في العقد شيء واحد، إنْ حَصل حَصل بجملة، وإنْ ارتفع ارتفع بجملته، وإنّ الحقيقة فيه لا تحصل إلاّ باليقين، إمَّا بالبرهان أو بالكشف والشُّهود لأهله، وأمّا التَّقليد منه فبحكم الضّرورة ودعوى الحاجة، وهذا الإيمان لا تدخله زيادة ولا نقصان بهذا التّفسير وعلى هذا التمرير، وأمّا الإيمان الذي يُطلق على العقد والقول والعمل، تقع الزِّيادة في جُملته والنُقصان فيها.

[خاتمة]

فهذه هي جُملة عقيدة أهل السُنَّة، التي لا غِنى لكل مكلفٍ عن اعتقادها، واستعدادها ليوم المِعاد وإرصادها، أعاننا الله على تحصيلها، وتحقيق مجمل معانيها وتفصيلها، وصلواته وسلامه على سيِّدنا محمّدٍ خاتم النبيّين، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطّاهرين، والحمد الله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع:

- بريكة (مسعود): النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (٧ – ٩ هـ / ١٣ – ١٥ م)، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، دار ميم للنشر الجزائر، ٢٠١٤.
- ابن الجزري (شمس الدين أبي الخير الدمشقي): غاية النهاية في طبقات القرّاء، نشر: ج.برجستراسر، ج.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.
- الحفناوي (أبو القاسم محمد): تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ١٩٠٦.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد):ديوان المبتدأ والخبر، ج.٦، ضبطه: خليل شحادة وعلق عليه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠.
- الزركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط.٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦.
- زهري (خالد): المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية، المجلد الأول، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ٢٠١٧.
- زهري وبوكاري (خالد و عبد المجيد): فهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية بالخزانة الحسنية، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنبين، ج.٢، منشورات الخزانة الحسنية، الرباط، ٢٠١١.
- ابن الطواح (عبد الواحد بن محمد بن عبد العزيز التونسي):سبك المقال وفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥.
- العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد): رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط.٢، دار سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
- العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد): إتحاف الأخلاَّء بإجازات المشايخ الأجلاء، تحقيق: محمد النباهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩.
- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله): عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط.٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.
- ابن فرحون (أبو إسحاق إبراهيم بن علي المالكي):الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، نشر: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي): درة الحجال في أسماء الرجال، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ١٩٧١.
- القرافي (بدر الدين محمد بن يحي بن عمر): توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤.

- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني): كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط.٤، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني): أنس الفقير وعز الحقير، نشر: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥.
- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): نفح اللطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج.٥، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): أزهار الرياض في أخبار عياض، تح.مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٢.
- المِنتوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القيسي): فهرسة المنتوري تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ٢٠١١.
- النُباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي) : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشرة لجنة إحياء التراث العربي، ط.٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.
- نويهض (عادل): معجم أعلام الجزائر، ط.٢، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٠، ص.٢٤٨؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط.١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
- الوادي آشي (شمس الدين محمد بن جابر التونسي): برنامج الوادي آشي، تحقيق:محمد الحبيب الهيلة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨١.
- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي): كتاب الوفيات، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د.م.ط، د.ت.

رسالة في الكلام
عـــن الـحـجـر الأســـــود
ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة

دراسة وتحقيق

د. حسام الدين عباس الحزوري

السعودية

مقدمة المحقق

الحمد لله على نعمه وفضله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أَحمَدِ الحامدين لرب العالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد خص الله سبحانه وتعالى مكة المكرمة بخصائص لم تنالها أي مدينة أخرى في الدنيا، ومن البقع الهامة في مكة والتي حظيت باهتمام الناس على مرّ التاريخ (الكعبة المشرفة) قبلة المسلمين في كل أرجاء المعمورة. فمنذ آلاف السنين وهي المكان المقدس الذي نال احترام وتقديس الناس، سواء من الوثنيين إلى عباد النار إلى اليهود والنصارى، إلى أن أشرق نور الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي، وأصبح الحج إليها ركنًا أصيلًا من أركان الإسلام ومكانًا يأتي إليه المسلمون سنويًا من كل فج عميق، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾. فهو بيت عظيم مبارك، كثير الخيرات والمنافع والبركات، لِمَا يحصل عنده من تَنَزل السكينة والرحمات، وتكفير الخطايا والسيئات. وقد عظّم الله سبحانه وتعالى شعائر بيته الحرام، وجعل تعظيمها من تقوى القلوب للملك العلام، وأودع فيه آيات باقيات لحكم كثيرة وأسرارٍ عظيمة.

ومن تلك الآيات المشهودة التي يراها كل من عاين الكعبة المشرفة ذلك الحجر المكرّم المعظّم الذي نزل من الجنة، وهو ياقوتة من يواقيتها، وكان لونه أبيض من اللبن لكن سودته خطايا العباد.

ولعظم مكانته وفضله كانت حفاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم به كبيرة وعنايته به عظيمة، وذلك ببيان فضله الكبير، وشرفه العظيم فيما قاله صلى الله عليه وسلم وحدَّث عنه، وبما فعله صلى الله عليه وسلم من مسحه وتقبيله له، وقد قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيقين، إكرامًا له وتعظيمًا لحقه، فزاده شرفًا، وبركة على بركة، فعنده تسكب العبرات، وتجاب الدعوات، وتذهب الحسرات.

وأوزع الله عز وجل هذا الحجر المكرم في ركن بيته المعظم، ذلك الركن الذي قام على القواعد الأولى التي بناها نبي الله إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام.

وقد أفرد عدد من المؤرخين والعلماء مؤلفات خاصة عن الحجر الأسود لم يصلنا منها شيء سوى (٣) مخطوطات.

ومن هذا المنطلق قررت البحث عن إحدى المخطوطات التي تحدثت عن هذا الجزء المهم من الكعبة المشرفة، ويسر الله لي مخطوط (رسالة في الكلام على الحجر الأسود) التي هي موضوع بحثنا

لمؤلفها أحمد بن أحمد الفرقاوي؛ حيث علمت بوجود نسخة منه في مكتبة الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة لأكتشف أنها النسخة الأصلية – الأم – والتي كتبت بيد الناسخ وليست صورة مصورة عن الأصل. فمنذ أكثر من عام وأنا أعمل على تحقيق هذا المخطوط، حتى وفقني الله للانتهاء من دراسته وتحقيقه، وإخراجه للنور، لنضيف بذلك سفرًا جديدًا في سلسلة الدراسات الخاصة بمكة المكرمة، والتي أرى من وجهة نظري أن المكتبة الإسلامية والعربية في أمسّ الحاجة لمثل هذه الدراسات العلمية لإبراز المكانة العالية والخاصة والمقدسة لهذه المدينة المقدسة.

وحيث إن هذا المخطوط يتكلم عن الحجر الأسود منذ نزوله من الجنة مع سيدنا آدم عليه السلام، وعن الواضع له في الكعبة، ثم تناول الحديث عن بناء الكعبة المشرفة على يد نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، وتطرق للحديث عن الأشياء التي هبطت مع آدم عليه السلام من الجنة، وقدّم لنا صورة واضحة عن هبوط آدم مع الحجر الأسود من الجنة، وقدومه لمكة وبناءه للكعبة المشرفة، وذكر المؤلف قصة بناء الكعبة على يد قريش وعن دور رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في هذا البناء، وقدم لنا الأحاديث النبوية التي وضحت لنا أهمية هذا الحجر وعن سبب خروجه من الجنة، وعن سبب تحوّل لونه من اللون الأبيض إلى اللون الأسود.

وأوجز المؤلف في قصة بناء الكعبة على يد ابن الزبير، والحجاج، ومن جاء بعدهما، حتى آخر تجديد للكعبة جرى في العصر العثماني.

وقدم لنا المؤلف صورة واضحة عن التوسعات التي لحقت بالمسجد الحرام منذ توسعة عمر رضي الله تعالى عنه، مرورًا بعثمان رضي الله عنه، والخلفاء الأمويين والعباسيين، انتهاء بالسلاطين العثمانيين.

وأقول هنا: على الرغم من صغر حجم المخطوط إلا أنه أخذ الكثير من وقتي ودفعني للخوض في غمار المكتبات أبحث عن مصدر أو مرجع للاستفادة منه في التحقيق؛ لأن المخطوط فيه معلومات غزيرة وجميلة وشيقة عن الحرم المكي والكعبة المشرفة وما لحق بها من أضرار وتوسعات وغير ذلك.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في إخراج هذا المخطوط بالصورة الصحيحة والمفيدة بدراسته وتحقيقه حتى تعم به الفائدة إن شاء الله تعالى.

وأخيرًا نقول كما قال العماد الأصفهاني كاتب السلطان صلاح الدين الأيوبي المتوفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): "إني رأيت أنه لا يكتب أحدًا كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

وبالله التوفيق: ربي أوزعني أن أشكر نعمتك عليّ وزدني علمًا، وهذا الجهد منا، وعلى الله الاتكال.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد الفيومي[١]، المصري المشهور بالفرقاوي[٢].

مولده:

لم أهتدِ على سنة ولادته ولا نشأته من خلال المصادر والمراجع التي وفقني الله أن أطلع عليها، والكتب التي ترجمت له لم تسعفنا بشيء عن ولادته.

شيوخه وتلاميذه:

لم تذكر المصادر والمراجع أحدًا من شيوخه وتلاميذه، غير شيخه أبو عبدالله محمد الخرشي كما في الشجرة[٣]. لكن هناك رسالة للمؤلف ذكر فيها أحد شيوخه، ألا وهو الإمام العالم نور الدين والملّة علي الأجهوري[٤]، وكذلك ذكر المؤلف في رسالته التي هي محل الدراسة عددًا من شيوخه من بينهم الأجهوري الذي نقل منه في مواضع متعددة مثل اللوحة (١-٢-٨).

مكانته العلمية:

وصفه المترجم الشهير عمر رضا كحالة بأنه (عالم شارك في العلوم)[٥]، في حين قال عنه المؤلف الشهير خير الدين الزركلي بأنه (فاضل من المالكية والشيخ العلامة المحقق الفاضل)[٦].

مذهبه الفقهي:

إن صاحب الرسالة يُعدّ من علماء المالكية؛ حيث إن الزركلي وصفه بأنه (فاضل من المالكية)، وكذلك إن الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن محمد الملقب بعليش شيخ المالكية بمصر وفقيهها، نقل عنه في كتابه المسمى (فتح العلي المالك على مذهب الإمام مالك) ملخصًا لما جاء في رسالته (مسألة في

(١) نسبة إلى الفيوم – بفتح الفاء وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخرها ميم بعد الواو – وهو موضع بأرض مصر. كما في التهذيب.

(ابن الجزري): عز الدين بن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب) دار صادر – بيروت – ١٤٠٠هـ -ج٢ص٤٥٣

(٢) وقع محقق (رسالة في تحقيق الخلو عند المالكية) د. أحمد الحبيب في وهم عندما أطلق عليه لقب الغرقاوي وقال الفرقاوي نسبة إلى قرية (الغرق) من أعمال محافظة الفيوم.

(الفرقاوي): أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن (رسالة في تحقيق الخلو عند المالكية) تح: أحمد الحبيب – مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية – العدد (٣٣) – مجلد (١٧) – ١٤٣٠ ص٥٣١.

(٣) (مخلوف): محمد (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) دار الفكر – بدون تاريخ – ص٣١٧.

(٤) الفرقاوي: رسالة في تحقيق الخلو، ص٥٣٢.

(٥) (كحالة): عمر رضا (معجم المؤلفين) نشر مكتبة المثنى ببغداد – دون تاريخ – ج١ ص١٥٢.

(٦) (الزركلي): خير الدين (الأعلام) دار العلم للملايين – ط١٤- بيروت ٠ ١٩٩٨- ج١ ص٩٢-٩٣.

الخلو عند المالكية) في إحدى فتاواه[1].

كما ذكر في الرسالة التي بين أيدينا أن من أئمته الباجي المالكي في اللوحة رقم (٥) وقد جاء في أول صفحة من هذه الرسالة، وهي صفحة العنوان وصفه بأنه مالكي المذهب.

مؤلفاته العلمية:

من خلال عملية البحث في المصادر والمراجع بهدف الوصول إلى مؤلفات العلامة الفرقاوي، وفقنا الله للوصول إلى كل ما توفر في المصادر والمراجع الموجودة بين أيدينا في المكتبة العربية، ومؤلفات الفرقاوي شملت كتب ورسائل، ونلاحظ أن الأغلبية من مؤلفاته كانت رسائل وبعضها مجموع في كتاب واحد.

وهنا سوف نسرد هذه المؤلفات كما جاءت في المصادر والمراجع المتوافرة لدينا وهي كالآتي:

١- حاشية على شرح القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ت (٩١٠هـ) لإيساغوجي في المنطق[2].

٢- حسن السلوك في معرفة آداب الملك والملوك[3].

٣- رسالة في إثبات واو الثمانية[4]، وهي مخطوطة كما ذكر الزركلي[5].

٤- رسالة في تحقيق مسألة الخلو عند المالكية[6].

---

(١) (عليش): محمد أحمد (فتاوى عليش، فتح العلي المالك) مطبعة مصطفى البابي بمصر – ١٩٥٨ ج٢ص٢٤٧-٢٤٩.

(٢) (البغدادي): إسماعيل باشا (هدية العارفين) دار الكتب العلمية – بيروت – ط٤- ١٩٩٢ ج١ ص١٦٢، كحالة: معجم المؤلفين ج١ ص١٥٢.

(٣) البغدادي: هدية العارفين ج١ ص١٦٢، كحالة: معجم المؤلفين ج١ ص١٥٢، الزركلي: الأعلام ٩٢/١.

(٤) المقصود بواو الثمانية: الواو المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [سورة الزمر: ٧١-٧٣] والواو الثامنة هنا (.... وفتحت أبوابها ....) كما زعم المؤلف وغيره مستدلين بذلك على أن أبواب الجنة ثمانية، وقد خطأ ابن كثير هذا الزعم قائلًا: (وإنما يستفاد ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك كما في تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبوا لفداء إسماعيل (تفسير القرآن العظيم) نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة، ط١- بدون تاريخ – ج٤ ص٦٦، (القرطبي): محمد بن أحمد (الجامع لأحكام القرآن) المعروف (تفسير القرطبي) مصورة عن ط٣ – بمطبعة دار الكتب المصرية – نشر دار القلم – ١٩١٦- ج١٥ ص٢٨٦.

(٥) الزركلي: الأعلام ج١ ص٩٣.

(٦) وقد تم تحقيق هذه الرسالة على يد الدكتور أحمد بن إبراهيم الحبيب ونشرت في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها – ج ١٧، العدد (٣٣) – ١٤٢٦ ص٥٣- ٥٩٤.

٥- القول التام في بيان أطوار سيدنا آدم وخلقه عليه السلام[١].

٦- الإشارات والدلائل إلى ما في الديك من الصفات والفضائل[٢].

٧- رسالة في الكلام على الحجر الأسود ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة. وهي التي وفقني الله عز وجل لتحقيقها ودراستها ونشرها .

والمؤلفات الثلاثة الأخيرة موجودة ضمن مجموع واحدة جاء ترتيب هذه المؤلفات في هذا المجموع وفق الآتي:

أ- رسالة في الكلام عن الحجر الأسود ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة.

ب- الإشارات والدلائل إلى ما في الديك من الصفات والفضائل.

ج- القول التام في أطوار سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام.

٨- كشف النقاب والران عن وجوه محذرات أسئلة تقع في بعض سور القرآن[٣].

٩- رسالة تسمى: وصلة الطالب لدوام صحبة الصديق والصاحب[٤].

١٠- رسالة في ختم بعض سور القرآن العظيم[٥].

١١- رسالة حفظ العهد بحسن الوفا بالوعد[٦].

هذه هي المؤلفات التي وفقني الله تعالى وأرشدني للوصول إليها. في حين ذكر الدكتور أحمد بن إبراهيم الحبيب في حديثه عن مؤلفات الفرقاوي من خلال تحقيقه لرسالة الخلو عند المالكي أن الذي توصل إليه من مؤلفات للمؤلف الفرقاوي بلغ (٦) مؤلفات فقط.

وفاته:

لم تسعفنا المصادر والمراجع عن سنة وفاة المؤلف؛ حيث اختلفت سنة وفاته من كتاب لآخر مما

(١) البغدادي: هدية العارفين ج١ ص١٦٢، الزركلي: الأعلام ج١ ص٩٣، كحالة: معجم المؤلفين ج١ ص١٥٢.
كذلك ذكر المؤلف أنه كتب رسالة عن آدم عليه السلام بعنوان (القول التام في أطوار آدم عليه الصلاة والسلام) في اللوحة رقم (٧) من المخطوط الذي هو محل عملنا.

(٢) (الفرقاوي): أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن (الإشارات والدلائل على ما في الديك من الصفات والفضائل). مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٣٤٣٩).

(٣) البغدادي: هدية العارفين، كحالة: معجم المؤلفين ج١ص١٥٢، الزركلي: الأعلام ج١ ص٩٢.

(٤) وقد ورده اسم هذه الرسالة على اللوحة الأولى من المخطوط (لوحة العنوان) من ضمن ما ذكر الناسخ من أسماء مؤلفات الفرقاوي.

(٥) ورد ذكر هذه الرسالة من ضمن ما ذكره الناسخ من مؤلفات الفرقاوي – رحمه الله – على اللوحة الأولى من المخطوط (لوحة العنوان)..

(٦) ورد ذكر هذه الرسالة من ضمن ما ذكر على اللوحة الأولى من المخطوط الذي بين يدينا.

اضطرنا الترجيح وبعون الله تمكنا من تدقيق سنة وفاته وضبطها بشكل صحيح فقد أرخ الكاتب خير الدين الزركلي أن سنة وفاته هي (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)[١]، في حين اختلف معه إسماعيل باشا صاحب هدية العارفين في ذلك وذكر أن سنة وفاة المؤلف هي (١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)[٢].

ولكن التاريخ الأخير هو المرجح عندنا وذلك بسبب ما يأتي:

جاء في آخر رسالة المؤلف (رسالة في الخلو عند المالكية)[٣] أن الفراغ من جمعها كان في سنة أربع وثمانين وألف (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٤م)، ومما يدل كذلك على ما رجحناه أن تاريخ وفاة شيخه أبي عبدالله الخرشي كان سنة (١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)[٤] فهذه قرينة تضعف ما ذهب إليه الزركلي بالنسبة لسنة وفاته.

رسالة في الكلام الحجر الأسود ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة:

لم تكن هذه الرسالة هي الرسالة أو المؤلف الوحيد للفرقاوي – رحمه الله – كما بينا سابقًا، وإنما كتب غيرها العديد من المؤلفات.

وهنا نسأل ما الدافع الذي دفع المؤلف لوضع هذه الرسالة؟

وهنا نجد أن المؤلف لم يضع هذه الرسالة بشكل مستقل. وإنما كانت نهاية كتاب مجموع تضمن عدة رسالة للمؤلف وهي:

١- الإشارات والدلائل إلى ما في صوت الديك من الفضائل.

٢- القول التام في أطوار سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام.

٣- رسالة في الكلام عن الحجر الأسود ومن الواضع له، وعن سبب خروجه من الجنة.

وكان الدافع له في كتابة هذه الرسالة حسب ما ذكر المؤلف "قد سُئلت عن سبب خروج الحجر الأسود من الجنة، وهل هو حجر على حقيقته؟، أو من الجواهر؟، ومن الواضع له في الكعبة؟، وما وجه تسميته بالأسود؟، وهل لتقبيله أصلٌ في السنة؟، وعن سبب نزول بيت الله الحرام من السماء؟".

إذًا فقد كان السبب في تأليف هذه الرسالة هو الرد على الأسئلة التي وردت على المؤلف.

ويتضح لنا من خلال هذه الأسئلة التي وردت للمؤلف أنه كان عالمًا بالدين والتاريخ معًا. وعلى دراية بمثل هذه الأمور، مما دفع الناس للإقبال عليه والاستفسار منه عن هذه المواضيع المتنوعة.

---

(١) الفرقاوي: مسألة في الخلو عند المالكية ص٥٣٣.

(٢) الزركلي: الأعلام ج١ ص١٩٢.

(٣) البغدادي: هدية العارفين ج١ ص١٦٢.

(٤) الفرقاوي: مسألة الخلو ص٧٥.

وصف المخطوط:

المخطوط يقع في ست صفحات في كل صفحة لوحتان، فيكون عدد اللوحات (١٢) لوحة، بالإضافة إلى صفحة الغلاف، وهذه الصفحات تحمل الأرقام من (١-١٢). متوسط عدد الأسطر في كل لوحة (٢٣) سطر، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١١) كلمة، وكتب المخطوط بخط الثلث وهو بحجم صغير وواضح إلى حدٍ ما.

وكانت هناك أخطاء إملائية في رسم بعض الأحرف، وكأن يرسم الهمزة ياء، وفي كثير من الأحيان رسم الألف المقصورة في آخر الكلمة بوضع نقطتين تحتها، وكذلك رسم الألف الموضوع عليها همزة من دون همزة مثال (سالت) يرسمها (سالت) أو (سيلت) فكثيرًا كان يسقط حرف الهمزة.

بالإضافة إلى أن الناسخ أهمل وضع النقاط في كثير من الكلمات، فرسما لحروف المنقوطة من دون نقاط.

والنسخة التي بين يدينا هي نسخة وحيدة في العالم وهي الأصل، موجودة في مكتبة الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة تحت رقم (٣٤٣٩) ضمن مجموع وعددها (٣) رسائل. وجاء ترتيب المخطوط الذي بين يدينا رقم (٢) حيث ورد ذلك على صفحة الغلاف للعنوان عند البحث عن نسخة أخرى من هذا المخطوط لم نستطيع العثور على نسخة ثانية أو نسخة مصورة، وذلك لنتمكن من مقابلتها مع النسخة الموجودة بين أيدينا. لذلك تعتبر هذه النسخة وحيدة وفريدة في العالم.

وهذه النسخة خالية من أية إضافات أو زيادات أو مراجعات، والمدون عليها كله بخط واحد، ولا يوجد أي دليل لمراجعتها من قبل عالم آخر. أي: أنه لم يقم أي عالم أو شيخ بمراجعتها أو التعليق عليها، أو إضافة شيء على هوامشها، أو نسخ نسخة ثانية منها، حتى إننا لم نعثر على أي كتاب ورد فيه شيء من هذا المخطوط أو نقل عنه.

توثيق المخطوط وصحة نسبته للمؤلف:

يكفي لتوثيق هذه الرسالة ونسبتها إلى المؤلف ما يأتي:

هذه الرسالة ضمن مجموع مؤلف من (٣) رسائل كما ذكرنا سابقًا، ويأتي في مقدمتها رسالة بعنوان (القول التام في بيان أطوار سيدنا آدم وخلقه عليه السلام)، والرسالة الثانية هي التي حملت عنوان (الإشارات والدلائل إلى ما في صوت الديك من الفضائل)، والرسالة الثالثة هي (رسالة في الكلام عن الحجر الأسود) والتي هي موضوع بحثنا. وبما أن الرسالة الثالثة هي (القول التام في بيان أطوار آدم وخلقه عليه السلام) فحملًا لمجموع (الكتاب الكامل) اسم هذا المخطوط – القول التام – ومخطوطنا يقع ضمنه.

وكثير من كتب الببليوجرافيا[1] والتراجم ذكرت هذا الكتاب ونسبته للفرقاوي، وكذلك ذكره الأستاذ ساند بكواش في كتابه (فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام) من ضمن الكتب التي ألفت عن الحجر الأسود[2].

أهمية مخطوط رسالة في الكلام على الحج الأسود:

على الرغم من صغر هذا المخطوط وقلة عدد أوراقه إلا أن أهميته تكمن أنه المخطوط الوحيد منذ عصر المؤلف ومنذ العصور التي سبقته. حيث ذكر الأستاذ سائد بكداش أن المخطوطات التي سبقت هذا المخطوط زمنيًا هي (٤) وهي الأقدم عالميًا من حيث كتابتها. ويعد عملنا في تحقيقها هو سبق لنشر موضوع الحجر الأسود من خلال هذا المخطوط. وقد أثنى الأستاذ بكداش على هذا المخطوط بعد إطلاعه عليه حيث وصف هذا المخطوط بقوله: (هي رسالة صغيرة الحجم في خمس لوحات، مع استطرادات كثيرة على صغر حجمها) [3].

لذلك يمكننا القول إن هذا الكتاب هو الأقدم والوحيد والأوحد حتى يومنا هذا عن الحجر الأسود (من خلال تحقيق مخطوط) فندعو بالرحمة مقرونة بالشكر للفرقاوي الذي فطن إلى وضع كتاب عن هذا الجزء المهم من الكعبة المعظمة زادها الله شرفًا، وأتاح لي الفرصة لإخراجه إلى النور محققًا علميًا.

(١) البغدادي: هدية العارفين: ج١ ص١٦٢، الزركلي: الأعلام ج١ ص٩٢- ٩٣، كحالة: معجم المؤلفين: ج١ ص١٥٢.

(سركسي): يوسف إليان (معجم المطبوعات العربية والمعرّبة) طبع مصر – ١٩٢٨- ص١٤٧٥، فرس الخزانة التيمورية، نشرتها دار الكتب المصرية – ١٩٤٨- ج١ ص٢٠٤، ج٣ ص٢١٧.

(٢) (بكداش): سائد (فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام) دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط٤- ١٤٢٢هـ ص١٧.

(٣) بكداش: الحجر الأسود ص١٧.

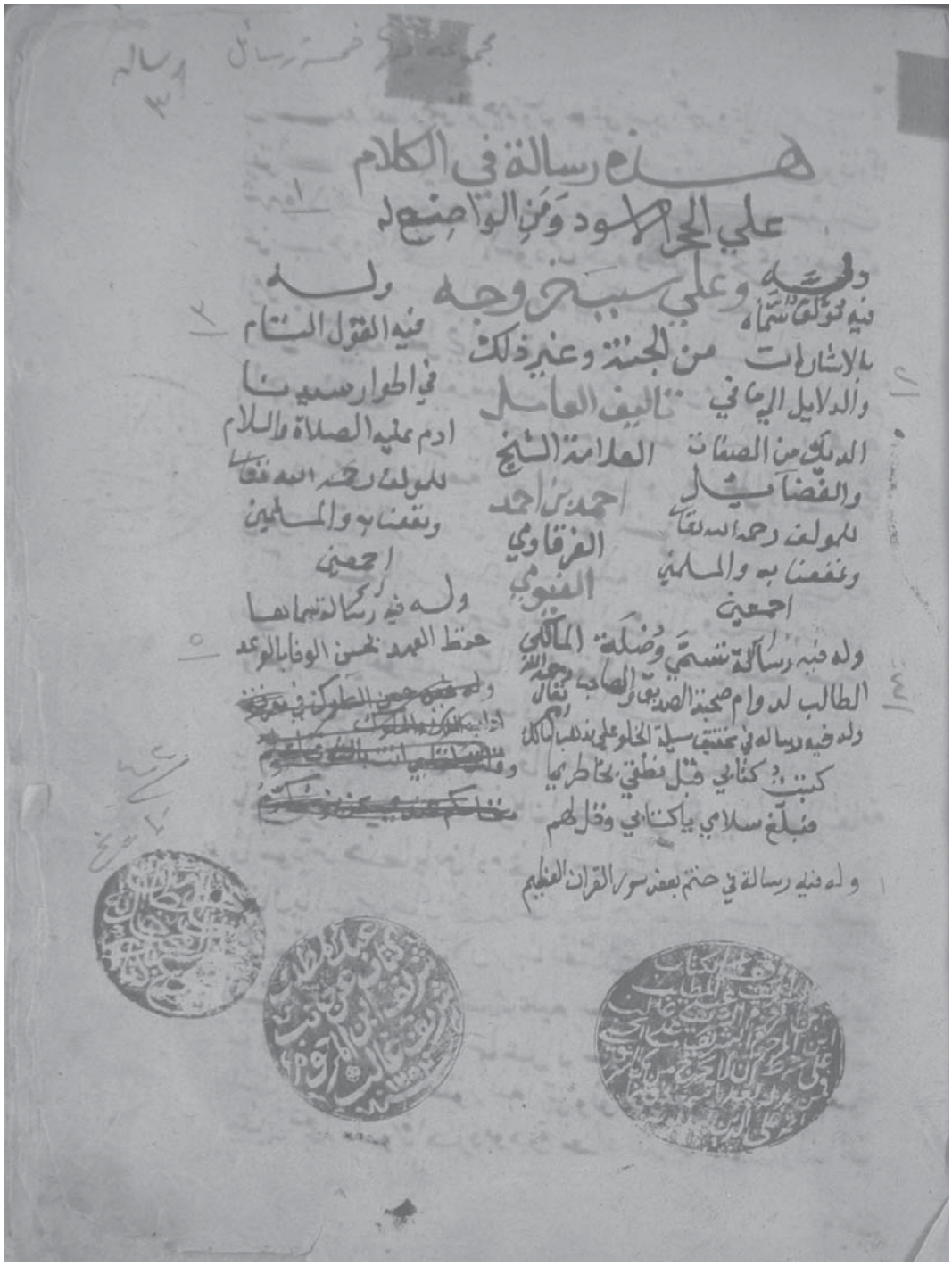
هذه رسالة في الكلام
على الحجر الأسود ومن الواضع له
وعلى سبب خروجه من الجنة وغير ذلك
تأليف العالم
العلامة الشيخ
أحمد بن أحمد
الفرقاوي
الفيومي
المالكي
رحمه الله تعالى

لوحة العنوان في المخطوط

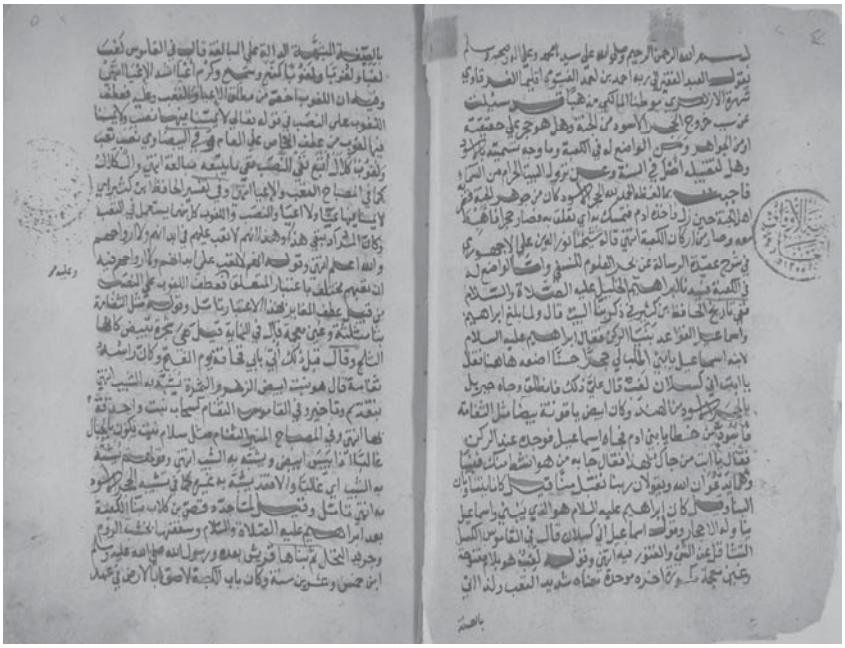

اللوحة الأولى والثانية من المخطوط

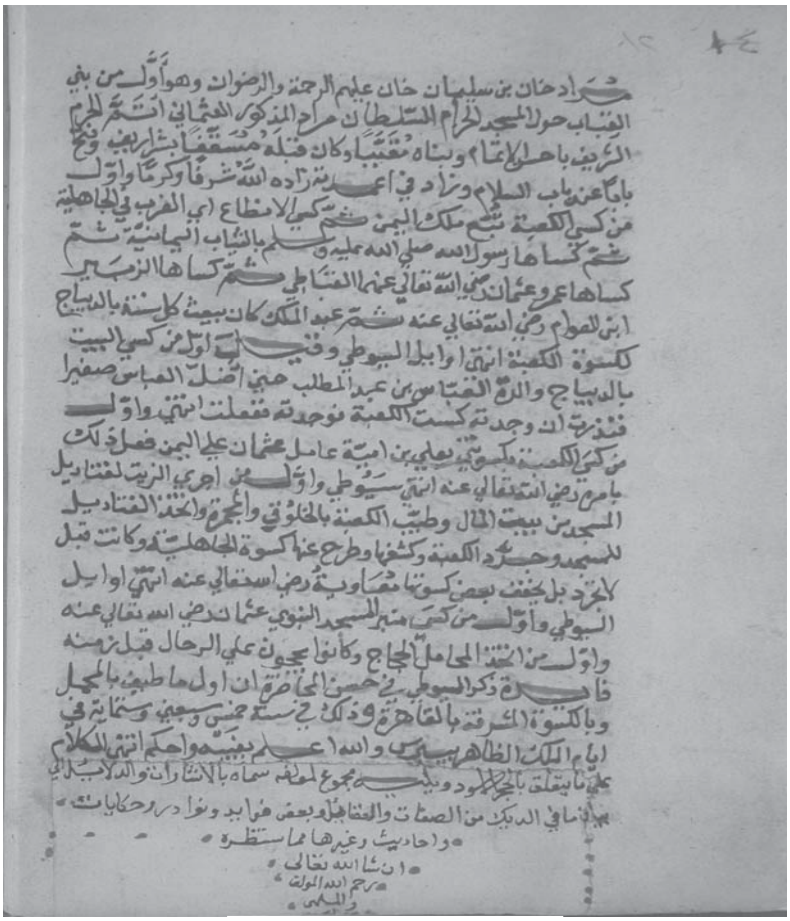

اللوحة الأخيرة من المخطوط

الكعبة المشـــرفة

(قبلة المسلمين)

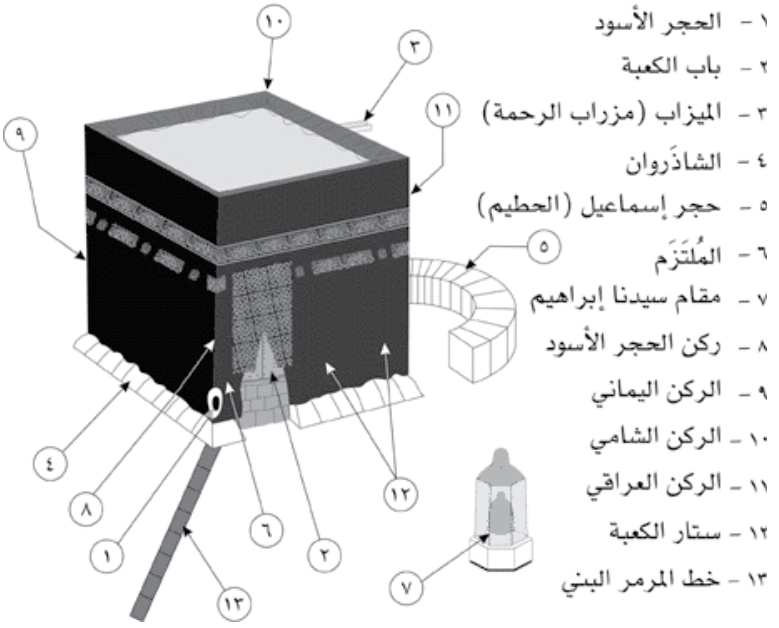

صورة توضح موضع الحجر الأسود من الكعبة

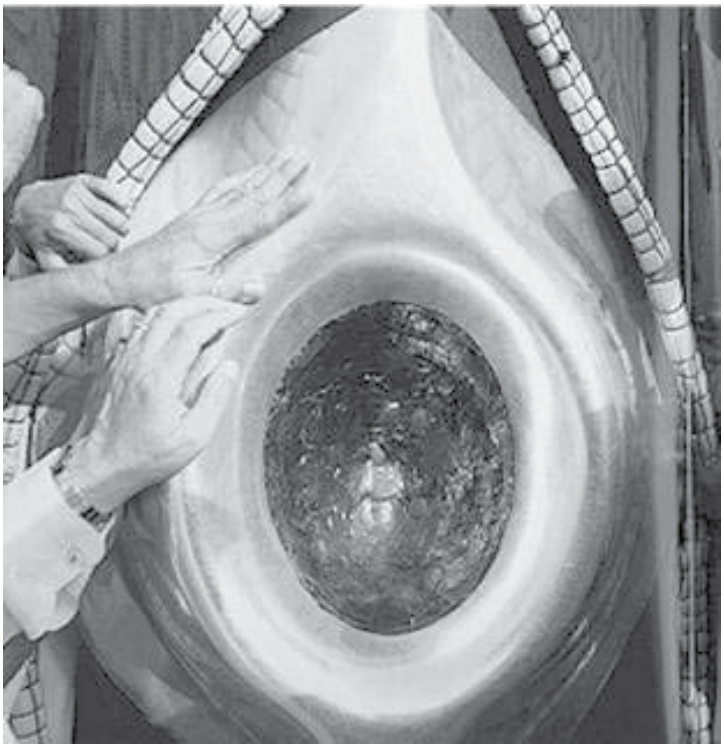

صورة توضح الحجر الأسود فى يومنا

صورة توضح الحجر الأسود وموضعه في الكعبة

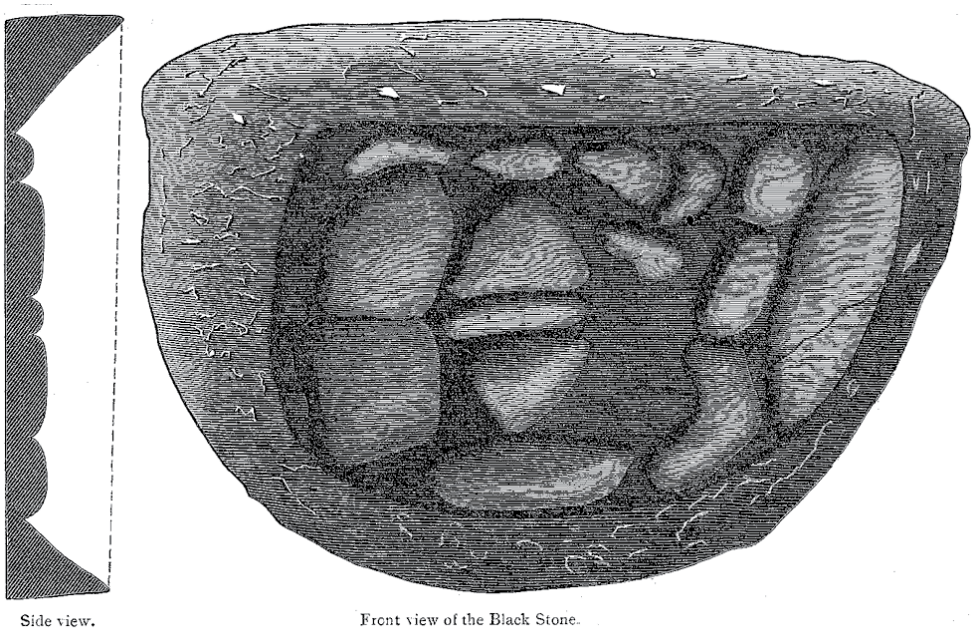

الحجر الأسود من كتاب وليم مور

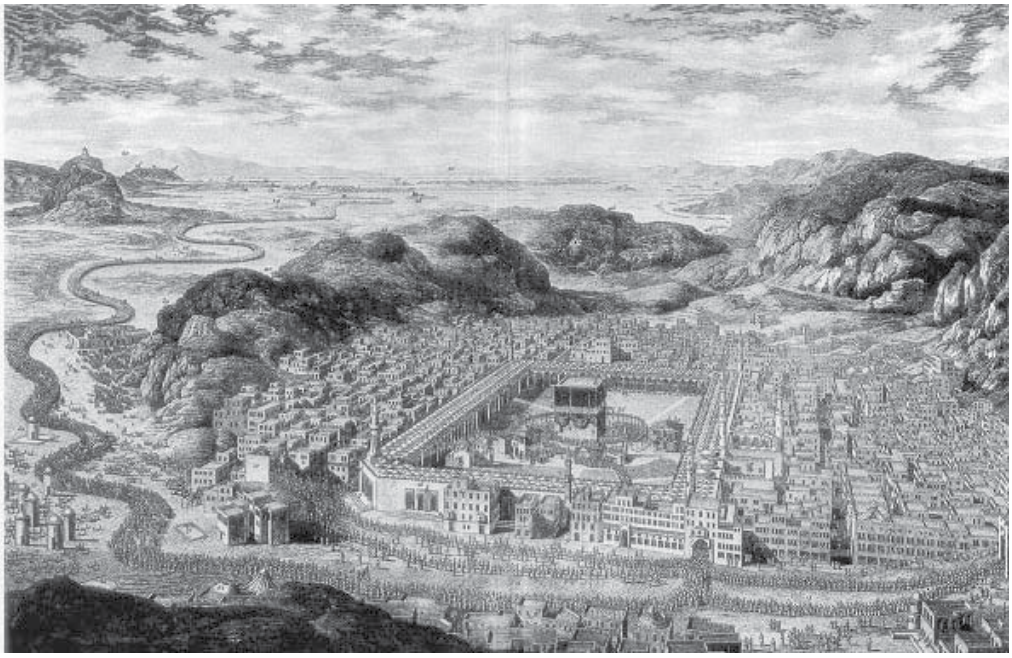

صورة تمثل الكعبة المشرفة سنة ١٨٥٠م

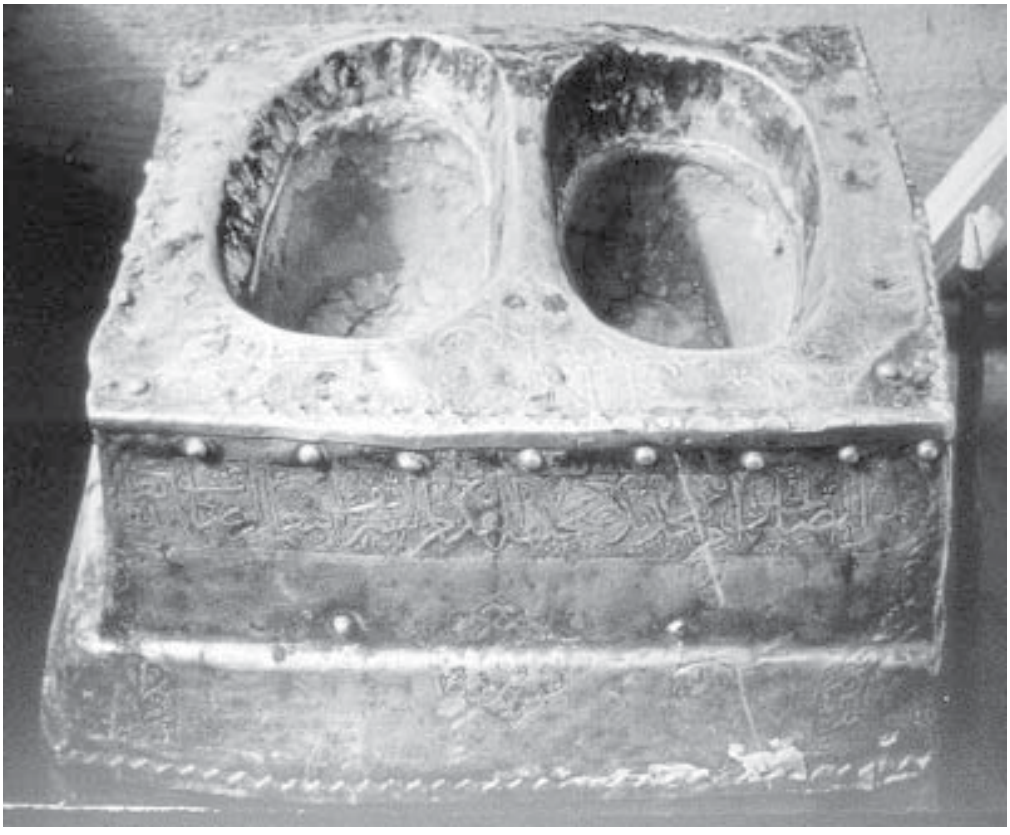

صورة توضح مقام إبراهيم الخليل عليه السلام

النـص

المحـقـق

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول العبد الفقير إلى ربه أحمد بن أحمد الفيومي إقليمًا، الفرقاوي شهرة، الأزهري موطنًا، المالكي مذهبًا، قد [سئلت] (٢) عن سبب خروج الحجر الأسود من الجنة، وهل هو حجر على حقيقته، أو من الجواهر. ومن الواضع له في الكعبة، وما وجه تسميته بالأسود، وهل لتقبيله أصلٌ، في السُنّة. وعن سبب نزول البيت الحرام من السماء.

فأجبت بما لفظه:

الحمد لله، الحجر الأسود كان من جوهر الجنة فضربه أهل الجنة حيث زل، فأخذه آدم فتمسك بهP أي تعلق به، فصار حجرًا، فأهبط معه، وصار من أركان الكعبة(٣)، انتهى.

قال شيخنا نور الدين علي الأجهوري(٤) في شرح عقيدة الرسالة عن بحر العلوم النسفي.

وأما الواضع له في الكعبة فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ففي تاريخ(٥) الحافظ بن كثير في

---

(١) بداية اللوحة الأولى من المخطوط.

(٢) رسمها في الأصل [سُيلت].

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزل الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام، فلما أصبح رأي الركن والمقام فرفعهما، فضمهما إليه وأنِسَ بهما" .

(الأزرقي): محمد بن إسحاق (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) تح: عبد الملك بن دهيش – مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة- ط١٠- ١٤٠٧هـ - ٣٢٥/١.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم)).

(الترمذي): محمد بن عيسى (سنن الترمذي) تح: أحمد محمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت – ج٣ - ص٢٢٦. وقال حديث حسن صحيح.

(ابن خزيمة): محمد بن إسحاق النيسابوري (صحيح ابن خزيمة) تح: مصطفى الأعظم – شركة المطبوعات السعودية – الرياض – ط٢ – ١٤٠١- ج٤ - ص٢٢٠.

(٤) علي بن زين العابدين محمد بن أبي محمد زين الدين عبد الرحمن أبو الإرشاد الأجهوري نسبة إلى أجهور الورد قرية بريف مصر، شيخ المالكية في عصره، فقيهًا، محدثًا، وقد جمع الله له بين العلم والعمل، برع في الفنون فقهًا وعربية وأصلين وبلاغة ومنطقًا، من مؤلفاته: (شرح عقيدة الرسالة)، (شرح ألفية السيرة للزين العراقي) توفي سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) في القاهرة.

(المحبي): محمد أمين بن فضل محب الدين (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) دار صادر – بيروت – ط١ – ١٩٩٦- ج٢ - ص٢١٦.

(٥) (ابن كثير): الحافظ إسماعيل بن عمر (البداية والنهاية) مكتبة المعارف – ط١ – بيروت – ج٣ - ص٢٢٢/ ٢٢٧.

ذكر بناء البيت قال: "ولما بلغ إبراهيم وإسماعيل القواعد بنيا الركن، فقال إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل: يا بني اطلب لي حجرًا حسنًا أضعه هاهنا. فقال: يا أبتِ إني [كسلان][1] لَغِبٌ، قال عليَّ ذلك، فانطلق [وجاءه][2] جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض ياقوتةٌ بيضاء مثل الثغامة[3]، فاسود من خطايا ابن آدم، [فجاءه][4] إسماعيل فوجده عند الركن، فقال: يا أبت من [جاءك][5] بهذا، فقال: [جاء][6] به من هو أنشط منك[7]. فبنيا وهما يدعوان الله ويقولان ربنا تقبل منا.

قيل: كانا يتناوبان البناء، وقيل: كان إبراهيم عليه السلام هو الذي يبني وإسماعيل يناوله الأحجار. وقول إسماعيل: إني كسلان، قال في القاموس الكسل: التثاقل عن الشيء والفتور فيه، انتهى. وقوله: لَغِبٌ هو بلامٍ مفتوحة وغين معجمة مكسورة آخره موحدة معناه شديد التعب، ولذا أتى[8] بالصيغة المشبهة الدالّة على المبالغة.

قال في القاموس: لَغِبَ لغبًا ولُغُوبًا كمنَع وسَمِع وكرُم، أعيا أشد الإعياء[9]، انتهى.

---

(١) الأصل [كسدان].

(٢) رسم في الأصل [جايه].

(٣) الثغامة: شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت في قُنة الجبل، وإذا يبست اشتد بياضها. والجمع ثغام. معجم قاموس المعاني.

(٤) في الأصل [فجاه].

(٥) في الأصل [جاك].

(٦) في الأصل [جاي].

(٧) روى الأزرقي رحمه الله تعالى عن ابن إسحاق في بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة المشرفة قال: ((فلما ارتفع البنيان قرب له إسماعيل المقام، فكان يقوم عليه ويبني ويحوله إسماعيل في نواحي البيت، حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود، قال إبراهيم لإسماعيل: أبغني حجرًا أضعه هاهنا يكون للناس علمًا يبدؤون منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجرًا، ورجع وقد جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود، وكان الله عز وجل استودع الركن جبل أبي قبيس حين أغرق الله الأرض زمن نوح، وقال: إذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له.

قال: فجاءه إسماعيل فقال له: يا أبتِ من أين لك هذا؟ قال: جاءني به من لم يكلني إلى حجرك، جاء به جبريل.

فلما وضع جبريل الحجر في مكانه، وبني عليه إبراهيم، وهو حينئذٍ يتلألأ. تلألؤًا شديدًا من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقًا وغربًا، ويمنًا وشامًا. قال: فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم)).

الأزرقي: أخبار مكة ج١ - ص٦٥.

(الحاكم النيسابوري): محمد بن عبد الله (المستدرك على الصحيحين)، دار الكتاب العربي – ط١ – بيروت – ج٢ - ص٢٩٢-٢٩٣.

(ابن حجر العسقلاني): أحمد بن علي (فتح الباري بشرح صحيح البخاري). المكتبة السلفية – دار الكتب العلمية – بيروت – ج٦ - ص٤٠٦.

(٨) بداية اللوحة الثانية من المخطوط.

(٩) (الفيروز آبادي]: مجد الدين محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) دار الجيل – بيروت – ط١- ١٩٩٨- ج١

وفيه أن اللغوب أخصّ من مطلق الإعياء والتعب، وعليه فَعَطف اللغوب على النصب[1] في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[2]. من عطف الخاص على العام، وفي البيضاوي: نَصَبَ، تَعِبَ، ولَغُوبٌ كلالٌ أتبَع نفي الصب نفي ما يتبعه مبالغة، انتهى.

والكلالُ كما في المصباح: التعب والإعياء، انتهى.

وفي تفسير الحافظ ابن كثير أي لا يمسنا فيها [عناء][3] ولا [إعياء][4]، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب، [وكأن][5] المراد هنا ينفي هذا وهذا [عنهم][6] أنهم لا تعب عليهم في أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم[7]، انتهى.

وقوله أنه لا تعب عليهم في أبدانهم ولا أرواحهم فيه أن تعبهم مختلف باعتبار المتعلق وعليه فعطف اللغوب على النصب من قبيل عطف المغاير بهذا الاعتبار [تأمل][8].

وقوله: مثل الثغامة[9] [بثاء][10] مثلثة وعين معجمة، قال في النهاية: "قيل هي شجرة، تبيض كأنها الثلج، وقال قبل ذلك: أُتي بأبي قحافة يوم الفتح وكان رأسه ثغامة، قال: هو [نبات][11] أبيض

-ص١٣٨.

(١) قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ اللغوب: الإعياء، والنصب هو السبب للإعياء، فإن قال قائل: إذا بين أنه (لا يمسهم فيها نصب) عَلِمَ أنه (لا يمسنا فيها نصب) ولا ينفي المتكلم الحكيم السبب، ثم ينفي مسببه بحرف العطف، فلا يقول القائل: لا أكلت ولا شبعت، أو: لا قمت ولا مشيت والعكس كثير، فإنه يقال: لا شبعت ولا أكلت لما أن نفي الشبع لا يلزمه انتفاء الأكل، وسياق ما تقرر أن يقال: لا يمسنا فيها إعياء ولا مشقة، فنقول: ما قاله الله تعالى في غاية الجلالة، وكلام الله أجلّ وبيانه أجمل، ووجهه هو أنه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا.

(الرازي): الإمام فخر الدين محمد بن عمر (التفسير الكبير)، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ٢٠٠٤م – ج١٣ - ص٢٥٦- ٢٥٨.

(٢) سورة فاطر الآية (٣٥).

(٣) في الأصل [غبار].

(٤) في الأصل [إعيا].

(٥) في الأصل [كان].

(٦) ساقطة من الأصل وتم الاستدراك من تفسير ابن كثير.

(٧) (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل (تفسير ابن كثير) دار ابن حزم – ط١ – ١٩٩٠- ج٢ - ص١٨٥.

(٨) في الأصل [تامل].

(٩) الثغامة: شجرة بيضاء الثمر والزهر، تنبت في قمة الجبل، وإذا يبست اشتد بياضها.

الفيروز آبادي: القاموس: ج١ - ص٢٠١.

(١٠) في الأصل [بثا].

(١١) في الأصل [بنت].

الزهر والثمرة، يشبه به الشيب"[1]، انتهى بتقديم وتأخير.

وفي القاموس: الثغام كسحاب نبت واحدته بهاء انتهى[2].

وفي المصباح المنير: الثغام مثل سلام نبتٌ يكون بالجبال غالبًا إذا يبست ابيض ويشبه به الشيب[3]، انتهى. وقولهم: يشبه به الشيب أي غالبًا. وإلا فقد يشبه به غيره كما في تشبيه الحجر الأسود به انتهى قائل.

وقيل لما حدّد قصي بن كلاب[4] بناء الكعبة بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسقفها بخشب

---

(١) روى ابن هشام في سيرته هذه الحادثة قائلًا: ((قالت أسماء بنت أبي بكر لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟ قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره. ثم قال له: أسلم، فأسلم، قالت: فدخل أبو بكر وكان رأسه ثغامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيروا هذا من شعره)).

(ابن هشام): عبد الملك بن هشام (سيرة ابن هشام) تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – د. ر. ت. ط – ج٤ - ص٤٥/٥٥.

(٢) الفيروز آبادي: القاموس، ج١- ص١٤٠١.

(٣) وأضاف أيضًا: ((شجرة بيضاء الثمر والزهر).

(الفيومي): أحمد بن محمد (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) الناشر مكتبة لبنان – بيروت – ط١- ١٩٨٧- ج١ - ص٣٢.

(٤) يجمع المؤرخون على أن قصيًا من ولد إسماعيل عليه السلام، فهو ((قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد))، وإن كان المؤرخون في اختلاف حتى فترة إسماعيل، ولعله أرجح وأنسب سلسلة من الأنساب هي التي قالت أن عدنان هو ((ابن أدد بن زيد بن ثرى بن أعراق الثرى))، وأما ((ثرى)) فهو نبت أو نبايوت، وأما "أعراق الثرى" فهو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام. وقد ولد قصي حسب أغلب الروايات سنة ٤٠٠م، وكان معاصرًا لأيام المنذر الأول بن النعمان ملك الحيرة (٤١٨م -٤٥٢م)، وبهرام الخامس جور ملك الفرس (٤٢٠م – ٤٣٨م).

(الطبري): محمد بن جرير (تاريخ الطبري) دار المعارف – القاهرة – ط١- ١٩٦٧ – ج٢ - ص٢٥٤-٢٧٥.

(ابن الأثير): عز الدين أبو الحسن (الكامل في التاريخ) بيروت – ط١ ٠ ١٩٦٥ ج٢ - ص١٨-٢٢.

(القلشندي): أبو العباس أحمد بن علي (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) القاهرة -١٩٥٩- ص٢٣-٢٥.

(مهران): محمد بيومي (دراسات في تاريخ العرب القديم) الرياض – ط٢- ١٩٨٠- ص٤٠٠

[الدوم] [١] وجريد النخل[٢] ثم بناها قريش بعده.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة[٣]، وكان باب الكعبة لاصقًا بالأرض في

---

(١) ما بين حاصرتين رسمها في الأصل [الروم]. والدوم هي نخلة ذات جذع اسطواني أملس داكن اللون، ذات أوراق كبيرة مروحية الشكل باهتة الخضرة، أما الثمار فكبيرة بحجم البرتقالة، ذات أضلاع غير منتظمة، والنواة في حجم البيضة ولها غلاف خشبي صلب، ويصنع من النواة أزرار ومسابح، ومن الأوراق السلال. ومن الألياف حبال متينة. ومن الجذوع سقوف المنازل. وإن خشب الدوم أصلب من خشب نخيل البلح، يقاوم الأرضة وفعل الماء، ولذا اتخذ منها قدماء المصريين التوابيت والأطواف – أي الجدران والحواجز – واتخذه أهل الواحات أنابيب للمياه. ويبدو أنه كان للمعماري المصري الذي بنى الكعبة في عهد قصي بن كلاب دورًا في الاعتماد على هذا الخشب في سقف الكعبة وكان يأتي في الغالب من مصر.

(حيدر): خليل علي (مكة قبل الإسلام المعمار والطعام) جريدة الاتحاد – الخميس ٢٧ نوفمبر ٢٠١٤م.

(أبكر): عبد الله محمد (صور من تراث مكة المكرمة) مكتبة كنوز المعرفة – جدة – ط١ -٢٠٠٩- مج-١ ص٩٥-٩٧.

(٢) كان قصي شديد العناية والاهتمام بالكعبة المشرفة، وهو زَعَمَ أنه أول من جدد بناء الكعبة بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

(الفاكهي): محمد بن إسحاق بن العباس (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) ثم: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة – ط١- ١٩٨٦- ج٢ - ص٢٧٣.

(رضا): محمد (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ص١٢.

ولكن لو راجعنا بعض الكتب الأخرى فإنها تعطينا قائمة يأتي بناء قصي فيها في المرتبة السابعة، أي أنها قبل بناء قصي بنيت ست مرات، وهو مثبت لدى الكثير من المؤرخين.

(الأزرقي): أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) تح: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة – مكة – ط٣- ١٩٨٣ ج١ - ص٣٥٣، ٣٧١.

(باسلامة): حسين عبد الله (تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها) تح: يحيى حمزة الوزنة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ١٩٩٩ - ص١١-١٤.

(الديار بكري): حسين بن محمد بن الحسن (كتاب ذرع الكعبة المعظمة) تح: يحيى حمزة الوزنة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ٢٠٠٤، ص١.

(سلامة) عواطف ديب (قريش قبل الإسلام) إشراف: د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري – دار المريخ للنشر – الرياض – ط١ – ١٩٩٤ – ص٢٦٩.

(٣) أعادت قريش تجديد بناء الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حوالي عام (٦٠٥، ٦٠٦م). فهذا هو البناء السادس.

ويروي لنا الأزرقي قصة بناء قريش للكعبة بقوله: ((ثم إن امرأة ذهبت تُجَمّر الكعبة، فطارت من مجمرها شررة، فاحترقت كسوتها، وكانت الكسوة عليها ركامًا بعضها فوق بعض، فلما احترقت الكعبة توهنت جدرانها من كل جانب وتصدعت، وكانت الخُرف – النخل- والأربعة عليهم مظلة والسيول متواترة – ولمكة سيول عوارم – فجاء سيل على تلك الحال عظيم، فدخل الكعبة وصدّع جدرانها وأحافها).

لقد كان لهذه الحادثة أثر عظيم في نفس قريش التي تداعت فيما بين بعضها البعض لحماية الكعبة، وخشوا من هدمها وأن ينـزل بهم العذاب، وقد وصلت مكة أخبار تفيد بأن سفينة جنحت على شواطئ الشعيبة - وكانت ساحل

مكة قبل جدة – فركبوا إليها فاشتروا خشبها، وكان في السفينة رومي نجار يسمى (باقوم) فلما قدموا بالخشب مكة، قالوا: لو بنينا بيت ربنا، فاجتمعوا لذلك وتعاونوا وترافدوا في النفقة، وربعوا قبائل قريش أرباعًا، ثم اقترعوا عند هُبل في بطن الكعبة على جوانبها ووضعت خطة العمل وتوزيعه كالآتي:

جعل شق باب الكعبة لبني عبد مناف، وبني زهرة، وما بين الركنين اليماني والأسود لبني مخزوم ومعهم قبائل أخرى من قريش. وظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم، وجعل شق الحجر لبني عبد الدار، ولبني أسد بن عبد العزى، ولبني عدي بن كعب وهو جهة الحطيم. وقد كلفوهم بالهدم والبناء كل منهم في الجهة التي تخصه. ولكن هاب الناس من هدم الكعبة وتخوفوا من ذلك ولم يجرؤوا عليه، ثم بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم من ناحية الركنين، فراقبه الناس بخشوع خشية وقوع الأذى به، فلما أصبح معافًا غاديًا على عمله. أقبل الناس معه على الهدم إلى أن بلغوا أساس إبراهيم عليه السلام، الذي كان من حجارة خضر كالأسنة، ووجدوا كتابات في الكعبة باللغة السريانية مطلعها (أنا الله ذو بكة ...)

٢- وقد اتفقوا على أ، يبنوا الكعبة من مال حلال، ولا يدخلوا فيها حرامًا من مهر بغي ولا من ربا أو نحو ذلك، وقد اشترط عليهم الوليد بن المغيرة ذلك.

جمعت القبائل الحجارة اللازمة للبناء، فجمعت كل قبيلة موادًا كافية للجهة المختصة بها.

أعدوا الخشب اللازم وأحضروه من سفينة الرجل الرومي (باقوم).

اتفقوا مع النجار القبطي (باقوم) للعمل في تسقيفها.

قرروا أن يرفعوا باب الكعبة عن الأرض، وألا يرقى إليها إلا بدرج لحمايتها من السيول وليتحكموا فيمن يدخل من الناس فيسمحون لبعض الناس ويمنعون الآخرين. وتم رفع الباب بحوالي المترين عن الأرض.

ولما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، دب الخلاف بينهم وأراد كل حي منهم أن يكون له شرف وضع الحجر في مكانه بيده. وكادوا أن يحتربوا منحازين متحاجزين كل منهم إلى فريقه فتعاقد بنو عبد الدار (لعقة الدم) على تجديد حلفهم القديم هذا وظلوا أربع أو خمس ليال على ذلك متربصين للحرب. حتى اجتمع أبو أمية بن المغيرة وهو أسن قريش عامئذ، واقترح عليهم أن يحكموا بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد، فدخل محمد بن عبد الله – النبي صلى الله عليه وسلم – (وسنه ٣٥ عامًا) فقالوا هذا الأمين هو خير حكم بيننا. فلما أحاط بالخبر طلب منهم ثوبًا بسطه على الأرض، ووضع الحجر عليه بيده ثم طلب منهم أن يأخذوا جميعًا بأطراف الرداء، حتى أوصلوه إلى موضعه ثم حمله بيده ورفعه في مكانه وبني عليه. فظهر إبليس (على صورة شيخ) وقال صائحًا كيف ترضون بأن ينال هذا اليتيم شرفكم العظيم فيضع الحجر بيده وكاد الشر أن يقوم بينهم ثانية، ولكنهم سكتوا وتراضوا.

وقد اشترك سادة قريش في حمل الرداء، ومنهم عتبة بن ربيعة من بني عبد مناف وزمعة بن الأسود، والعاص بن وائل، وأبو حذيفة بن المغيرة. وقالوا أن الرداء هو كساء للنبي صلى الله عيه وسلم، وقيل بل هو للوليد بن المغيرة. وقد أخرجوا حلية الكعبة، وقرنى كبش الفداء الذي ذبح فداء لإسماعيل وأموالها وحفظوها لدى أبي طلحة عبد الله بن عبد العزيز بن بني عبد الدار بن قصي، ونصبوا الصنم هبل عند المقام أثناء عملية تجديد البناء. وطمسوا الصور والتماثيل التي كانت في جوف الكعبة وتركوا صورة مريم العذراء وابنها عيسى على حجرها.

(ابن هشام): أبو محمد عبد الملك (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) راجعه وعلق عليه: محمد هراس – القاهرة – مكتبة الجمهورية – ج١ - ص١٩٥- ١٩٨.

(السهيلي): أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام) الطبري: القاهرة – ١٩٧١- ج١ - ص٢٢٥-٢٢٩.

الطبري: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠١ وما بعدها.

عهد[٣][(١)] جرهم ومن بعدهم، إلى أن بناها قريشٌ، فرفعت بابه، وجعلت لها سقفًا ولم يكن لها سقف، وتنازعت فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الركن، واتفقوا بأن يضعه أول من يشرف من باب السلام، فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذا محمد الأمين فرضوا بأن يضعه موضعه، فوضعه صلوات الله عليه وسلامة عليه، انتهى من تاريخ مكة.

وأما وصف الحجر الأسود لسواده الآن من خطايا بني آدم. فقد روي (أنه حين أُخرج من الجنة كان أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم)[(٢)]، وإنما سودته دون أحجار الكعبة؛ لأنه فيه فطرة الله التي فطر الناس عليها من توحيد الله تعالى وهو العهد[(٣)].

يُروى أن الله تعالى وضع ذلك العهد في قرطاس وألقمهُ[(٤)] الحجر كما يأتي عن الخبر

(ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل (البداية والنهاية) القاهرة – ١٩٣٢- ج٢ - ص٢٢٦-٢٣٠.

الأزرقي: المصدر السابق، ج١ ص٢٤٢- ٢٥٠.

(حمزة): فؤاد (قلب جزيرة العرب) مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة – ط١- ٢٠٠٢ ص٢٦١.

(وجدي): محمد فريد (دائرة معارف القرن الرابع عشر – العشرين) – القاهرة- ط٣- ١٩٦٥- ج١- ص١٤٢-١٤٣.

ولكن المؤلف جعل عمر النبي (٣٥) سنة وهو صحيح فالنبي صلى الله عليه وسلم ولد سنة (٥٧١م) عام الفيل. وتم تجديد بناء قريش سنة (٦٠٦م) فعندها يكون عمر النبي صلى الله عليه وسلم (٢٥) سنة، وهو ما أجمعت عليه معظم المصادر، وقد أتمت قريش البيت في ارتفاع ثمانية عشر ذراعًا أي بزيادة تسعة أذرع عما كانت بناها إبراهيم عليه السلام، وكان الحجر ضيقًا في عهد إبراهيم فوسعوه بما نقصوه من عرض الكعبة.

(الفاسي): تقي الدين محمد بن أحمد (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) تح: عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي – ط١- ١٩٨٥- ج١ - ص٩٥-٩٦.

(١) بداية اللوحة الثالثة من المخطوط.

(٢) ١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم). الأزرقي: أخبار مكة ج١ص٣٢٢، وج٢ - ص٢٩.

٢- وفي لفظ للإمام أحمد في المسند: ((نزل الحجر الأسود من الجنة، فكان أشد بياضًا من الثلج، حتى سودته خطايا أهل الشرك)). الترمذي: السنن ج١ - ص٣٠٧، ٣٢٩.

(٣) ذكر محب الدين الطبري أن: ((بقاؤه أسود – والله أعلم – إنما كان للاعتبار، ليُعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر، فتأثيرها في القلوب أعظم)).

(الطبري) محب الدين أحمد بن عبد الله (القِرى لقاصد أم القُرى) تح: مصطفى السقا- المكتبة العلمية – بيروت- ص٢٩٥.

(ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم الدينوري (تأويل مختلف الحديث) دار الكتاب العربي ٠ بيروت – ص١٩٥.

(٤) عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه- قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبلك ما قبلتك، ثم قبله، فقال له علي بن أبي طالب: بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع. قال: بكتاب الله تبارك وتعالى. قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل: ((وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم قالوا بلى. خلق الله آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم،

الصحيح فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاق، فلولا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه حتى يسود قلبه [بالشرك][1].

وفي الذخيرة يروي أن الحجر الأسود كان له نور في أول أمره يصل آخره لهذه الحدود، يعني مواقيت الإحرام، فمنع الشارع تجاوزها لمُريد الحج تعظيمًا لتلك الآثار[2]، انتهى.

نقله النسائي من [أئمتنا][3]، وقوله في السؤال وهل التقبيلة أصل في السنة، فجوابه: نعم فقد قبله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ففي البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه [جاء][4] إليه يقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبلك][5] ما قبلتك[6]، انتهى.

روي أنه لما قال ذلك قال له: أبي بن كعب[7]: أنه يضر وينفع، إنه يأتي يوم القيامة وله لسان

وكتب ذلك في رقٍ، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك. قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة وإني أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن استلمه بالتوحيد)) فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع. فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن.

الحاكم: المستدرك – ج١ - ص٤٧٥. قال ابن حجر في فتح الباري ج٣ - ص٤٦٢، وفي إسناده أبو هارون العبد ي، وهو ضعيف جدًا.

(١) في الأصل [الرك].

(٢) وفي رواية أخرى فلما وضع جبريل الحجر في مكانه، وبنى عليه إبراهيم، وهو حينئذ يتلألأ من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقًا وغربًا يمينًا وشمالًا، قال: فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم، من كل ناحية من نواحي الحرم.

الأزرقي: أخبار مكة – ج١ - ص٦٥.

(٣) في الأصل [أيمتنا].

(٤) في الأصل [جا].

(٥) في الأصل [قتلك].

(٦) قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: ((وَقبّل حجرًا مكرمًا نزل من الجنة، وَضعْ فَمَك لاثمًا مكانًا قبله سيد البشر صلى الله عليه وسلم بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مَفْخر)).

(الذهبي): محمد بن أحمد (سير أعلام النبلاء) تح: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢- ١٩٨٢- ج٤ - ص٤٢.

وحول تقبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال الحافظ بن حجر: قال الطبري: (إنما قال عمر ذلك؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك لأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته، كما كانت تعتقده في الأوثان).

ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٣ - ص٣٧٠.

(٧) أبي بن كعب بن قيس صحابي جليل – رضي الله عنه – وكاتب لما جاء من القرآن، شهد بيعة العقبة، وشهد له

ذلق[1] يشهد لمن قبله واستلمه[2]، وهو منفعته.

وعن ابن عباس[3]: يأتي الحجر الأسود، له عينان ولسان يشهد.

[٥][4] لمن استلمه بحق[5].

وفي الخبر أن عليًا قال: نعم بل هو يضر وينفع. قال له: وكيف ذلك، قال: إن الله تعالى لما [أخذ][6] الميثاق على الذرية كتب كتابًا ألقمه هذا الحجر، فهو يشهد للمؤمنين [بالوفاء] [7] وعلى الكافرين بالجحود[8]. انتهى

قال الباجي[9] من [أئمتنا] [10] رحمه الله تعالى: مراد عمر رضي الله، أن ينفي ظن من ظن أن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وأمته للحجر إنما كان على حسب تعظيم الجاهلية للأوثان لاعتقادهم أنها آلهة، وأنها تضر وتنفع، فأراد عمر رضي الله تعالى عنه إعلام الناس أنه إنما عظَّمه لتعظيمه عليه

الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم. وكان من فقهاء الصحابة. شهد وقعة الجابية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. توفي سنة (٢١هـ/ ٦٤٢م).

(الجزري) شمس الدين أبي الخير (غاية النهاية في طبقات القراء) طبع مصر – ١٣٥١م- ج١ - ص٣١م.

(١) لسان ذلق: أي فصيحًا، طلقًا بليغًا.

(ابن منظور): جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر – بيروت – ط٢- ٢٠٠٣- ج٦ - ص١٨٨.

(٢) (المتقي الهندي): علاء الدين علي بن حسام الدين القادري الشاذلي (كنزل العمال في سنن الأقوال والأفعال) تح: بكري حباني، صفوة السقا – مؤسسة الرسالة – ط٥ – ١٩٨١- ج١٢ ص٢١٩ الحديث رقم (٣٤٧٥١).

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي جليل، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولد سنة (٦١٨م) في مكة، حبر الأمة، وفقيهًا ، وإمام التفسير، وترجمان القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائم الدعاء له، فدعا أن يملأ الله جوفه علمًا، وأن يجعله صالحًا. توفي في الطائف سنة (٣٥هـ/ ٦٨٧م).

(ابن حجر العسقلاني): أحمد بن علي (الإصابة في تمييز الصحابة) طبعة مصر – ١٩٣٩- ج٤ - ص٢١٨-٢١٩.

(ابن الجوزي): أبو الفرج (صفوة الصفوة) طبع حيدر آباد – ١٣٥٥هـ - ج١ - ص٣١٤.

(٤) بداية اللوحة رقم (٥) من المخطوط.

(٥) المتقي: كنز العمال ج١٢ ص٢١٩ الحديث رقم (٣٤٧٤٨).

(٦) في الأصل [خذ].

(٧) في الأصل [بالوفا].

(٨) الأزرقي: أخبار مكة ج١ ص٣٢٣/ الحاكم: المستدرك ج١ -ص٤٥٧. قال الحاكم في مختصر المستدرك في إسناده أبو هارون العبد : وهو ساقط. في حين ذكره ابن حجر في الفتح، ج٣ ص٤٦٢ بأنه ضعيف جدًا.

(٩) الباجي: أبو الوليد سليمان بن سعد بن أيوب بن وارث الباب ولد سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) في بطليوس، وانتقل منها إلى جدة إلى باجة فنسب إليها، أتقن علم الكلام والحديث والفقه، توفي سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨٤م). من مؤلفاته: (شرح الموطأ) و(المدونة) و (اختلاف الموطأ).الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص٢١٨، ٢١٩. (ابن بشكوال): خلف بن عبد الملك (الصلة) دار الكتاب المصري – القاهرة ١٩٨٩- ص٣١٧

(١٠) في الأصل [أيمتنا].

الصلاة والسلام له طاعةً لله تعالى و[إفرادًا] [1] له بالعبادة على حسب ما أمرنا بتعظيم البيت وعلى حسب ما أمر الملائكة بالسجود لآدم عبادة لله تعالى[2] لا على أن آدم معبود، ولله تعالى أن يفضل بعض الأحجار على بعض، كما فضل بعض البُلدان وبعض البقاع وبعض الشهور وبعض الليالي، كالأشهر، الحج، شهر رمضان، وليلة القدر، ويوم الجمعة، ومكة، والمدينة، وبيت المقدس، وعرفة على [سائر] [3] الجبال، انتهى..

وتقبيله من سنن الطواف عندنا، وذكر الحلبي[4] في سيرته[5] في باب بناء قريش للكعبة عن بهجة الأنوار، الحجر الأسود كان ملكًا صالحًا ولما خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام وأباح له الجنة كلها إلا الشجرة التي نهاه عنها، جعل ذلك الملك موكلًا على آدم ألا يأكل من تلك الشجرة، فلما قدر الله سبحانه وتعالى أن آدم يأكل منها، غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى إلى الملك بالهيبة فصار جوهرًا.

ألا ترى أنه جاء في الأحاديث أن (الحجر الأسود يأتي يوم القيامة وله [يد][6] ولسان وأذن وعين) لكونه كان في الأصل ملكًا[7]، انتهى.

---

(١) في الأصل [وافرا].

(٢) الباجي: سليمان بن خلف (المنتقى شرح موطأ الإمام مالك) مصورة عن طبقة مطبعة السعادة – القاهرة – ط١- ١٣٢١هـ- ج٢ - ص٢٨٧.

(٣) في الأصل [ساير].

(٤) علي بن برهان الدين الحلبي، ولد عام (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) مؤرخ، أصله من حلب، له تصانيف كثيرة، منها (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون) يُعرف بالسيرة الحلبية، و(زهر المزهر) و (مطالع البدور) وغيرها. توفي في مصر سنة (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م).

(الزركلي) خير الدين (الأعلام) دار العلم للملايين ٠ ط١٣- بيروت – ١٩٩٨ – ج٥ - ص١٢٨.

(٥) كتاب السيرة الحلبية وهو المسمى (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون) من الكتب المشهورة في السيرة النبوية. جمعها من كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس وذكر أنه أحسن ما أُلف في السيرة، واختصر منه الأسانيد، ومن سيرة الشمس الشامي، وحاول تنقية كتابه من الروايات الموضوعة المكذوبة، وحلّى كتابه بتوزيع همزية البوصيري بحسب أحداث السيرة، وكثيرًا ما ينسب النقول إلى قائليها وكتبهم، والأحاديث إلى مخرجيها وأحيانًا يحكم عليها. وقد أطال في آخر الكتاب الكلام على سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وخصائله وصفاته.

(الحلبي): علي بن برهان الدين (السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون إنسان العيون) دار الباز للطباعة – بيروت – ط١ – ١٩٨٠- مقدمة المحقق، ص٣.

(٦) في الأصل [سد].

(٧) راجع هذه الرواية لدى: الحلبي: السيرة الحلبية، ج١ - ص٢٤٥.

ورأيت في ترجمة الشيخ كمال الدين [الأخميمي][1] أنه لما جاور بمكة [٦][2].

رأى الحجر الأسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان، ورجلان، ووجه، ومشى [ساعة] [3] ثم رجع إلى مكانه[4]، انتهى.

المراد منه فسبحان الحكيم القادر على كل شيء لا يُسأل عما يَفْعَل إذا عرفت هذا[5]، فاعلم أنه قد أُهبط مع آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة خمسة [أشياء][6] أحدها الحجر الأسود هذا وقد تقدم سبب هبوطه مع آدم أول الجواب.

ثانيهما: خاتم كان معه فلما سقطت عنه ثيابه وذهب عنه تاجه أخذه وجعله في فيه فخرج معه و [تناقلته] [7] ذريته إلى أن وصل إلى سليمان فصار فيه ملكه.

وثالثهما: قطعة من عود من شجر لم [يبك] عليه، [فعوقب] [8] وحرق بالنار، فاعتذر فجعل فيه الطيب، وجعل معه قطعة منه.

ورابعهما: ورق التينِ وارَى هو وحواء [سوأتهما][9]، ولما تناثر ذلك وعريا في الدنيا [شكا][10] آدم إلى جبريل [فجاءه][11] بشاة عظيمة من الجنة لها صوف كبير وكانت قامة آدم قريبًا من السحاب،

---

(١) في الأصل [الأخميني] وهو كمال الدين بن عبد الظاهر الأخميمي الجعفري الطيار ولد سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤١م) بقرية قوص في مصر، وهاجر إلى أخميم، وهو من المتصوفة. وبنى في أخميم رباطًا خاصًا به توفي سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م).

(الأدفوي): جعفر بن ثعلب (الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) المطبعة الجمالية – ط١ – مصر – ١٩١٤- ص٢١٠-٢١٥.

(ابن حجر العسقلاني): أحمد بن علي (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) تح: عبد الوارث محمد علي – دار الكتب العلمية – ط – بيروت – ١٩٩٧- ج٣ - ص١٦٣-١٦٥.

(٢) بداية اللوحة رقم (٦) من المخطوط.

(٣) في الأصل [شاعة].

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية ج١ص ٢٤٥.

(٥) راجع هذه الحادثة بتفاصيلها كما وردت لدى الحلبي: السيرة الحلبية ج١ - ص٢٤٥.

(٦) في الأصل [أشيا].

(٧) في الأصل [شاقلته].

(٨) في الأصل [فعوتب].

(٩) في الأصل [سواتهما].

(١٠) في الأصل [مشكي].

(١١) في الأصل [فجأة].

و[حواء][1] مزيدة أيضًا، لكن الشاة كانت كبيرة وقال لآدم: قل [لحواء][2] تغزل من هذا الصوف وتنسج فمنه لباسك ولباسها. قلت: ولعل هذا هو مستند الصوفية في لبس الصوف. فقالت: [حواء][3]: كيف وقع هذا العمل عليَّ فاغتمت ولما كانت سببًا لأكل آدم شجرة الحنطة وأغوته جعل الله عليها أن تغزل وتكسوه، ولما ثقل ذلك عليها جعلت نفقتها عليه. ولما ثقل ذلك عليه جعل حظ الزوج في الميراث مثل ضعف حظ الزوجة فيه.

وقوله: وكانت قامة آدم قريبًا من السحاب هو رواية عبدالرزاق عن هشام بن حسان[4] عن سوار عن [عطاء][5] بن أبي رباح[6] قال : إن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض و[رأسه][7]

في [السماء][8]، فحطه الله إلى ستين ذراعًا[9].

روي عن ابن عباس [٧][10] رضي الله تعالى عنهما نحوه، وعلى هذا [شيء][11] في [العرائس][12]،

(١) في الأصل [هوا].

(٢) في الأصل [لحوا].

(٣) في الأصل [حو].

(٤) الإمام العلامة، الحافظ محدث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، ويقال أنه رأى أنس بن مالك، حدث عن ابن سيرين، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، توفي سنة (١٤٨هـ/ ٧٦٦م).
(الذهبي): محمد بن أحمد (سير أعلام النبلاء) مؤسسة الرسالة- ط١ – بيروت – ٢٠٠١- ج٦ - ص٣٥٦-٣٦١.

(٥) في الأصل [عصا].

(٦) عطاء بن أبي رباح، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، ولد أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه، وجعله الذهبي في الطبقة الثانية، حدث عن عائشة وأبي هريرة، وابن الزبير، توفي سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م).
الذهبي: السير – ج٥ - ص٧٩-٨٨.

(٧) في الأصل [رسه].

(٨) في الأصل [السما].

(٩) كذلك وردت الرواية بنفس اللفظ والحرفية لدى: الحلبي: السيرة الحلبية – ج١ - ص٢١٧.
حدثنا القاسم بن خليفة، حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء، عن ابن عباس قال: (لما أهبط الله آدم كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فوضع الله يده على رأسه فطأطأه سبعين باعًا. قال يا رب، مالي لا أسمع صوت ملائكتك، ولا أوجسهم، فقال الله: "خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب، فابنِ لي بيتًا وطف به، واذكرني حوله كما رأيت الملائكة يصنعون حولي عرشي". قال ابن عباس: فأقبل آدم يتخطى الأرض، فموضع كل قدم قرية وما بينهما مفازة، حتى وضع البيت.
(ابن شيبة): أبو جعفر محمد بن عثمان (العرش وما نزل فيه مخرجًا) تح: محمد بن خليفة بن علي التميمي. مكتبة الرشد – ١٩٩٨: ج١ - ص٣٩٥.

(١٠) بداية اللوحة رقم (٧) من المخطوط.

(١١) في الأصل [شى].

(١٢) في الأصل [العرايس]. واسم الكتاب (العرائس في قصص الأنبياء). للمزيد من المعلومات حول الحادثة في كتاب العرائس راجع: الثعالبي: ابن إسحاق أحمد بن محمد (العرائس في قصص الأنبياء) مطابع الحيدرية – ١٩٣٢- ص٤٩.

وابن المعافى في تفسيره قال: ولما كان رأسه في السماء انتحل مقدم شعر رأسه وهو الصلع المعروف، وأُورِثَ ذلك في بعض بنيه وتفرق الحيوانات فزعًا من طوله، فما فرّ منها إلى البادية استوحش وكذا [نسله][1] إلى الآن، انتهى. لكن قال الحافظ ابن كثير في تاريخه: وفي الخبر المتقدم الذي رواه عبدالرزاق نظرًا لمخالفته الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن، وأن ذريته لم تزل تتناقص خلقهم حتى الآن))[2]، انتهى. زاد المناوي[3]، فانتهى التناقص إلى هذه الأمة، واستقر الأمر على ذلك فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه أبوهم آدم من الجمال والكمال وامتداد القامة وحسن الهامة[4]، انتهى. وإذا أردت المزيد على ذلك فراجع كتابنا القول التام في بيان أطوار آدم عليه السلام، ففيه ما يكفي ويشفي من هذا المعنى[5].

خامسها: العصا: وهي من آس الجنة، وسبب ذلك أنه كان يأكل من كل طعام الجنة، فلا يصيبه شيء فلما أكل الحنطة بقيت في أسنانه، فاحتاج إلى التخلل، فأخذ [عود][6] آس فتخلل به، فبقي معه فهبط من الجنة وهو معه، وتوارثه أبناؤه إلى أن وصل إلى [موسى][7] عليه الصلاة والسلام فهي عصاه، وصارت معجزة له، قال وهب[8]: ولمّا قبل الله توبة آدم قال: يا رب شُغلت بطلب الرزق والمعيشة عن طلب التسبيح والعبادة، ولست أعرف مقدار ساعات التسبيح من أيام الدنيا، فأهبط الله

---

(١) في الأصل [أنسله].

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج١ - ص٧٩-٨٠ / الحلبي: السيرة الحلبية ج١ - ص٢٤٣.

(٣) المناوي هو محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري. من كبار العلماء بالدين والفنون. من مؤلفاته (نبض القدير شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير) و(كنوز الحقائق في الحديث) و(شرح الشمائل للترمذي).

(المحبي): محمد أمين (خلاصة الأثر ي أعيان القرن الحادي عشر) ج ٢ - ص٤١٢.

(الشوكاني): محمد بن علي (البدر الطالع) ج١ - ص٣٧٥.

(٤) وقد ورد تفسير هذا الحديث لدى المناوي في كتابه (التيسير بشرح الجامع الصغير). (المناوي): محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين (التيسير بشرح الجامع الصغير) دار الإمام الشافعي – ط٣ – الرياض – ١٩٨٨- ج٢ ص٢١٥- ٢١٧.

(٥) الفيومي: أحمد بن أحمد الفرقاوي (القول التام في أطوار سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام). مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف – تحت رقم ٣٤٩٣ الرسالة الثانية.

(٦) في الأصل [عوي].

(٧) في الأصل [مدسي].

(٨) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني، مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات. ولد سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م) من مؤلفاته (قصص الأنبياء) و(قصص الأخيار).

(الذهبي): محمد بن أحمد بن قايماز (تاريخ الإسلام) طبع مصر – ج٥ - ص١٤-١٦.

عليه ديكًا وأسمعه أصوات [الملائكة][1] بالتسبيح، فهو أول داجن اتخذه آدم من الحيوان، وكان الديك إذا سمع [التسبيح][2] من السماء سبح في الأرض فيسبح آدم بتسبيحه[3].

وقال الله: يا آدم [٨][4] قل الحمد لله كثيرًا على كل حالٍ حمدًا يوافي نعمه ويكافي مزيده. فلك به مثل تسبيح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، انتهى.

وقد أشبعنا الكلام على الديك في رسالة لنا مسماة (بالإشارات [والدلائل][5] على ما في الديك من الصفات و[الفضائل])[6] في نحو كراسين فعليك بها[7].

وهذه الخمسة [أشياء][8] التي هبطت مع سيدنا آدم عليه السلام من الجنة ذكرها شيخنا نور الدين علي الأجهوري[9] – رحمه الله – عن بحر العلوم للنسفي من غير زيادة عليها.

قلت: ويزاد على هذه الخمسة [شيئان][10] أيضًا، أحدهما الحجر الأسود، وقبضته من ورق الجنة، فنبتت به شجرة الطيب، ثانيهما البيت الحرام[11] ففي تاريخ الأزرقي عن كعب أنزل الله أي البيت الحرام من [السماء][12] ياقوتة مجوفة مع آدم عليه السلام، وقال له: يا آدم هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويُصلى حوله كما يُصلى حول عرشي. ونزلت معه [الملائكة][13] فوضعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليها، فكان آدم يطوف حوله كما يطاف

رسالة في الكلام عن الحجر الأسود ومن الواضع له وعلى سبب خروجه من الجنة

---

(١) في الأصل [المليكة].

(٢) في الأصل [التسبح].

(٣) الحلبي: السيرة الحلبية – ج١ - ص٢٤٧.

(٤) بداية اللوحة رقم (٨) من المخطوط.

(٥) في الأصل [الدلايل].

(٦) في الأصل [الفضايل].

(٧) (الفرقاوي) أحمد بن أحمد الفيومي (الإشارات والدلائل على ما في الديك من الصفات والفضائل) مخطوط في مكتبة الحرم المكي – مكة المكرمة – رقم (٣٣٨٦٠٥).

(٨) في الأصل [أسا].

(٩) (الأجهوري): علي بن محمد بن عبد الرحمن (شرح عقيدة الرسالة) مخطوط في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية – جامعة أم القرى – رقم ١٣٥٦ – الورقة ٢٣-٢٤.

(١٠) في الأصل [شياني].

(١١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الحجر الأسود من الجنة)) أخرجه النسائي ابن خزيمة: المصدر السابق ج٤ ص٢٢٠. الحديث إسناده حسن. وعن عطاء بن رباح: أن آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب الناس بها. الحلبي: السيرة الحلبية ج١ - ص٢٤٤.

(١٢) في الأصل [السما].

(١٣) في الأصل [الملايكة].

حول العرش، ويُصلي عنده كما [يُصلى][1] عند العرش، فلما أغرق الله قوم نوح رفعه إلى السماء، وبقيت قواعده[2]، انتهى المراد منه.

وفي مثير الغرام عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أهبط آدم إلى موضع الكعبة، وهو مثل [الفُلك][3] من شدة رعدته. ثم قال: يا آدم تخطا، فتخطا فإذا هو بأرض الهند، فمكث هناك ما شاء الله، ثم استوحش إلى البيت، فقيل له: حج يا آدم، فأقبل يتخطى، فصار كل موضع قدم قرية وما بين ذلك [مفازة][4] حتى قدم، الحديث[5] انتهى.

وهذا قول غير القول بأن هبوطه كان بالهند، وقيل بغير ذلك كما بيناه في أطوار آدم.

وفي تاريخ مكة للأزرقي: أن آدم عليه الصلاة والسلام حج ستين حجة ماشيًا على رجليه، وأن الملائكة لقيته [بالمأزمين][6]. [٩][7] فقالوا: يرحمك الله يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، والمأزمان موضع بين عرفة والمزدلفة. انتهى.

وقد أشبعنا الكلام على ما يتعلق بسيدنا آدم عليه السلام في مجموع لنا سُمي (القول التام في بيان أطوار آدم عليه السلام)، ويشتمل على ستة عشر سؤالًا وأجوبتها مع الملائكة على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾[8]، الآيات فعليك به، إذا عرفت هذا فاعلم أن بناء سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام للبيت إنما كان في غير القواعد[9]. أما

---

(١) في الأصل [مصلي].

(٢) الأزرقي: أخبار مكة ج١ ص٤٠.

(٣) في الأصل [الملك].

(٤) في الأصل [مغازة].

(٥) (الفاسي) تقي الدين محمد بن أحمد (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) تح: أيمن فؤاد سيد، مصطفى الذهبي. مكتبة النهضة الحديثة – ط٢- ١٩٩٩- ج٢ - ص٣١٩.

(٦) في الأصل [بالمازميني]. والمأزم في اللغة: هو الطريق الضيق، وكل طريق ضيق بين جبلين مأزم سمي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين، عن عطاء بن رباح قال: إن آدم هبط في الهند. الحلبي: السيرة الحلبية، ج١ ص٢٤٤. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، عن سعيد عن ابن عباس قال: أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال له دحنا بين مكة والطائف. وعن الحسن قال: أهبط آدم بالهند وحواء بجدة.
ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ - ص٩٠.
(الرازي) محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح) مكتبة لبنان ناشرون – ط١ – بيروت – ١٩٩٥- ص٢٩٨

(٧) بداية اللوحة رقم (٩٩) من المخطوط.

(٨) سورة البقرة الآية (١٢٧).

(٩) حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا مهدي ابن أبي المهدي، قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر، عن قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ قال: التي كانت قواعد البيت قبل ذلك. وهذا الحديث إسناده صحيح أي أن القواعد كانت موضوعة قبل بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام للبيت العتيق. (ابن حجر العسقلاني): شهاب الدين أحمد (فتح الباري بشرح صحيح البخاري). القاهرة – ١٩٩٠ – ج٦- ص٤٠٦.

هي فإنما رفعها [الملائكة][1]، ولما رفع البيت إلى [السماء][2] وانطمس أيام الطوفان[3]،

أعلَمَ الله مكانه بريح أرسلها فسكنت ما حوله فبناه إبراهيم على أُسه القديم[4]، وذلك عن معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[5] الآية.

قال البيضاوي[6] واذكر إذ عيَّنَّاه وجعلناه مبوءا، وقيل اللام [زائدة][7]، ومكان ظرف، أي وإذا أنزلناه فيه[8]، انتهى.

فإن قلت: قد تقدم أن الرافع للبيت إنما هو [الملائكة][9]، وظاهر قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ بل صريحها أن الرافع للقواعد إنما هو إبراهيم وإسماعيل، وهو خلاف ما تقدم من

---

(١) في الأصل [الملايكة].

(٢) في الأصل [السماح].

(٣) أورد السيوطي في الدر المنثور حديثًا إسناده حسن، جاء فيه قال: (حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن مجاهد، قال: بلغني أنه لما خلق الله تعالى السموات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء جوفاء، لها بابان: أحدهما شرقي والآخر غربي، فجعله مستقبل البيت المعمور. فلما كان زمن الغرق رُفِعَ في ديباجتين، فهو فيهما إلى يوم القيامة، واستودع الله تعالى الركن أباقبيس.السيوطي: الدر المنثور – ج١ - ص٣١٤. وعزاه إلى الأزرقي. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان ذهبًا فرفع زمن الغرق. ابن حجر: تقريب التهذيب- ص٢٣٦.

(٤) جاء لدى الأزرقي في تاريخه: (حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، قال: أخبرني ابن جريج، قال: قال مجاهد: أقبل إبراهيم صلوات الله عليه والسكينة والصَّرد والملك من الشام، فقالت السكينة: يا إبراهيم ربض علي البيت. فلذلك لا يطوف بالبيت مَلِك من هذه الملوك ولا أعرابي نافر إلا رأيت عليه السكينة.

وقال جريج: أقبلت معه السكينة لها رأس كرأس الهر وجناحان.

الأزرقي: أخبار مكة مج ١ ص١٠٦/ السيوطي: الدر المنثور – ج١ - ص٧٥٨.

والصرد: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار.

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية – القاهرة – ط٢- ص٥٣١.

(٥) سورة البقرة الآية (١٢٨).

(٦) الإمام القاضي المفسر ناصر الدين عبد الله بن أبي القاسم البيضاوي. أحد علماء أهل السنة والجماعة، فقيه، وأصولي، ومتكلم ومفسر نحوي، ولد في المدينة البيضاء بفارس وإليها نسبته – البيضاوي – ولم نعثر على ولادته بالتحديد والغالب أن مولده في أوائل القرن السابع الهجري. من مؤلفاته (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) و (منهاج الوصول في علم الأصول). توفي سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٩٢م).

(ابن كثير): البداية والنهاية، ج١٣ - ص٣٠٩. (ابن آيبك الصفدي): خليل بن أيبك (الوافي بالوفيات) باعتناء س. ديدرينغ – دار فرانز شتاينر بفيسبادن – ألمانيا – الطبعة الثانية – ج٥ - ص٤٤٧.

(٧) في الأصل [زايدة].

(٨) (البيضاوي) ناصر الدين بن سعيد بن عبد الله بن عمر (تفسير البيضاوي) تح: محمد صبحي حلاق – محمد أحمد الأطرش – دار الرشيد – بيروت – ط١- ٢٠٠٠ – ج٢ - ص١٨٨.

(٩) في الأصل [الملايكة].

أن الرافع لها إنما هو [الملائكة][1]، فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن المراد من رفعها هو [البناء][2] عليها، فإنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع.

الثاني: أن يراد بها ساقات [البناء][3]، فإن كل ساق قاعدة ما يوضع فوقها ويرفعه بناؤها.

الثالث: أن المراد بالرفع هنا، رفع مكانته و[إظهار][4] شرفه بتعظيمه و[دعاء][5] الناس إلى حجه، وفي [إبهام][6] القواعد وتبيينها تفخيم [لشأنها][7].

---

(١) في الأصل [الملايكة].

(٢) في الأصل [البنا].

(٣) في الأصل [البنا].

(٤) في الأصل [إجهار].

(٥) في الأصل [دعا].

(٦) في الأصل [أبهم].

(٧) في الأصل [لشانا].

بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة المشرفة بأمر من الله تعالى. وكان بناؤه من الحجارة، وجعل ارتفاعها (٩ أذرع – أي: ٤,٥م) وطولها من الجهة الشرقية (٣٢ ذراعًا – أي ١٦م)، ومن الجهة الغربية (٣١ ذراعًا - أي ١٥,٥م)، ومن الجهة الجنوبية (٢٠ ذراعًا – أي ١٠م)، ومن الجهة الشمالية (٢٢ ذراعًا – أي ١١ م)، ولم يجعل للكعبة سقفًا، وفتح لها باب ملاصق بالأرض بدون مصراع يُغلق، ونزل جبريل بالحجر الأسود، فوضعه إبراهيم عليه السلام في مكانه.

(باسلامة): الأزرقي: أخبار مكة – ج ١ - ص٥٨.

وهنا سنقدم أدلة علمية حول بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للكعبة من خلال استقرار نصوص الكتاب والسنة التي تشير إلى أن إبراهيم عليه السلام هو أول من قام ببناء الكعبة المشرفة.

١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [سورة البقرة:١٢٧] قال ابن كثير: (فإن ظاهر القرآن يقضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئًا، وأول من أسسه، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك، معتنى بها، مشرفة في سائر الأعصار والأوقات). ابن كثير: البداية والنهاية – ج٢ - ص٢٩٨.

٢) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [سورة الحج: ٢٦] قال ابن كثير: (ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم، أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل، ومن تمسك في هذا بقوله ﴿ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام. ابن كثير: المصدر نفسه - ج١- ص١٦٣.

٣) ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، الشاهد منه: قول إبراهيم عليه السلام: ((فإن الله أمرني أن ابني هاهنا بيتًا – وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها- قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ رواه البخاري – ج٣ ص١٢٢٩، حديث رقم (٣١٨٤).

فإن قلت: لِمَ أُضيف الرفع إلى إبراهيم فقط، وعطف [إسماعيل][1] عليه بعد إسناد الرفع إلى أبيه مع اشتراكهما فيه، وكان مقتضى الظاهر وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت[2].

قلنا البائي إنما كان إبراهيم [١٠][3]، فلا جَرَمَ أُسْنِدَ الرفع إليه وإسماعيل إنما كان يناوله الحجارة، ولكن لما كان له مدخل في [البناء][4] عُطِفَ عليه وقيل: كانا يبنيان على طرفين أو التناوب[5]، وحينئذ فيرد السؤال وجوابه: إن إبراهيم لما كان هو الأصل أُسْنِدَ الرفع إليه سيما على القول بأن المراد رفع المكانة والشرف، وعطف إسماعيل عليه لمشاركته له في الجملة[6] انتهى.

فائدة: وفي بعض الآثار أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يبني البيت وجد في أساسه لوحًا من رخام مكتوبًا فيه ثلاثة أسطر، الأول: أنا رب البيت أرزق من لا حيلة له حتى يتعجب صاحب الحيلة، والسطر الثاني: أنا رب البيت أجعل [الرخاء][7] في الأسواق وإن كانت المخازن خالية، والسطر الثالث: أنا ربي البيت أضمن الفقر للزاني ولو بعد حين[8]. انتهى من شرح الرسالة الكبيرة لأبي الحسن الشاذلي.

---

(١) في الأصل [إسماعيل] وهي أول مرة تُرسم بهذا الشكل.

(٢) ذكر الطوسي أنهما: (يريدان أساس آدم الأول، فحفرا حول البيت، فوجدا صخارًا عظامًا، كل صخرة لا يطيقون إلا ثلاثون رجلًا، وحفرا حتى بلغا أساس آدم وبنيا عليه).

(الطوسي): مصطفى بن سنان (رسالة المرام في أحوال بيت الله الحرام) تح: عبد القيوم ديدار- مكة المكرمة – الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي – ط١- ١٤٣٥هـ - ص٤٧.

وقد أوضح البيضاوي تفصيلًا في أمر البناء والرفع بقوله: (وإسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجر، لكنه لما كان له مدخل في البناء عَطَفَ عليه في الآية).

(البيضاوي): أبو سعيد عبد الله بن عمر (أنوار التنزيل)– دار صادر - ط١ – بيروت – ٢٠٠١ – تقديم محمد الأرناؤوط ج١ص٩٢.

(٣) بداية اللوحة رقم (١٠) من المخطوط.

(٤) في الأصل [البنا]..

(٥) أقول هنا أنه لما ارتفع البناء قرب الله له المقام، وكان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه، وكان سيدنا إسماعيل عليه السلام يحُوله في نواحي البيت.

وقد أورد الطوسي ما مفاده: (أما القول بأنهما يبنيان في الطرفين فبعيد، لأن المقام تحت قدم إبراهيم عليه السلام، وبغير المقام لا يمكن، ولو كان لكان لإبراهيم عليه السلام، اللهم إلا أن يقال: يبنيان على التناوب، ولأجل ذلك نسب رفع القواعد إليهما في القرآن العظيم إن أريد منه الحقيقة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [سورة البقرة:١٢٧].

(الطوسي): رسالة المرام- ص٤٩-٥٠.

(٦) وفي تفسير البيضاوي: إن إسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجر، لكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه الآية.

البيضاوي: أنوار التنزيل – ج١ ص٩٢.

(٧) في الأصل [الرخا].

(٨) جاء في السيرة الشامية ما ملخصه: أن وجد حجرًا مكتوبًا في الكعبة، وفي كلام بعضهم وجدوا فيه ثلاثة أسطر

وأول من وضع الكنز المخزون في الغار تحت البيت الحرام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، روي أن أول من كَنَزَ الكنز المخزون في الغار تحت البيت الحرام إبراهيم عليه السلام[١]، وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان[٢] وغيره في تاريخ مكة[٣]. والكنز مكنوز إلى الآن.

وسبب ذلك إبراهيم عليه السلام لما [بنى][٤] البيت لم يجعل له سقفًا وكان الناس يُلقون الحلي من الذهب وأنواع الجواهر الجليلة والألواح الجواهرية عليها أقلام وخواصُ تبركًا لحفرة البيت وتقربًا إلى ربه ومحبة لبانيه، فامتلأ البيت، وكان من قصد أن يسرق منه شيئًا سقط رأسه فهلك كثير من الناس في طلبه، وبعث الله عند ذلك حية بيضاء سوداء الرأس والذنب، فحرست البيت خمسمائة عام لا يقربه أحد إلا أهلكه الله[٥]، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجه وينفعه ثم بدا له في

الأول: أنا الله ذو بكة، صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر إلى آخره، وفي الثاني: أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته، وفي الثالث: أنا الله ذو بكة خلق الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشر على يديه.

(الشامي): محمد بن يوسف الصالي (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المعروف بالسيرة الشامية) تح: عاد أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٣- ج٣ ص١٨٢.

في حين ورد نص في السيرة الحلبية وهذا نصه: (قال ابن المحدث: ورأيت في مجموع أنه وجد بها حجر مكتوب عليه: أنا الله ذو بكة، مفقر الزناة، مُعّري تارك الصلاة، أرخصها والأقوات فارغة، وأغليها والأقوات ملآنه: أي فارغ محلها وملآن محلها).

الحلبي: السيرة الحلبية – ج١ ص٢٣٣.

(١) أخرج الأرزقي في سنده عن مجاهد قال: (كان في الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم خليل الرحمن وإسماعيل عليهما السلام حين رفع القواعد، وكان يكون فيه ما يهدى للكعبة من حلي، أو ذهب، أو فضة، أو طيب، أو غير ذلك).

الأزرقي: أخبار مكة – ج١ص٢٤٤.

(٢) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني ولد سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٥م) في بيهق وهو إمام محدث متقن. صاحب تصانيف كثيرة منها (السنن والآثار) و(الأسماء والصلات) و(الترغيب والترهيب) و (شعب الإيمان).

الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٦٥.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة – ج١ ص٢٤٥.

(٤) في الأصل [بني].

(٥) وردت كثيرًا من هذه الأخبار لدى الأزرقي: أخبار مكة ج١ - ص٢٤٤- ٢٤٥ / ج١ - ص١٥٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص١٨٥، الفاسي: شفاء الغرام، ج١ص٢٢٥.

ذلك مصلحة الحية فتركه[١]، ثم أراد عمر رضي الله تعالى عنه فامتنع اقتداءً برسول[٢] [١١][٣] الله صلى عليه وسلم، وذكر الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والمسك الأذخر محمد بن عربي[٤]

في الفتوحات المكية[٥]: أكرمني الله بلوح من ذلك الكنز [جيء][٦] به [إليّ][٧] وأنا بتونس سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فيه شق عمقه إصبع وعرضه شبر وطوله شبر، مكتوب فيه بقلم لا أعرفه، فسألت الله أن يرده [إلى][٨] موضعه، ولو أخرجته للناس لصارت فتنة عمياء فتركته لتلك المصلحة واتباعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدبًا معه، وإنما تركته ليخرجه الخليفة الذي يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وهو المهدي خاتم الخلافة الأحمدية فافهم.

تذييل: أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام عمر رضي الله عنه دون القامة[٩]. وكانت المصابيح

---

(١) ذكر الأزرقي أن النبي صلى الله عليه وسلم (وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يُهدى إلى البيت، وأن عليًا بن أبي طالب قال: يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك، فلم يحركه، ثم ذكر لأبي بكر، فلم يحركه).

وقال الأزرقي: (حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني الحجبة في سنة ثمان وثمانين ومائة أن ذلك المال بعينه في خزانة الكعبة، ثم لا أدري ما حاله بعد).

الأزرقي: أخبار مكة ج١ - ص٢٤٦ – ٢٤٧.

الفاكهي: أخبار مكة ج٥ - ص٢٣٥.

(٢) أخرج البخاري عن أبي وائل (شقيق بن سلمة) قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال:جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه فقال: (لقد هممت ألا أدع فيها صفراء، ولا بيضاء إلاّ قسّمته) قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال (هما المرآن أقتدي بهما).

البخاري: الصحيح – كتاب الحج – باب كسوة الكعبة – حديث رقم (١٥٩٤).

(٣) بداية اللوحة رقم [١١] من المخطوط.

(٤) الإمام الأكبر، سلطان العارفين، محي الدين ابن عربي، ولد في رمضان سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) في مرسية بالأندلس، وهو أحد أشهر الصوفية، ولقبه تلاميذه وأتباعه (بالشيخ الأكبر) توفي سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤١م) في دمشق.

(المقري): أحمد أبو العباس (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) تح: إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٦٨- ج٢ - ص٣٨٤/٣٦١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣- ص١٥٦.

(٥) (ابن عربي): محي الدين (الفتوحات المكية) طبعة مصر – ١٨٥٣- ج٢ - ص١٥٨-١٥٩.

(٦) في الأصل [جي].

(٧) في الأصل [إلى].

(٨) في الأصل [إلي].

(٩) في سنة (١٧هـ/ ٦٣٩م) وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جاء إلى مكة سيل عظيم يعرف بسيل (أم نهشل) من أعلى مكة، فدخل المسجد الحرام من ناحية المدعا، فاقتلع مقام إبراهيم الخليل عليه السلام من موضعه. فلما بلغ عمر رضي الله عنه ذلك ركب في عمرة إلى مكة في رمضان.

توضع عليه، فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل حوله ووسعه، وبنى المسجد والأروقة، فهو أول من اتخذها[1].

ثم إن الزبير وسّع المسجد واشترى دورًا[2]، ثم عمّره عبدالملك ولم يزد فيه ولكن رفع جداره وسقفه بالساج، وعمره عمارة حسنة[3]، ثم إن الوليد بن عبدالملك وسّع المسجد وحمل إليه أعمدة

هذا حاصل ما ذكره الأزرقي في أخبار مكة، وعنه روى هذه الحادثة السيوطي في كتابه الأوائل: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من صلى خلف المقام بعد وضعه في محله).

الأزرقي: أخبار مكة ج٢ص٣٥، الفاسي: شفاء الغرام ج١ ص٢٠٩.

وبعد أن انتهى عمر رضي الله عنه من وضع حجر المقام في موضعه، رأى كثرت الناس وازدحام المصلين في المسجد، فاشترى الدور الملاصقة للمسجد، وادخلها فيه، وأحاط عليه جدارًا ارتفاعه دون القامة، وجعل فيه أبوابًا يدخل الناس منه، لكنه لم يسقفه.

(الكردي): محمد طاهر (مقام إبراهيم عليه السلام) دراسة وتكملة: عبد الوهاب أبو سليمان – مركز تاريخ مكة المكرمة – ط ١- مكة - ١٤٣٣- ص٢١٧.

(١) سنة (٢٦هـ/ ٦٤٦م) وفي خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ازداد عدد سكان مكة، وظهر في ذلك ضيق المسجد الحرام على المصلين. وجاء عثمان رضي الله تعالى عنه مكة معتمرًا ودخلها ليلًا فدخل المسجد الحرام وطاف وسعى رضي الله تعالى عنه، وأمر بتوسيع المسجد الحرام، وقد عارضه أصحاب الدور كما عارضوا عمر قبله، فأمر عثمان بهدم تلك البيوت على أصحابها، ثم أمر بهم إلى الحبس، فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجهم وأخذوا قيمة دورهم. وجعل أمير المؤمنين عثمان بن عفان للمسجد الحرام أروقة، فكان هو أول من اتخذ الأروقة فيه؛ حيث كان قبل ذلك عبارة عن متسع فسيح مثل الحصوة، وليس له رواق ولا سقف يظل المصلين.

ابن الأثير: الكامل ج١٠ - ص٢٤٣، ابن كثير: البداية والنهاية ج٩ - ص١١٦- ١١٧. ولم يذكر أحد من المؤرخين قدر الزيادة التي زادها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

(٢) كانت هذه الزيادة بعد أن فرغ من بناء الكعبة، وزاد فيه زيادة عظيمة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية، واشترى دورًا من جملتها بعض دار الأزرقي جد صاحب تاريخ مكة. وذكر الأزرقي أنه سمع من مشيخة مكة أن ابن الزبير سقف المسجد، غير أنهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه. وذكر العمري: (أن عبد الله ابن الزبير زاد المسجد زيادة كثيرة وجعل فيها عمدًا من رخام)، ولم يذكر أحد من المؤرخين أن ابن الزبير جعل في زيادته رخامًا غير العمري وكانت زيادة ابن الزبير تسعة أجربة. ومقدار الجريب كما ذكر الماوردي (عشر قصبات في عشر قصبات، والقصبة ستة أذرع) وعليه فيكون مساحة الجريب الواحد (٣٦٠٠) ذراع مربع، وبذلك يكون مساحة المسجد الحرام في زمان ابن الزبير اثنين وثلاثين ألف ذراع وأربعمائة ذراع مربع) وهذه الزيادة في سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) كما ذكر ذلك. د. باسلامة.

(باسلامة): حسين عبد الله (تاريخ عمارة المسجد الحرام) مكتبة الثقافة الدينية – ط١- بورسعيد – ٢٠٠١- ص٢٢-٢٣.

(٣) خلال حكم عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ذلك سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) أمر بعمارة المسجد الحرام ولم يزد فيه شيئًا غير أنه رفع جداره وسقفه بالساج وعمّره عمارة حسنة، وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالًا من الذهب. فكانت عمارته منحصرة في تجديد البناء ورفع الجدار وتسقيفه بالساج الذي هو أفخر أنواع الخشب وأمتنه، وزينه بالذهب الذي جعله على رؤوس الاسطوانات ولم يزد فيه شيئًا عمّا كان عليه علاوة على زيادة عبد الله بن الزبير.

وكانت سبب عمارة عبد الملك بن مروان للمسجد الحرام؛ لأنه قد تهدم بعضه من حجارة المنجنيق التي رماه بها

الحجارة والرخام[1].

ثم إن المنصور العباسي زاد في المسجد وبناه وجعل فيه أعمدة الرخام[2]، وزاد فيه المهدي بعده مرتين، مرة بعد ست وستين ومائة[3]، وفيها توفي المهدي، واستقر بناؤه إلى وقتنا.

الحجاج بن يوسف الثقفي حال حصاره لعبد الله بن الزبير حينما استعصم بالمسجد الحرام وذلك في سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م).

باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٣-٢٤.

(١) ذكر الكردي أن هذه الزيادة كانت سنة (٩١هـ/ ٧٠٩م) وقد بلغت نحو (٧٠٩ متر) حيث أمر الوليد بنقض عمارة والده عبد الملك، وعمّره عمارة متينة محكمة، وهو أول من أتى بالأساطين الرخام من مصر، والشام، ونقلها من هناك إلى مكة على العجل، وسقّفه بالسّاج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وأزر داخل المسجد الحرام بالرخام، وجعل له شرفات، وجعل في حائطه الطيقان (العقود) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها بالفسيفساء، وهو أول من زين بها المسجد الحرام، وجعل للمسجد سرادقات.

الأزرقي: أخبار مكة، ج٢ ص٧١، الكردي: مقام إبراهيم، ص١٦٦.

(٢) هذه الزيادة جرت سنة (١٣٧هـ/ ٧٥٤م) وقد بلغت نحو (٧٥٤متر) وملخص ذلك: أنه أمر المنصور واليه على مكة بزيادة توسع المسجد الحرام. حيث أمر بشراء الدور التي من الجهة الشمالية والغربية وإدخال أرضها بعد إزالة الأنقاض في المسجد الحرام، وتم إجحاف دار شيبة بن عثمان جد آل شيبة الذين هم سدنة الكعبة المشرفة حتى يومنا، وأدخل أكثرها في الجانب الأعلى من المسجد، فتكلم مع زياد بن أبي عبد الله الحارثي أمير مكة في أن يميل عنها قليلًا، ففعل فكان في هذا الميل أزورار في المسجد. وأمر المنصور بعمل منارة في منتهى زيادته في الركن الغربي من الجانب الشمالي، واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك، وتقدر زيادة المنصور بأنها ضعف ما كان عليه المسجد قبل زيادته، وزخرفه بالفسيفساء والذهب، وزينه بأنواع النقوش وألبس حجر إسماعيل بالرخام حيث يعد المنصور أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه. واستمر العمل في هذه الزيادة مدة ثلاثة أعوام.

الأزرقي: أخبار مكة ج٢ ص٧٢-٧٤.

(٣) أما محمد المهدي فقد زاد فيه زيادات كبيرة، بحيث تعادل جميع زيادات من سبقه من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أبو جعفر المنصور، وذلك في سنة (١٦٠هـ/ ٣٧٦م) حيث بلغت الزيادة (٧٧٦متر)، وفي سنة (١٦٤هـ/ ٧٨٠م) وبلغت نحو (٧٨٠متر). وهو الذي أمر أن يجعل المسجد الحرام على هيئة التربيع حتى تقع الكعبة المعظمة في وسطه. وقد أنفق على ذلك أموالًا عظيمة قدرها الشيخ حسين باسلامة بمبلغ (٤٥٧٨٧٥٠) أربعة ملايين وخمسمئة وثمانية وسبعين ألفًا وسبعمائة وخمسين دينارًا ذهبًا. بما في ذلك قيمة الدور التي اشتراها وأدخلها في المسجد التي بلغت (٢٢٨٩٣٧٥) مليونين ومئتين وتسعة وثمانين ألفًا وثلاثمئة وخمسة وسبعين دينارًا ذهبًا. حيث أمر بنقل الأساطين الرخام من الشام ومصر، وسقّف أروقة المسجد الحرام بخشب السّاج، ثم في العمارة الثانية تم تحويل مجرى سيل وادي إبراهيم وهدمت بيوت كثيرة التي كانت على حافة المسيل وذلك ليتم توسيع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية وهي الجهة التي تطالها التوسعة الأولى؛ حيث كان المهدي مصممًا على هذه التوسعة ولو (كفلتني جميع بيوت الأموال) حسب تعبيره.

الأزرقي: أخبار مكة ج٢ ص٧٤-٨٢/ الكردي: مقام إبراهيم ص١٦٦-١٦٧/ باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص٣٠-٣٥.

هذا قاله النووي في كتبه.

ثم جدد بعض مواضعه ملوك مصر الفاطمية والصالحية والتركية عصرًا عصرًا إلى وقتنا هذا[1]. فجدده فاتح جزيرة [قبرص][2] سليم خان العثماني عليه الرحمة والغفران في سنة ثمانين وتسعمائة، ومات رحمة الله تعالى قبل إكماله فأتمه بعده ولده فاتح بلاد العراق وقامع عروق الرفض والنفاق إمام الملة الحنيفية السنية أعلى الله فتوحاته شرقًا وغربًا أعني السلطان [١٢][3] مراد خان بن سليمان خان عليهم الرحمة والرضوان. وهو أول من بنى القباب حول المسجد الحرام السلطان مراد المذكور العثماني أتم الحرم الشريف بأحسن الإتمام. وبناه مقببًا وكان قبله مسقفًا بشراريف، وفتح بابًا عند باب السلام، وزاد في أعمدته زاده الله شرفًا وكرمًا[4]، وأول من كسا الكعبة تُبّع ملك اليمن، ثم كسا الأنطاع

---

(١) لم يشهد المسجد الحرام توسعة طيلة حكم الفاطميين والأيوبيين والمماليك. وإنما اقتصر العمل في ذلك على الترميم والإصلاح ومن ذلك ما حدث سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)؛ حيث حدث فيه انهيار بسيط ناجم عن انهيار دار زبيدة الرشيد عليه فنتج من ذلك سقوط عمودين من الجهة الغربية، وكذلك حدوث حريق سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) بين باب إبراهيم، وباب الوداع في الجهة الغربية من المسجد الحرام. وعم الحريق الجزء الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير. وتصدى أمير الحج المصري يسبق الظاهري لهذا الترميم وعمل على تنظيف المسجد الحرام من الأكوام والتراب. وبنى الأجزاء التي تهدمت. وفي سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) أمر السلطان قايتباي الجركسي أحد سلاطين مصر وكيله التاجر الخواجة شمس الدين ابن الزمن أن يشيد عمائر سقر الجمالي، وأن يحصل له على موضع مشرف على المسجد الحرام ويبني له فيه مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الأربة، ورباطًا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعًا ومسقفات يحصل فيها على ريع كثير يصرف منه على المدارس والمدرسين والفقراء من الطلبة، وأن يعمل مكتبًا للأيتام وغير ذلك.

فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين، وكان إلى جانب ذلك الموضع من ضمن الدور التي اشتراها الخليفة المهدي العباسي لتوسعة المسجد الحرام وجعلها رحبة بين المسجد الحرام وشارع المسعى. وقام الخواجة شمس الدين وبنى فيه اثنتين وسبعين خلوة ومجمعًا كبيرًا مشرفًا على المسجد الحرام، وعلى المسعى، ومكتبًا ومنارة، وصيّر المجمع المذكور مدرسة، وقد بناها بالرخام المكوف، وسقفها بسقف مذهب، وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة.

باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص٦١-٦٦.

(٢) في الأصل [قبرس].

(٣) بداية اللوحة (١٢] من المخطوط.

(٤) كان السلطان سليمان أول من عمّر من سلاطين آل عثمان بالمسجد الحرام عمائر ذات شأن، منها عمارة تجديد سطح الكعبة المعظمة، وتجديد فرش المطاف، وإصلاح بعض أبواب المسجد الحرام، وفرشه جميعه بالجص، وصفح باب الكعبة وأصلح الميزاب، وهو أتى بالمنبر الرخام المرمر الذي لا نظير له. وعمّر مقام الحنفي وأنشأ المدارس الأربعة ذات القباب الأربعة الواقعة في الجهة الشمالية بين باب السلام شرقًا وبين دار الندوة غربًا، والمنارة العظيمة التي أنشأها بين تلك المدارس التي هي أعلى منائر المسجد الحرام، وعمّر منارة باب علي بعد أن سقطت وهي باقية على عمارته، وأنشأ رباطًا خلف المدارس المذكورة. وسبب هذه العمارة السيل الضم الذي حصل سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م) واستمر يومين ودخل المسجد الحرام وملأ غالبه، ودخل الكعبة المشرفة من بابها ووصل إلى نصف جدارها من الداخل وحمل جميع ما في المسجد من خزائن كتب وقناديل وبسط وغيرها، وساق ما وجد على طريقه من مال وأثقال، وأضرب الدور، واستخرج ما فيها من الأثاث.

في الجاهلية[1].

ثم كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثياب اليمانية[2]، ثم كساها عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما القباطي[3]. ثم كساها [عبدالله بن الزبير][4] رضي الله تعالى عنه، انتهى أوائل السيوطي.

وقيل: أول من كسا البيت بالديباج والدة العباس بن عبد المطلب، حيث ضلَّ العباس صغيرًا فنذرت إن وجدته كست الكعبة، فوجدته ففعلت انتهى[5].

وفي عصر اليوم التالي بدأت جدران الكعبة المشرفة بالسقوط، وأول ما سقط منها الجدار الشامي، الذي بناه الحجاج، ثم تلاه الجدار الشرقي والغربي وبقي الجدار اليماني.

للمزيد حول هذا الموضوع راجع:

(ابن علان) محمد علي (إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد) تح: خالد عزام الخالدي – الجمعية التاريخية السعودية – الرياض – ط٥- ٢٠٠٧.

باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص٦٨-٨٢.

(١) أول من كسى الكعبة هو تُبّع، حيث أرى في المنام أن يكسوها، فكساها الأنطاع، حيث ذكر ذلك مفتخرًا

وكسونا البيت الذي حرَّم الله ... ملاءَ معضدًا وبرودًا

ونطاعًا من الخصاف فرشنا ... وجعلنا لبابه إقليدًا

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُسب تُبع، وقال: (إنه أول من كسا البيت).

والأنطاع مفردها كلمة نطع وهو البساط من الجلد.

(ابن حجر العسقلاني): أحمد بن علي (اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة). تح: محمد علي بيومي – جامعة الأزهر – ط١- ٢٠٠٨ - ص٨٩-٩٠.

(٢) ذكر ابن حجر أن: أول شيء كسيته الكعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساها القباطي، نسبة إلى القبط، وهي ثياب كتان أبيض رقاق تعمل بمصر، في حين ذكر الأزرقي (كساها الثياب اليمانية) وهو القول الأصح والظاهر ؛ لأن مصر إذ ذاك لم تكن قد فتحت، وثياب اليمن ومتاجرها متواصلة إلى مكة. وهو الرأي الذي نميل إليه.

ابن حجر: اللحمة اللطيفة ص١٠٦/ الأزرقي: أخبار مكة ج١ ص١٧٦.

(٣) كسيت الكعبة زمن أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم القباطي، وكان عمر رضي الله تعالى عنه من أكثر الخلفاء الراشدين اهتمامًا بكسوة الكعبة، فكان ينـزع الكسوة (كسوة الكعبة) في كل سنة ويقسمها في الحجاج، ويكسوها كسوة جديدة، وكان يكسوها من بيت المال، وعثمان هو أول من كسى الكعبة كسوتين كسوة باطنة وكسوة ظاهرة.

ابن حجر: اللحمة اللطيفة ص١٠٨/ (الدقن): السيد (كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ)- القاهرة – ط١- ١٩٨٦ – ص١٩.

(٤) في الأصل [الزبير بن العوام] لعله تصحيف من الناسخ، حيث أن الزبير لم يتسلم الخلافة أو الإشراف على شؤون مكة المكرمة، وإنما كانت تحت زعامة ابنه عبد الله بن الزبير.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وروى الدار قطني في المؤتلف أن أول من كسا الكعبة الديباج نتيلة بنت خباب والدة العباس بن عبد المطلب،كانت أضلت العباس صغيرًا فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج).

ابن حجر: فتح الباري ج٣ ص٤٥٩/ الفاسي: شفاء الغرام ج١ ص١٦٧/ الطريفي: تاريخ الكعبة ص٢٢٢.

وأول من كسا الكعبة بكسوتين يَعلى بن أمية[1] عامل عثمان على اليمن فعل ذلك بأمره رضي الله تعالى عنه، انتهى [السيوطي][2].

وأول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال وطيب الكعبة بالخلوقي[3] والمجمرة[4] واتخذ القنديل للمسجد وجدد الكعبة وكشفها وطرح عنها كسوة الجاهلية وكانت قبل لا تجرد بل يخفف بعض كسوتها معاوية رضي الله تعالى عنه[5]. انتهى أوائل السيوطي.

وأول من اتخذ المحامل الحجاج، وكانوا يحجون على الرحال قبل زمانه.

فائدة: ذكر السيوطي في حسن المحاضرة أن أول ما طيف بالمحمل وبالكسوة المشرفة بالقاهرة وذلك سنة خمس وسبعين وستمائة[6] في أيام الملك الظاهر بيبرس، والله أعلم بغيبه وأحكم.

انتهى الكلام على ما يتعلق بالحجر الأسود. ويليه مجموع لمؤلفه سماه بالإشارات والدلائل على بيان ما في الديك من الصفات والفضائل وبعض فوائده ونوادر وحكايات وأحاديث وغيرها مما سطره إن شاء الله تعالى.

رحم الله المؤلف والمسلمين.

في حين ذكر الزبير بن بكار أنها أضلت ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس.

ابن حجر: فتح الباري ج٣ - ص٤٥٩.

(١) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة، أبو صفوان، وهو المعروف بيعلى بن منبه، أسلم يوم الفتح وشهد حنينًا والطائف، استعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن واستعمله عثمان بن عفان على صنعاء. وقد أمره عثمان رضي الله عنه بصنع برودًا يمنية، فكان أول من ظاهر لها كسوتين.

الأزرقي: أخبار مكة ج١ ص٢٥٣/ فهد: المقري ص٤٧٤/ الفاسي: شفاء الغرام ج١ - ص١٦٥.

(٢) في الأصل [سيوطي].

(٣) الخلوفي: مفردها الخلوف: وهو ضرب من طيب الزعفران. الرازي: مختار الصحاح – ص١٨٧.

(٤) المجمرة: ما يتجمر به، وهو العود الرطب. الفاسي: شفاء الغرام – ج١ ص١٧٤.

(٥) روى الأزرقي بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: (طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره).

وكانت الكعبة تطيب في الجاهلية، لما بلغ رسول الله الحلم أجمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فتشاورت قريش في هدمها.....

كذلك ذكر الأزرقي عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن معاوية بن أبي سفيان أجرى للكعبة وظيفة من الطيب لكل صلاة، وكان يبعث بالطيب والمجمر والخلوق في الموسم وفي رجب. وروى الأزرقي عن ابن جريج قال: كان معاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال.

الأزرقي: أخبار مكة – ج١ - ص٢٥٤/ الفاسي: شفاء الغرام- ج١ - ص١٧٤.

(٦) وصف السيوطي هذه الحادثة قائلًا: (وفي أيامه – الظاهر بيبرس- طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة، وذلك سنة خمس وسبعين، وكان يومًا مشهودًا، وهو أول من فعل ذلك بالديار المصرية، وكان له صدقات كثيرة).

(السيوطي): جلال الدين عبد الرحمن (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – ط١ – بيروت – ٢٠٠٤- ج٢ - ص٧٦.

الخاتمة

بعد هذا العرض للحجر الأسود وأصله هل هو من حجر الأرض أم من ياقوت الجنة، وكيف هبط إلى الأرض ووضع في الركن، يبقى الحجر الأسود (الأسعد) بالكعبة المشرفة هو اللغز الكبير الذي احتار فيه المؤرخين، وهناك أحاديث نبوية كثيرة تفيد بقدوم الحجر الأسود من الجنة كما عرضنا في بحثنا، فالحجر الأسود هبط إلى الأرض من الجنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نـزل الركن الأسود من السماء فوِضع على جبل أبي قبيس كأنه مهاة بيضاء – أي بلورة – فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم)). وجاء عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم)). كما قال عنه صلى الله عليه وسلم: ((الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طَمَسَ الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)).

ومن مجمل هذه الأحاديث نفهم أن الحجر الأسود نزل من السماء وتشكل خارج الكرة الأرضية، وسقط على جبل أبي قبيس في أطراف مكة حيث أتى به جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام. لقد أقرّت الأحاديث النبوية الشريفة بالأصل الفضائي للحجر الأسود، وعلى الرغم من صعوبة وصف بنيته الداخلية لأنه مثبت في جدار الكعبة منذ قرون، إلا أن هناك أخبارًا تاريخية متواترة تفيد ببياضه من (الداخل). والطائفون بالكعبة المشرفة حاليًا لا يرون إلا رأس الحجر المكون من عدة قطع متلاصقة بمعجون أسود صلب، يشعر به كل من يلمسه أو يقبله.

وقد ورد في الأثر أنه في مناسبات تاريخية قليلة استطاع بعض الناس رؤية شكله الداخلي حينما اقتلع على يد (جرهم)، ثم (العمالقة)، ثم (خزاعة)، وتحدث من رآه عن الشبه الكبير بينه وبين البلورة الكبيرة، أو (المهاة) البيضاء كما جاء في حديث نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومن الأبيات الجميلة التي استوقفتني في شفاء الغرام للفاسي ج١ ص١٧١:

لـلـحَـجَـرِ الأسـودِ كـم لاَثِـمٍ ... وسـاجِـدٍ مَـرَّغَ فـيـه الـجـبـاه

تَـزْدَحِـمُ الأفـواهُ فـيَ وِردِه ... كـأنَّـهُ يَـنـبُـوعُ مـاءِ الـحَـيـاه

وقال الإمام السيوطي فيه:

قـف واستـلـمُ رُكْـنًـا لأشـرف مـنـزِلِ ... واخـضَـعْ وذُلَّ تَـفُـزْ بـكُـلَّ مُـؤَمَّـلِ

وإذا خـلا الـحَـجَـرُ الـمُـعـظّـم قَـدْرُهُ ... فـالـيُـمْـنُ فـي تـلـكَ الـيَـمـيـنِ فَـقَـبِّـلِ

ونقول: إن ما يظهر للعيان من الحجر الأسود حاليًا هو ثمان قطع (كسر) ألصقت بعضها البعض، وتحكي هذه القطع من الحجر الأسود التاريخ الذي تعرض له هذا الحجر على مر العصور، ويوجد الحجر حاليًا وكسراته مغطاة بمادة راتنجية حماية له من زوار بيت الله الحرام.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن آيبك الصفدي: خليل بن آيبك (الوافي بالوفيات) باعتناء سن. – ديدرنغ – دار فرانز شتاينر بفبسبادن – ألمانيا – ط٢.

٣- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن (الكامل في التاريخ) بيروت – ط١ – ١٩٦٥م.

٤- الأجهوري: علي بن محمد (شرح عقيدة الرسالة) مخطوط في مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية – جامعة أم القرى - رقم (١٣٥٦هـ).

٥- الأدفوي: جعفر بن ثعلب (الطالع السعيد لجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد) المطبعة الجمالية – ط١- مصر – ١٩١٤هـ.

٦- الأزرقي: محمد بن عبدالله (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) تح: عبدالملك بن دهيش – مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة- ط١٠- ١٤٠٧هـ.

٧- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف (المنتقى شرح موطأ الإمام مالك) مصورة عن مطبعة السعادة – القاهرة – ط١ – ١٣٢١هـ.

٨- ابن بشكوال: خلف بن عبدالملك (الصلة) دار الكتاب المصري – القاهرة – ١٩٨٩م.

٩- البيضاوي: ناصر الدين بن سعيد (تفسير البيضاوي) تح: محمد صبحي حلاق – محمد أحمد الأطرش – دار الرشيد – بيروت – ط١ – ٢٠٠٠م.

١٠- البيضاوي: ناصر الدين بن سعيد (أنوار التنزيل) دار صادر – ط١- بيروت – ٢٠٠١م.

١١- الترمذي: محمد بن عيسى (سنن الترمذي) تح: أحمد محمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث الإسلامي – بيروت.

١٢- الثعالبي: أحمد بن محمد (العرائس في قصص الأنبياء) مطابع الحيدرية – ١٩٣٢م.

١٣- الجزري: شمس الدين أبو الخير (غاية النهاية في طبقات القراء) طبع مصر – ١٣٥١هـ.

١٤- ابن الجزري: عز الدين بن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب) دار صادر – بيروت – ١٤٠٠هـ.

١٥- ابن الجزري: أبو الفرج (صفوة الصفوة) طبع حيدر آباد – ١٣٥٥هـ.

١٦- الحاكم النيسابوري: محمد بن عبدالله (المستدرك على الصحيحين) المكتبة السلفية – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (الإصابة في تمييز الصحابة) طبع مصر – ١٩٣٩هـ.

١٨- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) المكتبة السلفية – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٩- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال كسوة الكعبة الشريفة) تح: محمد علي بيومي – جامعة الأزهر – ط١- ٢٠٠٨م.
٢٠- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) تح: عبدالوارث محمد علي – دار الكتب العلمية – ط١- بيروت- ١٩٩٧م.
٢١- الحلبي: علي بن برهان الدين (السيرة الحلبية) دار الباز للطباعة – بيروت – ط١ – ١٩٨١م.
٢٢- ابن خزيمة: محمد بن إسحاق (صحيح ابن خزيمة) تح: مصطفى الأعظمي – شركة المطبوعات السعودية – الرياض – ط٢- ١٤٠١هـ.
٢٣- الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (كتاب ذرع الكعبة المعظمة) تح: يحيى حمزة الوزنة – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ٢٠٠٤م.
٢٤- الذهبي: محمد بن أحمد (سير أعلام النبلاء) تح: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١- ١٩٨٢م.
٢٥- الرازي: الإمام فخر الدين محمد بن عمر (التفسير الكبير) دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ٢٠٠٤م.
٢٦- الرازي: محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح) مكتبة لبنان ناشرون – ط١- بيروت -١٩٩٥م.
٢٧- السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام) القاهرة – ١٩٧١م.
٢٨- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – ط١- بيروت – ٢٠٠٤م.
٢٩- الشامي: محمد بن يوسف الصالي (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المعروف بالسيرة الشامية) تح: عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ١٩٩٣م.
٣٠- الشوكاني: محمد بن علي (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية – ط١- بيروت – ١٩٨٨م.
٣١- ابن شيبة: أبو جعفر محمد بن عثمان (العرش وما نزل فيه مخرجًا) تح: محمد بن خليفة بن علي التميمي – مكتبة الرشد – ١٩٩٨م.
٣٢- الطبري: محمد بن جرير (تاريخ الطبري) دار المعارف – القاهرة – ط١- ١٩٦٧م.
٣٣- الطبري: محب الدين أحمد بن عبدالله (القِرى لقاصد أم القرى) تح: مصطفى السقا – المكتبة العلمية – بيروت.
٣٤- الطوسي: مصطفى بن سنان (رسالة المرام في أحوال بيت الله الحرام) تح: عبد القيوم ديدار – مكة المكرمة – الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي – ط١- ١٤٣٥هـ.
٣٥- ابن عربي: محي الدين (الفتوحات المكية) طبعة مصر – ١٨٥٣م.

٣٦- ابن علان: محمد علي(إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد) تح: خالد عزام الخالدي – الجمعية التاريخية السعودية – الرياض – ط٥- ٢٠٠٧م.

٣٧- عليش: محمد أحمد (فتاوى عليش) مطبعة مصطفى البابي – مصر – ١٩٥٨م.

٣٨- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) تح: عمر عبدالسلام تدمري – دار الكتاب العربي – ط١- ١٩٨٥م.

٣٩- الفاكهي: محمد بن إسحاق (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) تح: عبدالملك بن دهيش – مكة المكرمة - ط١- ١٩٨٦م.

٤٠- الفرقاوي: أحمد بن أحمد بن عبدالرحمن (الإشارات والدلائل إلى ما في صوت الديك من الصفات والفضائل) مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف – مكة المكرمة – تحت رقم (٣٤٩٣).

٤١- الفرقاوي: أحمد بن أحمد بن عبدالرحمن (رسالة في الخلو عند المالكية) تح: أحمد الحبيب – مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها – ج (١٧) – العدد (٣٣) – ١٤٢٦هـ.

٤٢- الفرقاوي: أحمد بن أحمد بن عبدالرحمن (القول التام في أطوار سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام) مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف – مكة المكرمة – تحت رقم (٣٤٩٣).

٤٣- الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) دار الجيل – ط١- بيروت- ١٩٩٨م.

٤٤- الفيومي: أحمد بن محمد (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) الناشر مكتبة لبنان – بيروت – ط١- ١٩٨٧م.

٤٥- ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوري (تأويل مختلف الحديث) دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٦- القرطبي: محمد بن أحمد (الجامع لأحكام القرآن) مصورة عن ط٣ بطبعة دار الكتب المصرية – نشر دار القلم – ١٩٦٦م.

٤٧- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) القاهرة – ١٩٥٩م.

٤٨- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (تفسير القرآن العظيم) نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة – ط١- بدون تاريخ.

٤٩- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (البداية والنهاية) مكتبة المعارف – ط١- بيروت.

٥٠- الكردي: محمد طاهر (مقام إبراهيم عليه السلام) دراسة وتكملة: عبدالوهاب أبو سليمان – مركز تاريخ مكة المكرمة – ط١- مكة -١٤٣٣هـ.

٥١- المتقي الهندي: علاء الدين علي (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) تح: بكري صباني – صفوة السقا – مؤسسة الرسالة – ط١- مكة – ١٤٣٣هـ.

٥٢- المحبي: محمد أمين بن فضل محب الدين (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) دار صادر – ط١- بيروت – ١٩٩٦م.

٥٣- المقري: أحمد أبو العباس (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) تح: إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٦٨م.

٥٤- المناوي: محمد عبدالرؤوف (التيسير بشرح الجامع الصغير) دار الإمام الشافعي – ط٣- الرياض – ١٩٨٨م.

٥٥- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر - ط٢- بيروت – ٢٠٠٣م.

٥٦- ابن هشام: عبدالملك بن هشام (سيرة ابن هشام) تح: طه عبدالرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – د. ر.ت . ط.

ثانيًا: المراجع:

١- أبكر: عبدالله محمد (صورة من تراث مكة المكرمة) مكتبة كنوز المعرفة – جدة – ط١- ٢٠٠٩م.

٢- باسلامة: حسين عبدالله (تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها) مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ٢٠٠٤م.

٣- باسلامة: حسين عبدالله (تاريخ عمارة المسجد الحرام) مكتبة الثقافة الدينية – ط١- بورسعيد – ٢٠٠١م.

٤- البغدادي: إسماعيل باشا (هدية العارفين) دار الكتب العلمية – ط٤ – بيروت – ١٩٩٢م.

٥- بكداش: سائد (فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام) دار البشائر الإسلامية – ط٤- بيروت – ١٤٢٢هـ.

٦- حمزة: فؤاد (قلب جزيرة العرب) مكتبة الثقافة الدينية – ط١ – القاهرة – ٢٠٠٢م.

٧- حيدر: خليل علي (مكة قبل الإسلام المعمار والطعام) جريدة الاتحاد – ٢٠١٤م.

٨- الدقن: السيد: (كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ) القاهرة – ط١- ١٩٨٦م.

٩- رضا: محمد (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

١٠- الزركلي: خير الدين (الأعلام) دار العلم للملايين – ط١٤- بيروت – ١٩٩٨م.

١١- سركيس: يوسف إليان (معجم المطبوعات العربية والمعرّبة) طبع مصر – ١٩٨٢م.

١٢- سلامة: عواطف ديب (قريش قبل الإسلام) إشراف د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري – دار المريخ للنشر – ط١- الرياض – ١٩٩٤م.

١٣- كحالة: عمر رضا (معجم المؤلفين) نشر مكتبة المثنى ببغداد – دون تاريخ.

١٤- مخلوف: محمد (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) دار الفكر – د. ر. ت.

١٥- مهران: محمد بيومي (دراسات في تاريخ العرب القديم) الرياض – ط٢- ١٩٨٠م.

١٦- وجدي: محمد فريد (دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين) القاهرة – ط٢- ١٩٦٥م.

I presented to this text in the study section which contains two topics: the first is the introduction of Abu al-Abbas al-Ghubrini (his origin and upbringing, quality of his education, his teaching and judiciary work in Bejjaya, his doctrine in jurisprudence and belief and his Sufi behavior and then his death), and the second is a study of the manuscript (attribution of Manuscript to the author, setting the title of the manuscript, the motives of its authorship, its content, its importance and the description of the manuscript codicologically.

Treatise on Black Stone and whoever sets it, and the reason for its departure from Paradise

Dr. Hussam Al-Din Abbas Al-Hazouri

This manuscript talks about the Black Stone since its descent from heaven with our father Adam (peace be upon him), and about the one who put it in the Kaaba. Then it talked about the construction of the Kaaba supervised by the Prophet of God, Ibrahim Al-Khalil, (peace be upon him), it also talked about the things that landed with Adam, (peace be upon him) from Heaven, and it presented us with a clear picture of Adam's descent with the Black Stone from Heaven, his coming to Mecca and his construction of the Holy Kaaba, and the author mentioned the story of building the Kaaba at the hands of Quraish and about the role of the Messenger of God Muhammad, (peace and blessings of Allah be upon him), and gave us prophetic sayings that explained to us the importance of this stone and the reason for its departure from heaven, and the reason for its color to shift from white to black.

The author outlined the story of the construction of the Kaaba by Ibn Al-Zubayr, Hajjan bin Yusuf, and those who came after them, until the last renewal of the Kaaba took place in the Ottoman era.

Shining aspects of the life of Sheikh Hassan al-Attar (T1250H)

Hassan Al-Aouni / Morocco

Sheikh Hassan bin Mohammed al-Attar is a well known scholar, a big figure, an intellectual, a literary person who has command in both prose and poetry, the jurist, fundamentalist, grammarian, linguistic, mathematician, astronomer, reformer, voyager, pious, brilliant, Sheikh of the Sheikhs of Al-Azhar, the renovator, the encyclopedic, and the sole of his time,

Ibn Al-Sabouni Al-Eshbili (his life and the rest of his poetry and muwashahath) “Collection, documentation and study”

Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed / Sudan

Our selection of Ibn Al-Sabouni Al-Eshbili came for a number of reasons, the most important of which is his prominent literary position in Andalusian literature in general and the Almohad era in particular, and the second is to shed light on a critical stage in Andalusian history, a period overwhelmed by chaos and turmoil, which forced the writers to get out of the Andalusian hell at that time, and thirdly, the refraining of researchers - According to my knowledge - from introducing him and serving his literature (his poetry and his Tawsheehaat).

However, this study came in two parts, in the first section: we introduced the poet and the subjects of his poetry and his Tawsheehaat, and we showed their artistic characteristics, and in the second: we collected his poetry and his Tawsheehaat as much as we could. Indeed, the task of research and purification is particularly difficult for those living in the conditions of our country.

The inclusive chapters and the prohibitive limits in the origins of knowledge of God Almighty, By Abu al-Abbas Ahmed bin Ahmed bin Abdullah al-Ghubrini (d. 704 AH / 1305 CE)

Muhammad Naseer / Algeria

This doctrine has not gained such fame as “Murshidatu ibni Tomert”, “Burhaniyah al-Salaliji” or “Aqaidu Ssanussi”, but its publication is considered a step to highlight the activity of theological composition in the city of Bejjaya and the central Maghreb that led at the end of the ninth century AH / 15 AD to cognitive control of the Senussi beliefs. Hence, the publication of pre-Sannusi doctrinal texts represents a follow-up to the course of the development of the Ash’ari doctrine in the field of the Maghreb.

Abstracts of Articles

Reading of "Juwaq" and their readers in Egypt during the two centuries (8-9 AH / 14-15 AD)

Dr. Mohamed Gamal Hamed El-Shourbagy / Egypt

This research deals with the study of the beginnings of the emergence of the method of "Juwaq" and its development, the most famous founders of this method, the most famous ways to read the "Juwaq" and those who memorized the Qur'an with this method, their participation in religious ceremonies and funerary ceremonies, and their wages. It also addresses the issue of the deterioration and deviation of the method of reading "Juwaq", and the stand of scholars and sheikhs about it, and finally the study is concluded with list of the names of "Juwaq" readers during the study period.

The importance of the religious façade of government in Egypt during the Time of the Mamluk Sultans (648-923 Ah/1250-1571 AD)

Dr. Mostafa Wagih Mostafa / Egypt

The Arab-Islamic region was plagued in the late Middle ages by the worst kind of military invasion by the Crusaders 647 Ah/ 1250 A.D. and the Mongols 657 Ah/1260 A.D., and the region was saved from these disasters only by the transition of the rule of Egypt, the heart of the Islamic world, from the Ayyubids to the Mamluks, who succeeded in defending the honor of the Arab nation and the acidification of Islamic civilization, and taught the enemies of this civilization unforgettable lessons in the arts of war and combat, the power of faith, the nobility of values and principles. Not to mention their leading role in the economic unity of the Islamic world by controlling the sources of wealth, trade and transportation lines at that time. The emerging country became a powerful force respected by friends and feared by enemies at the time.

The Land of Shangit and the Orientalists

Dr. Bouha Mohamed AbdullahI Sidi / Mauritania

France began to send exploratory expeditions to The Land of Shangit in order to discover its people and know the nature of its resources, including: Orientalists who studied the history of the country from the beginnings of the entry of Islam through the phases that constitute the State of the Almoravids and Arab migrations to the Desert, up to the roles played by the Shangitia in preserving the country's identity and fortifying society against any intellectual immigrant that does not come from the religious identity of the country (Maliki school, Ash'ari doctrine, Sunni mysticism). The Orientalists discussed the roles played in the West African in terms of dissemination of Arab culture and Islam.

INDEX

Editorial

More of charitable works
The sharia's target from donations
Editing Director 4

Researches Titles:

Reading of "Juwaq" and their readers in Egypt during the two centuries (8-9 AH / 14-15 AD)
Dr. Mohamed Gamal Hamed El-Shourbagy 6

The importance of the religious façade of government in Egypt during the Time of the Mamluk Sultans (648-923 Ah/1250-1571 AD)
Dr. Mostafa Wagih Mostafa 22

The Land of Shangit and the Orientalists
Dr. Bouha Mohamed AbdullahI Sidi 38

Shining aspects of the life of Sheikh Hassan al-Attar (T1250H)
Hassan Al-Aouni 53

Ibn Al-Sabouni Al-Eshbili (his life and the rest of his poetry and muwashahath) "Collection, documentation and study"
Dr. Muhammad Mahjoub Muhammad Abdul Majeed 82

Manuscripts' Verification

The inclusive chapters and the prohibitive limits in the origins of knowledge of God Almighty, By Abu al-Abbas Ahmed bin Ahmed bin Abdullah al-Ghubrini (d. 704 AH / 1305 CE)
Muhammad Naseer 109

Treatise on Black Stone and whoever sets it, and the reason for its departure from Paradise
Dr. Hussam Al-Din Abbas Al-Hazouri 137

Abstracts 184

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 27 : No. 108 - Rabiâ al - ākir - 1441 A.H. - December 2019

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديلٍ أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 27 : No. 108 - Rabiâ al - ākir - 1441 A.H. - December 2019

العنوان: تفسير سورة الفتح

اسم المؤلف: محمد أمين بن محمود الشهير بأمير بادشاه البخاري

Tafseer Surah Al-Fath
By. Muhammad Ameen b. Mahmoud, known as Ameer Badshah al-Bukhari

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage